العالم بأصابع مصرية

د. السيد بهنسي

العالم بأصابع مصرية

بسم الله الرحمن الرحيم

(ادخلوا مصـــر إن شـــاء الله آمنين)

صدق الله العظيم

إهـــــداء

إلى بيتنا القديم .... بجـوار قلعـة صـلاح الدين

إلى كـل دروب هـذا الحى التى صـارت شـراييني

إلى نبض وعبق وذكريات كل شــىء فى هـذا المكـان

وإلى سـنوات العمـــر الجميـل ...... يـوم كانت

كل الأحـــلام قادمـــة ......

قبل ان تقرا هذا الكتاب

* * *

بعيداً .. بعيداً .. منذ أكثر من خمسة آلاف عام ، وفى أحضان بقعة مصرية بالقرب من قرية ميت رهينة بالجيزة الآن ، بدأ من مدينة منف تاريخ هذا العالم .

وعبر هذه الرحلة الطويلة من ذلك التاريخ الممتد قاد المصريون مشوار العالم قروناً طويلة ، وقدموا أقدم تقويم وأول ابجدية وأول إمبراطورية مختلفة الشعوب وأقدم مكتبة وأهم الرياضات وأقدم جامعة وأشهر الروايات وأقدم دساتير الادوية وإثنين من عجائب الدنيا السبع ، بل فى مصر وبالتحديد فى الاسكندرية تغيرت علاقة الشمس بالارض .

وإذا كان تفوق قدماء المصريين يعد شرفاً لنا ، فان إبهارنا للعالم لم يقف – كما يدعى البعض – عند ذلك الزمن البعيد .. ففى العصر الحديث كانت مصر أول دولة تشترك فى الاوليبياد من خارج أوربا وأمريكا ، وأنشأت أول خط سكة حديد فى الشرق وكانت أول دولة عربية وافريقية عرفت الصحافة والسينما وقدمت أول رواية عربية ومنها حصل اثنان على جائزة نوبل وكانت أول دولة اسلامية فى افريقيا وبنت أول اسطول بحرى فى الاسلام وأنشأت أول مجمع للغة العربية ، ومنها خرج أول شرقى يعبر المانش وسبقت افريقيا والعرب فى أغلب الرياضات ، وأنجبت المصرى الذى قال له هتلر " كنتُ أتمنى لو كنتَ ألمانياً "

إنها مصر التى كرمها الله فى القرآن الكريم ، وأوى اليها أبو الانبياء ابراهيم عليه السلام وخرج منها بنسب يعتز به الاسلام ، وعلى أرضها نشأ يوسف عليه السلام بعد مؤامرة اخوته عليه ، وفيها نشأ موسى عليه السلام وتلقى رسالة ربه ، واحتمى بها عيسى عليه السلام من بطش بنى إسرائيل ، وتزوج منها الرسول عليه الصلاة والسلام وأوصى بأهلها خيراً .

وكى تنبت مشاعرنا ، لابد أن نعرف أين الجذور ، وهذا مادفعنى لأضع هذا الكتاب ، فقد لاحظت أننا نعرف من تاريخ العالم أكثر مما نعرف عن أنفسنا ، وأقل بكثير مما يعرف ذلك العالم عنا .. لا أدرى هل ألفنا الطريق فأصبحنا لاتثيرنا التفاصيل !!!

هل تعودنا الملامح فلم يعد هناك جديد للعيون ؟! إن نقطة البداية تبدأ دائما من داخلنا ، يجب ان نعرف اولاً من نحن ؟ قبل أن نحدد ماذا نريد .. وهذا ماحاول ان يجيب عليه الكتاب ، وهو بعض من فيض كثير وصفحات من كتاب كبير اسمه مصر .

ولا يفوتنى أن أتقدم بتقديرى وعرفانى لكل الكتاب الذين سبقونى فى الكتابة عن مصر وأعانتنى مؤلفاتهم كثيراً فى صياغة هذا العمل .

والآن .. هذا كتابى يقدم مصر اليك .. وأرجو ان يكون الله قد وفقنى فيما قدمت ..

مع احترامى وتقديــــرى ،،،

المعادى يوليو ١٩٩٣

د. السيد بهنسى

مصر فى القرآن الكريم

* * *

حظيت مصر فى القرآن الكريم بوصف وتكريم عظيم ، وأنزل الله على نبيه عليه الصلاة والسلام صوراً رائعة بما حباها الله من فضل .. وذكر الكندى فى تعليقه على بعض الآيات فيها قوله " لايعلم بلد فى أقطار الارض أثنى الله عليه فى القرآن بمثل هذا الثناء ولا وصفه بمثل هذا الوصف ولاشهد له بالكرم غير مصر " .

وإذا كان البعض قد ذكر أن مصر جاءت فى القرآن الكريم فى حوالى ثلاثين موضعاً ، فقد ذكر جلال الدين السيوطى فى كتابه " حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة " عن ابن زولاق أن مصر ذكرت فى القرآن فى ثمانية وعشرين موضعاً ، وقال بل فى أكثر من ثلاثين وقع فيها ذكر مصر من القرآن صريحاً أو كناية ، إلا اننا نرى أن عدد الآيات التى جاء فيها ذكر مصر تتجاوز أضعاف هذا الرقم بكثير .

فقد جاءت مصر صراحة ونصاً فى أربع آيات قرآنية هى :

- " وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتاً وأجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين (يونس – ٨٧)
- " وقال الذى إشتراه من مصر لإمرأته اكرمى مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً وهم لايشعرون " (يوسف – ٢١)
- " فلما دخلوا على يوسف أوى إليه ابويه وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين " (يوسف – ٩٩) .
- " ونادى فرعون فى قومه قال ياقوم أليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون " (الزخرف – ٥١) .

كما جاء ذكر مصر بصورة غير مباشرة عن طريق ذكر أماكن أو أشخاص أو أحداث فى مصر فى آيات كثيرة :

- " والتين والزيتون وطور سينين " (التين ١ ، ٢) .
- " وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين " (المؤمنون – ٢٠) .

وقد ذكر في هاتين الآيتين طور سينين أو طور سيناء ، والمقصود به جبل الطور بسيناء .

وفي قصة يوسف عليه السلام والتي دارت أغلب أحداثها في مصر ، جاء ذكر مصر بشكل غير مباشر في آيات كثيرة ، ففي سورة يوسف جاءت في الآيات ٢٣ : ٦٢ ، ٦٧ : ٨٢ ، ٨٨ : ٩٣ ، ٩٩ : ١٠٠ ، وعلى سبيل المثال :

" وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حباً إنا لنراها في ضلال مبين " (يوسف - ٣٠) .

" وقال للذي ظن أنه ناج منهما أذكرني عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين " (يوسف - ٤٢) .

" وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين امين " (يوسف - ٥٤) .

" فلما دخلوا عليه قالوا يأيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين " (يوسف - ٨٨)

وهنا نجد في الآيات ذكر العزيز وامرأته واحداث أخرى جرت في مصر .

وفي قصة موسى عليه السلام جاءت مصر في آيات كثيرة ، فبعد أن ولد أوحى الله الى أمه أن تلقيه في اليم .. واليم في اللغة العربية البحر أو النهر وهو كذلك في اللغة المصرية القديمة ، على أن الذي يستوقف النظر هنا أن لفظ اليم ورد في القرآن ثمان مرات لم يذكر في احداها في غير مايخص مصر حيث ذكر بمفهوم النيل ثلاث مرات وأطلق على البحر الذي غرق فيه فرعون خمس مرات :

" فانتقمنا منهم فاغرقناهم في اليم بانهم كذبوا بآياتنا " (الاعراف - ١٣٦) .

" أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم " (طه - ٣٩) .

" فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لي وعدو له " (طه - ٣٩) .

" فاتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم في اليم ماغشيهم " (طه - ٧٨) .

" لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفاً " (طه - ٩٧) .

" فاذا خفت عليه فالقيه في اليم ولاتخافي ولاتحزني " (القصص - ٧) .

" فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم " (القصص - ٤٠) .

" فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم وهو مليم " (الذاريات - ٤٠) .

وقد ورد ذكر مصر بصورة غير مباشرة فى قصة موسى عليه السلام مع فرعون وقومه فى ٢٧ سورة هى سور البقرة وآل عمران والاعراف والانفال ويونس وهود وابراهيم والاسراء وطه والمؤمنون والشعراء والنمل والقصص والعنكبوت وص وغافر والزخرف والدخان وق والذاريات والقمر والتحريم والحاقة والمزمل والنازعات والبروج والفجر ، فعلى سبيل المثال جاء ذكر فرعون وامرأته وقومه فى اكثر من سبعين آيه مثل :

" وقالت امرأة فرعون قرة عين لى ولك لاتقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً وهم لايشعرون " (القصص - ٩) .

" إذهبا الى فرعون إنه طغى فقولا له قولا ليناً لعله يتذكر او يخشى " (طه ٤٣ - ٤٤) .

" إن فرعون علا فى الارض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح ابناءهم ويستحى نساءهم " (القصص - ٤) .

كما جاء ذكر أماكن احداث جرت فى مصر فى آيات كثيرة روت قصة موسى عليه السلام منها :

" ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه " (القصص - ١٥) .

" فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجنى من القوم الظالمين " (القصص - ٢١)

وتشير هاتان الآيتان الى المدينة المصرية التى كان يعيش فيها موسى وحادث قتله لأحد المصريين .

" فلما قضى موسى الاجل وسار بأهله آنس من جانب الطور ناراً قال لاهله امكثوا إنى آنست ناراً لعلى آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون ، فلما أتاها نودى من شاطىء الوادى الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة أن ياموسى إنى أنا الله رب العالمين " (القصص ٢٩ - ٣٠) .

" إنى أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى " (طه - ١٢) .

وتدل هاتان الآيتان على تلك البقعة المباركة من سيناء والتى تلقى فيها موسى رسالة ربه.

كما جاء ذكر غرق فرعون فى سورة يونس :
" فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وإن كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون " (يونس - ٩٢) .

كما جاءت قصة موسى والخضر عليهما السلام فى سورة الكهف ، ويذكر بعض المؤرخين أن موسى وعد بلقاء الخضر فى مصر حيث لقيه فى بعض رحلاته شرقى الدلتا ، حيث يجتمع البحران المتوسط والاحمر ويوشك أن تجمع بينهما بحيرات المنزلة والبلاح والبحيرات المرة وبحيرة التمساح أو يكون ذلك عند احد مصبات النيل وهو "مجمع البحرين " الذى ورد ذكره فى القرآن الكريم ، حيث أن من المأثور من سيرة موسى انه لم يغادر مصر إلا الى مدين اولا ثم مع بنى اسرائيل متوجهاً الى فلسطين .
" وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى ابلغ مجمع البحرين أو أمضى حقباً " (الكهف - ٦٠) .

كما قدر الله لنبيه عيسى بن مريم ان يهبط مصر حين كان فى المهد :
" وجعلنا ابن مريم وأمه آية وأويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين " (المؤمنون - ٥٠) .
وقد أجمعت التفسيرات على أن " الربوة " الواردة فى الآية هى مصر ، وإن كان البعض قد اختلف فى تحديد المكان فالبعض يقول انها المنطقة بين عين شمس ومصر القديمة ، بينما يقول البعض انها قرية البهنسا فى المنيا ، ويقول البعض أن المقصود بالربوة مصر بشكل عام .

كيف كانت مصر قبل أن يبدأ التاريخ ؟

* * *

تعد مصر هى الدولة الوحيدة في العالم التى يمكن تتبع تاريخها وحضارتها منذ عصر ماقبل التاريخ وحتى الآن ويقدر العلماء ظهور الانسان على أرض مصر لأول مرة منذ نحو مائة ألف سنة قبل العصر التاريخي ، وكانت الحضارة فى أول أمرها غاية فى البساطة ثم أخذت تنمو وترتقى ببطء شديد حتى بدأ العصر التاريخى عام ٣٢٠٠ ق.م .. ويرجع الفضل فى كشف حضارة مصر فى عصر ماقبل التاريخ الى جهود العلماء والمنقبين الذين قاموا ببحوثهم فى مناطق مختلفة من مصر ، فى الفيوم والبدارى بأسيوط ونقادة بقنا والمعادى وحلوان وغيرها من المدن التى كانت مراكز الحضارة منذ آلاف السنين .

وينقسم عصر ماقبل التاريخ فى مصر الى عدة عصور تعرف بالعصور الحجرية لصناعة الانسان معظم أدواته من الحجر ، وهذه العصور هى :-

١- العصر الحجرى القديم

٢- العصر الحجرى المتوسط

٣- العصر الحجرى الحديث

فكيف كانت مصر منذ اكثر من مائة ألف عام .. ؟

منذ آلاف السنين ، أتى على أوربا حين من الدهر غطى الثلج أراضيها وعطل الحياة ، وفى نفس الوقت كان شمال افريقيا بما فيه مصر كثير المطر ، وكان من أثر ذلك أن نمت على الهضاب والصحارى فى مصر أعشاب كثيرة وأشجار متفرقة وعاش فيها حيوانات كالوعل والغزال والاغنام البرية والبقر الوحشى والضباع ، وكان وادى النيل مليئاً بالمستنقعات لكثرة طغيان النهر وفيضانه وكثرت التماسيح والفيلة وعجول البحر والافاعى .

وقد فضل المصريون الاوائل أن يعيشوا فوق الهضاب هروباً من الحيوانات الضارية وطغيان النهر ، وشقوا كهوفاً فى الصخور يأوون اليها ، ويقيمون المواقد عند مداخلها وعاشوا على الفطرة يجمعون الثمار من الاشجار ، ويصيدون الطير والحيوان ، وصنعوا أدوات غاية فى البساطة تعينهم على هذه الحياة من حجر الصوان أهمها البلطة والسكين والمنشار ودبابيس ذات مقابض خشبية ، وكانت أدوات خشنة كبيرة

الحجم ثم أخذ حجمها يتضاءل ونوعها يتحسن بمرور الزمن ، كما عرف المصرى القديم كيف يوقد النار ويطهو الطعام .. ويعرف هذا العصر بالعصر الحجرى القديم ، ووجدت آثار هذه الفترة فى كوم أمبو وحلوان والفيوم وسقارة .

وظل المصريون على هذه الحال عشرات الالاف من السنين تغيرت خلالها الأحوال المناخية فقل سقوط المطر ، وقلت الحشائش على الهضاب وهجرها الحيوان ، وردم الطمى المتخلف من فيضان النيل معظم المستنقعات ، وهبط المصريون الى الوادى حيث النبات الوفير وصيد البر والبحر ، ثم أخذوا بالتدريج يعتمدون على ماء النهر لا على المطر كما كانوا يفعلون من قبل ، وأهتدوا الى زراعة الارض ، وأخذوا يتتبعون أدوار نمو الزرع وبذلك بدأت حضارة المصريين تعتمد على الزراعة بدلا من الاعتماد على الصيد .

وبمعرفة المصريين للزراعة اضطروا للاستقرار والثبات ، وتركوا حياة الترحال وأخذت القبائل تجتمع وتقيم قرى لسكناها ومهد هذا لقيام المدن .. وكانت القرية تتكون من أكواخ من الغاب وأغصان الشجر وتطلى من الخارج بالطين وتسقف بحصير من الغاب أو بجلد الحيوان ، وكان يوضع موقد فى مدخل الكوخ ترص بجواره قدور مختلفة الأحجام يحفظ الماء فى بعضها ويخزن الطعام والغلال فى البعض الآخر .

وفى هذا العصر تعددت الادوات والآلات تبعاً للانتقال من حياة الرعى والصيد الى الحياة الزراعية ، وتنوعت المواد المستخدمة فى صناعتها وتحسن نوعها ، فقد صنعوا أسنة الحراب الدقيقة ورءوس الفؤوس اللازمة للزراعة ، والمكاشط الخاصة بصناعة الجلد ، والمدى والمناشير ، كما استعملت العظام فى عمل أسنة الخطاطيف والابر وغيرها من الصناعات الدقيقة ، وبرع المصريون فى ذلك العصر فى صناعة آنيتهم من الفخار ذى اللونين الاحمر والاسود ، وصنعوا نماذج جميلة من الاطباق والأكواب والاباريق ، وكانت أدوات الزينة فى هذا العصر بسيطة مصنوعة من عظام الحيوانات أو الطين المحروق .

وكان المصريون ذلك العصر يدفنون موتاهم فى مدافن قريبة من القرى وعلى حافة الصحراء لتكون بعيدة عن فيضان النيل ، وكان القبر عبارة عن حفرة بسيطة قريبة من سطح الارض ، وكانوا يضعون مع المتوفى بعض الحبوب وأوان تحوى الطعام والشراب وأدوات الزينة والادوات التى كان يستعملها فى حياته مما يدل على أنهم كانوا يعتقدون فى حياة أخرى بعد الحياة الدنيا .. وقد عثر على آثار هذا العصر فى أماكن كثيرة أهمها حلوان والسبيل شمال كوم امبو والفيوم .

وفى العصر التالى عرف المصريون معادن عديدة كالذهب والنحاس والحديد والبرونز وأخذوا يستخدمونها فى صناعة أدواتهم وحليهم ، وكان أهم معدن انتفعوا به هو النحاس وأهم مناجمه فى شبه جزيرة سيناء .. وقد صنع المصريون من النحاس المقصات والازاميل والخناجر والخطاطيف ، وبلغوا فى صناعة هذه الآلات درجة عالية من الاتقان ، أما الذهب والفضة فقد استخدموهما فى صناعة الحلى وأدوات الزينة ، ومن الصناعات التى ارتقت فى ذلك العصر نسج الاقمشة والنجارة وصناعة الجلود والعاج ، وبلغت الاوانى الفخارية درجة فائقة من الجمال حيث تعددت ألوانها وأنواعها وصارت تزين بنقوش جميلة ، وبدأ المصريون يصنعون خرزات من الزجاج .

وامتدت يد التحسين الى المساكن فلم تعد أكواخاً من البوص ، وإنما صارت مستطيلة الشكل من اللبن ، وتفرش بالحصير ، وتؤثث بأسرة من الخشب ووسائد من القماش أو الجلد المحشو بالقش ، كما بدأ فى هذا العصر إستئناس الحيوان ، واتبع هذا الاستقرار قيام أقاليم منظمة يحكمها رؤساء أقوياء ، وقد استمر هذا العصر حتى بداية العصر التاريخى الذى يبدأ فى ٣٢٠٠ ق .م ، ووجدت آثاره فى أماكن كثيرة أهمها نقادة والبدارى ودير تاسا والفيوم .

أول أبجدية فى العالم

* * *

كانت مصر أول دولة ابتدعت الكتابة فى العالم ، وكانت أول من أوجد الابجدية ، وأول من اخترع القلم ، وأول من أوجد برديات ووثائق المنسوجات .

فقد سبق المصريون جميع شعوب العالم فى استعمال الكتابة ، ويمكن القول بأنها ظهرت قبل عصر الاسرات حيث وجدت بعض الآثار المدون عليها كتابات ، وكانت هذه الكتابة فى أول أمرها صوراً ، إذ كانوا يعبرون عن الشىء برسم صورته ، ثم تطورت الكتابة تدريجياً فلم تعد مقصورة على الصور التى تعبر عن أشياء فردية وانما استعملوا حروفاً أبجدية يكتبون بها كل مايدور بخلدهم من تعبيرات وكلمات يصعب تصويرها .

والهيروغليفية (ومعناها الكتابة المنقوشة المقدسة) هو الاسم الذى أطلقه الاغريق على الكتابة المصرية القديمة عندما شاهدوها لأول مرة ، وقد ظلت الهيروغليفية مستخدمة كاسلوب أو نمط فى الكتابة الدينية وعلى جدران المبانى التذكارية ، واستمر ذلك الى مابعد فترات المرحلتين التاليتين ويعرفان بالهيراطيقية والديموطيقية وهما ينحدران من الهيروغليفية .

والهيروغليفية هى كتابة تصويرية صوتية رمزية تتألف من صور بعض الحيوان والنبات والأثاث والأدوات والاسلحة وغيرها .. وهى كتابة معقدة إذ قد تستعمل رموزها تارة للتعبير عن الاصوات وتارة أخرى للتعبير عن الافكار ، ولما كانت الحركات غير مبينة فلا يمكن النطق بالكلمات إلا على وجه التقريب ، ويرجع التباين فى قراءة أسماء الاعلام الى ذلك لتعدد الطرق التى اتبعها الأثريون فى كتابتها .. والاصل أن تكتب الهيروغليفية عمودياً من أعلى الى أسفل لكنها منذ زمن كانت تكتب أفقياً أيضاً من اليمين الى اليسار فى العادة ، وقد تكتب من اليسار الى اليمين ، وفى كلتا الحالتين تكتب الرموز بحيث تكون أشكال الانسان والحيوان متجهة نحو أول السطر .

وقد تفرع من الهيروغليفية أسلوبان للكتابة هما : الهيراطيقية أو كتابة الكهنة وهى

أسلوب مبسط للكتابة نشأ لغرض التغلب على صعوبة اللغة الهيروغليفية لعجز بعض الكتاب أو قلة خبرتهم ، فاختصرت إشاراتها حتى خلت من العلامات التصويرية ، وكانت تستخدم فى تدوين الرسائل الادارية والخاصة ، وفى كتابة النصوص الدينية والأدبية والعلمية .. والاسلوب الثانى هو الكتابة الديموطيقية وكانت تستعمل فى كتابة اللغة العامية .

وقد كان لاكتشاف حجر رشيد عام ١٧٩٩م أهمية كبرى ، فقد احتوى على نص مدون بالهيروغليفية والديموطيقية واليونانية ، فكان بمثابة مفتاح لاكتشاف أصول الكتابة الهيروغليفية .

وقد قضى الفتح العربى لمصر على اللغة المصرية القديمة وكتابتها ، إذ دخل المصريون فى الاسلام وبدأوا يتعلمون اللغة العربية وكتابتها ، وبتعاقب السنين نسيت اللغة والكتابة القديمة نسياناً تاماً ، وأصبح الناس يرون آثار مصر القديمة وماعليها من نقوش وكتابات فلا يفهمون لها معنى .

وكان القلم الذى يستخدمه المصريون فى الكتابة مصنوعاً من قصبة رفيعة الساق ، شديدة الامتصاص ، يبلغ طولها عادة نحو تسع بوصات ، وبعد تدليكها أو الطرق على أحد طرفيها طرقاً هيناً بمطرقة خفيفة يهترىء نسيج بنائها الداخلى قليلاً ، وبعد ذلك تحتفظ بكمية وافية من المداد تكفى لكتابة عدد كبير من الكلمات تبعاً لحجمها قبل أن تملأ من جديد .

وقد استخدم قدماء المصريين المداد الاسود والاحمر فى الكتابة .. والمداد الاسود الذى استخدمه الكتاب المصريين شديد الثبات الى حد احتفاظ اللون الاسود بدرجة قتامته فلا تتغير بعد آلاف السنين ، وهو مصنوع من الفحم ، وعادة من السناج الناعم ويمزج بالماء ، ولزيادة تماسكه أضافوا اليه مادة مناسبة مثل الصمغ .. والمداد الاحمر صنعوه بنفس الطريقة وكان يحضر من صبغ مستمد من أحد الاكاسيد الحمراء ، وكان يستخدم لتمييز العناوين ورءوس الموضوعات وبداية الفقرات الجديدة .

وكان قدماء المصريين أول من استخدم ورق البردى ، وكانت كتبهم على هيئة لفائف ، وظل نبات البردى الدعامة الاساسية للكتاب فى مصر منذ تم اكتشافه قبل الميلاد بثلاثة آلاف عام ، وقد عرف فى بلاد الاغريق فى القرن السابع قبل الميلاد ، وفى روما ابتداء من القرن الثالث قبل الميلاد ، وظلت أوربا تستعمله حتى منتصف القرن الحادى عشر الميلادى .

وكان قدماء المصريين يكتبون على وجه واحد فقط من الورق ويتركون الوجه الآخر ، وقد عثر على كثير من قطع الخزف والفخار فى جهات مختلفة من مصر كان أفراد الطبقة الفقيرة يسجلون عليها كتاباتهم لرخص ثمنها ، ولعدم استطاعتهم الحصول على ورق البردى ، وهذه القطع البسيطة المتناثرة ساعدت العلماء على معرفة الكثير عن حياة المصريين فى ذلك العصر .

أول جامعة فى العالم

* * *

جامعة " أون " المصرية هى أول جامعة انشئت فى العالم وذلك عام ٤٢٤٠ ق . م ويقال انه فى جامعة " أون " تعلم موسى عليه السلام ويوسف الصديق وأفلاطون ، وقد أقام تحوتمس الثالث مسلتين عند مدخل الجامعة نقلتا الى لندن ونيويورك فيما بعد .

وقد توصل الكهنة فى هذه الجامعة الى أقدم تقويم نجمى عرفه التاريخ ولايزال يؤخذ به حتى الآن فى التقويم الميلادى .

ومما يذكر ان " أون " أو " هليوبوليس " كانت احدى العواصم المصرية القديمة ، وتقع فى شمال ضاحية المطرية الآن ، ولم يبق من آثارها الا المسلة المعروفة باسمها وهى الباقية من معبدها الذى بناه الملك سنوسرت الاول .

وفى العصر الحديث عندما أنشئت جامعة عين شمس عام ١٩٥٠ تم اختيار المسلة والصقرين شعاراً للجامعة وهى رمز عبادة الشمس فى هذه المنطقة التى نشطت فيها دراسة الفلك وغيرها من العلوم .

أما أول جامعة مصرية فى العصر الحديث فتعود فكرتها الى مصطفى كامل عندما كتب فى جريدة اللواء فى ٢٦ اكتوبر ١٩٠٤ مقالا ينادى فيه بذلك ، ثم عاد الى الموضوع ثانية فى يناير ١٩٠٥ واقترح أن تسمى الجامعة " كلية محمد على " بمناسبة مرور مائة عام على ولاية محمد على عرش مصر .

وفى عام ١٩٠٦ عندما أرادت الأمة تكريم مصطفى كامل بمناسبة عودته الى الوطن ، تكونت لجنة للاكتتاب ، وكان الغرض منها إقامة وليمة كبرى له ، وعندما علم مصطفى كامل بذلك أرسل من باريس خطابا بتاريخ ٢٤ سبتمبر طلب فيه ان تقوم لجنة الاكتتاب بدعوة الامة كلها لتأسيس كلية أهلية من تبرعات من أبناء الاغنياء والفقراء على السواء .. وبالفعل بدأت عملية الاكتتاب وكانت القائمة الاولى للمكتتبين مجموعها (٤٥٨٥ جنيها) جمعت من ١٦ شخصا ، ثم توالت التبرعات من مختلف المصريين .

وفى ٢١ ديسمبر ١٩٠٨ أفتتحت الجامعة الاهلية رسميا بحضور الخديو عباس حلمى فى حفلة رسمية اقيمت بقاعة مجلس شورى القوانين .. وبدأت الدراسة بالجامعة إبتداء من مساء ذلك اليوم ، وكانت فى نطاق ضيق حيث نظمت على هيئة محاضرات بعد الظهر من كل يوم وكانت تلقى فى الموضوعات الآتية :
الحضارة الاسلامية - الحضارة القديمة فى مصر والشرق - الجغرافيا والتاريخ عند العرب - آداب اللغتين الفرنسية والانجليزية ، وفى العام التالى أضيفت دراسات جديدة فى علوم الطبيعة والرياضة .

وفى عام ١٩٠٨ غادرت مصر أولى بعثات الجامعة الى أكبر جامعات أوربا وكانت تتألف من أحد عشر طالب وحتى ١٥ فبراير ١٩١٠ بلغ عدد الطلاب ٤٠٣ منهم ٨٦ من الاناث بينهن ٣٥ مصرية والباقيات أجنبيات ولم تكتف المرأة المصرية بالاستماع الى المحاضرات فقط ، حيث قامت لبيبة هاشم فى عام ١٩١١ بالقاء محاضرة فى التربية وتبعتها نبوية موسى فحاضرت النساء عن المرأة والأمة .

وكان أول مقر للجامعة الاهلية بقصر جناكليس بأول شارع قصر العينى (الجامعة الامريكيه الآن) ثم انتقلت الى قصر محمد صدقى باشا بشارع الفلكى .. وفى عام ١٩١٤ أوقفت الاميرة فاطمة اسماعيل على الجامعة ستمائة فدان وتنازلت لها عن ستة أفدنة بالدقى ليقام عليها مبنى الجامعة .. وقد وضع حجر الاساس لبناء الجامعة فى ٣٠ مارس ١٩١٤ ، ثم قامت الحرب العالمية الاولى فتوقف إتمام بناء الجامعة ثم استولت عليه الحكومة مقابل جزء من الارض التى قدمتها الى الجامعة فى المكان الحالى .

وكان أول من تولى ادارة الجامعة الاهلية الامير أحمد فؤاد ثم حسين رشدى باشا عام ١٩١٣ وحتى عام ١٩١٦ ثم الامير يوسف كمال حتى ١٩١٧ ثم عاد حسين رشدى باشا فى هذا العام وظل مديرا لها حتى ١٩٢٥ .

وفى عام ١٩٢٣ أصدر وزير المعارف قراراً بتشكيل لجنة لوضع نظام الدراسة لاقسام الجامعة الاربعة الآداب والعلوم والطب والحقوق ، وفى مارس ١٩٢٥ صدر مرسوم بانشاء الجامعة المصرية وكان أول رئيس لها هو احمد لطفى السيد من عام ١٩٢٥ حتى ١٩٤١ .

وفى سنة ١٩٤٠ أطلق على الجامعة المصرية اسم جامعة فؤاد الاول ، وفى عام ١٩٥٣ صدر مرسوم بتعديل الاسم الى جامعة القاهرة .

أقدم تقويم في العالم

* * *

كان قدماء المصريين أول من قاس طول السنة الشمسية بدقة بالغة ، وأهدوا للعالم أقدم تقويم أصبح فيما بعد مقياساً لجميع التقاويم التالية ، وذلك منذ أكثر من سبعة آلاف عام .

ذلك أن عشق مصر للنيل دفع أهلها الى رصد موعد فيضانه ، ووجدوا أن أول بشائر المياه السمراء التى يحملها النيل من منابعه الى مصر تظهر مع مطلع نجم ثابت يسطع بوضوح فى سماء معبد " أون " " هليوبوليس " فى نفس اللحظة التى تشرق فيها الشمس ، وهو نجم " سيروس " " الشعرى اليمانية " - ويغلب الظن أن كهنة هذه المدينة هم الذين وضعوا التقويم حيث اشتهروا برصد الشمس والنجوم - وقام قدماء المصريين باحصاء عد الايام التى تمر بين كل مرة يظهر فيها هذا النجم وبين ظهوره فى المرة التالية واستطاعوا تحديد طول دورته الفلكية أو الدورة الشمسية بدقة متناهية فوجدوها ٣٦٥ يوماً ، فقسموا السنة الى اثنى عشر شهرا كل منها ثلاثون يوماً ويليها خمسة أيام نسىء فى نهاية كل سنة جعلوها أعياداً ومواسماً ، ثم أضافوا يوماً كاملا كل أربع سنوات نتيجة لوجود كسر مقداره ربع يوم فى طول السنة .

وقد استخدم قدماء المصريين منذ حوالى ٣٥٠٠ عام آلات لتحديد ساعات النهار وهى ساعات شمسية لقياس امتداد الظل كما استخدموا ساعات مائية لقياس ساعات الليل وهى عبارة عن أحواض حجرية كبيرة كان ينقش على جدرانها الداخلية مقياس متدرج للساعات .

وقسم قدماء المصريين السنة الى ثلاثة فصول هى فصل الفيضان وفصل البذر ، وفصل الحصاد كل واحد منها أربعة اشهر ، وقسموا اليوم الى أربع وعشرين ساعة .

وقد انتقل التقويم الشمسى من مصر ليحل محل التقويم القمرى الذى كان سائداً عند مختلف الشعوب الآسيوية . كما نقله اليهود عند خروجهم من مصر ليظهر التقويم العبرى ، وانتقل الى أوربا عندما أهدت كليو باترا التقويم المصرى إلى يوليوس قيصر ،

وكلفت العالم المصرى " سوسيجين " بنقل التقويم المصرى للرومان ليحل محل تقويمهم القمرى ، ثم قام البابا جريجورى الثالث عام ١٥٨٢ بادخال تعديل طفيف فسمى بالتقويم الجريجورى وهو التقويم الذى يستخدم فى العالم الآن ، وهو فى جوهره عمل مصرى صميم أهداه الفراعنة للعالم كله .

المصريون .. أول من عرف صناعة الزجاج

* * *

لقد وجدت فى مقابر قدماء المصريين أقدم آثار للزجاج ، حيث كانوا يصنعون قبل الميلاد بثلاثة آلاف عام بعض أنواع الخرز والتماويذ الزجاجية ، ومازالت هذه الآثار محفوظة فى المتاحف ودور الآثار بجميع انحاء العالم .

وقد وجد فى مصر قضيب من الزجاج عليه نقوش ترجع الى عهد الملك " امنمحات الثالث " الذى حكم مصر فيما بين عامى ١٨٤٩ - ١٨٠١ ق.م ، ومازال هذا القضيب الزجاجى محفوظاً فى متحف برلين ، ويعد أقدم أثر للزجاج يعرف المؤرخون تاريخ صناعته .

وحوالى عام ١٥٠٠ ق.م استطاع المصريون القدماء أن يبتكروا طريقة عملية لصناعة الاوانى الزجاجية .. فكانوا يصنعون من الرمل والجير كتلا على هيئة الاوانى المطلوبة ، ويجعلون فى نهايتها قضبانا من المعدن يمسكون بها ، ثم يغمسون هذه الكتل فى الزجاج المصهور حتى يغلفها غطاء كاف من هذا الزجاج ، وبعد ذلك يتركونها حتى تبرد ثم يفتتون الكتل فى داخل الاوانى الزجاجية ويستخرجونها لتبقى الاوانى جوفاء ، وأحيانا كانوا يستخدمون النقوش حتى تبدو الاوانى من الخارج وكأنها مصنوعة من الحجر .

وقد افتن المصريون القدماء فى صناعة الاوانى بهذه الطريقة واستطاعوا أن يصنعوا بعض الادوات الزجاجية الدقيقة لإستعمالها فى القصور الملكية ، فصنعوا أوان وزجاجات لحفظ الدهون ومواد الدهون ، كما صنعوا أطباقاً وكئوساً واقداحاً زجاجية.

وفى متحف " متروبوليتان " للفن بنيويورك كأس خاصة بالملك تحتمس الثالث ، ويرجع تاريخها الى ماقبل الميلاد بالف واربعمائه وخمسين عاما ، وهى من الآثار الرائعه التى تدل على براعة قدماء المصريين فى هذه الصناعة الدقيقة ، وهذه الكأس مصنوعة على هيئة زهرة اللوتس وهى من الزجاج الازرق الفيروزى وتحليها أشرطة من الذهب الخالص .

وقد بلغت دقة هذه الصناعة فى ذلك العصر أن جميع الآثار المصرية القديمة من المصنوعات الزجاجية صغيرة الحجم نسبياً حتى أن الزجاجات التى وجدت فى مقابرهم لم يتعد طولها خمس بوصات .

وإذا كانت عملية الطلاء بالمينا من أقدم العمليات المعروفة فى تزيين الاوانى بوجه عام ، عندما استخدمها المصريون منذ اكثر من خمسة آلاف عام فى تزيين أوانيهم الخزفية .. فإليهم ايضا يعود الفضل فى تزيين الاوانى باستعمال خيوط رقيقة من الزجاج الملون قبل الميلاد بحوالى ألف وخمسمائة عام كما يعود اليهم فضل عملية الحفر على الزجاج حيث وجدت كأس زجاجية محفور عليها صورة تحتمس الثالث فرعون مصر .

وقد دأب المصريون على اعتبار الزجاج بديلا للمجوهرات والاحجار الكريمة ، وأحيانا كانوا يصنعون حليهم وأدوات زينتهم من الزجاج المعتم ذى اللون الواحد لتكون اقرب شبها بالاحجار النفيسة النادرة ، أما الخرز والجعارين فكانوا يعدونها كالمجوهرات الثمينة ، وقد صنعوها ايضا من الزجاج بصبها فى قوالب خاصة .

ومن مصر القديمة انتشرت صناعة الزجاج سريعا الى بقية البلاد المطلة على البحر الابيض المتوسط ، حيث لم يذكر التاريخ شيئاً عن صناعة الزجاج فى هذه البلاد قبل ذلك الحين ، فقد عرف الفينيقيون أسرار صناعة الزجاج من مصر وكانوا أول من تاجر فيه ، ولوانهم لم يبلغوا فيه مابلغه الصناع المصريون من مهارة .

استعمل الرومان الزجاج لأول مرة حين جاء يوليوس قيصر الى مصر وضمها الى الامبراطورية الرومانية وفرض عليها الجزية ، وكانت المصنوعات الزجاجية المتنوعة المصرية ضمن هذه الجزية التى كانت ترسل كل عام الى روما ، وحين رأى الامبراطور نيرون تقدم صناعة الزجاج فى مصر ، استقدم الى روما صناعاً مصريين لينشئوا ببلاده أول مصنع للزجاج وبعدها دخلت هذه الصناعة الى سائر أنحاء الدولة الرومانية .

الملك الذى بدأ به عصر التاريخ

* * *

الملك مينا .. ذلك أن المصريين الأقدمين كانوا يعيشون فى قبائل متفرقة اتخذت كل منها حيواناً أو نباتاً رمزاً لها وإلهاً يحميها ، ولما هبطوا الوادى وزرعوا الارض واستقروا حولها انشأوا قرى ومدناً لكل منها حاكم يحكمها ورمز من حيوان أو نبات يعبده سكانها .. ثم أخذت المدن والقرى التى تعبد إلهاً واحداً تندمج فى بعضها ونشأت من إندماجها مقاطعات واسعة يحكم كل منها حاكم .

وعندما كان يظهر زعيم قوى كان يعمل على ضم الاقاليم المجاورة له ، وبمرور الوقت استطاع أحد أقاليم الوجه البحرى ، وهو إقليم الصقر وعاصمته مدينة دمنهور الحالية أن يقوم بتوحيد الدلتا فى مملكة واحدة هى مملكة الشمال ثم اتسع نطاق هذه الوحدة فضم مصر كلها حوالى عام ٤٢٤٠ ق.م ، وكانت عاصمة هذه المملكة تقع بين الشمال والجنوب وهى " أون " " هليو بوليس – وهى تسمية اغريقية معناها مدينة الشمس – وقد سادت عبادة الشمس فى هذا العهد ، وظهر فى هذه المملكة التقويم الشمسى الذى لايزال العالم يتبعه حتى الآن .. غير أن هذا الاتحاد لم يستمر طويلا إذ سرعان ماوقع الانقسام مرة اخرى وظهرت فى مصر مملكتان إحداهما فى الشمال والأخرى فى الجنوب .

وكانت عاصمة مملكة الشمال مدينة " بوتو " غرب الدلتا ومكانها الآن تل الفراعين (قرب مدينة دسوق بمحافظة كفر الشيخ) واتخذ سكانها نبات البردى الذى كان ينمو بكثرة فى مستنقعاتها شعاراً لهم ، وكان ملوكها يلبسون تاجاً أحمر .. أما مملكة الجنوب فكان عاصمتها مدينة " نخن " ومكانها الآن مدينة الكوم الاحمر (بين مدينتى إدفو وإسنا) وكان شعار سكانها اللوتس ، وكان ملوكها يلبسون تاجاً أبيض .

واستمر هذا الوضع حتى تربع على عرش مملكة الجنوب الملك مينا (نعرمر) واستطاع توحيد الوجهين البحرى والقبلى حوالى عام ٣٢٠٠ ق.م ، ويعد المؤرخون عهده بدء العصر التاريخى ، وأسس الاسرة الاولى فى الاسرات المصرية الثلاثين .. وارتدى التاج الاحمر والتاج الابيض مجتمعين فيما يعرف بالتاج المزدوج (بشنت) وجعل من الاقليمين وحدة كاملة تخضع لأول حكومة مركزية فى التاريخ ، وتخضع لنظم وقوانين وتقاليد واحدة ، وأرسى بذلك أول فكرة للوحدة عرفها العالم .

وأختار الملك مينا مكاناً يتوسط الوجهين وشيد مدينة حصينة تحتل مكاناً متوسطاً وسماها " القلعة البيضاء " أو الجدار الابيض " ثم أطلق عليها المصريون " من نفر " أى " النصب الجميل " ثم سميت في زمن اليونان " ممفيس " ثم سماها العرب "منف " ومكانها بالقرب من قرية " ميت رهينة " بمركز البدرشين بالجيزة الآن ، واتخذ منها عاصمة لمصر وجعلها مركزاً إدارياً .. وحرص بعد أن أتم توحيد البلاد على تأديب الليبيين الذين كانوا يغزون غرب الدلتا وهزمهم واتجه نحو بلاد النوبة جنوبي مصر وحارب سكانها الذين كانوا يسيطرون على بعض جهات من مصر .

ومن الجدير بالذكر أن لوحة الملك مينا – مؤسس أول أسرة ملكية حكمت مصر – هى أقدم سجل تاريخي لأقدم شخصية تاريخية عرف اسم صاحبها حيث تسجل هذه اللوحة على وجهيها نقوشاً تصور الكفاح الذى قام به الملك والنصر الذى تم له .

إن أولى حوليات التاريخ لم تبدأ كتابتها إلا فى عهد الملك مينا ، وهى الحوليات التى تضمنت سرداً لكافة الاحداث الهامة كالاحتفالات الملكية الدينية أو الانتصارات الحربية ، وبعد أن حكم الملك مينا مصر زمناً طويلاً توفى ودفن فى أبيدوس " العرابة المدفونة " بمركز البلينا الآن وهى مسقط رأسه .

فرعـــــون

* * *

لقب أطلق على ملوك مصر من الاسرة الاولى التى أسسها مينا الى سقوط آخر ملوك الاسرة الثلاثين فى عهد البطالمة ، وكلمة فرعون معناها " البيت العالى " ، وكان أصل الكلمه من مقطعين (بر – عا) ثم نطقها البطالمة (فرعا) ثم (فرعو) ثم أصبحت (فرعون) .

وفى البداية كان يكني بتلك العبارة عن قصر فرعون دون شخصه ، أو يكنى بها أحيانا عما يتصل من شئون القصر وحاشيته ، على أن دلالة اللفظ على شخص الملك نفسه لم تثبت إلا منذ الاسرة الثامنة عشرة على عهد اخناتون إذ لقب بذلك على بعض آثاره ، فلما كانت الاسرة التاسعة عشرة – وهى أسرة رمسيس الثانى – ذاع اللقب فيما ورد عن الملك .

ولم يذكر القرآن الكريم فرعون الا فيما روى من نبأ موسى ، ولم يذكره مرة واحدة فيما أورده من سيرة يوسف عليه السلام ، وتلك دقة الاعجاز ، فلم يكن لقب فرعون بدلالته على ملوك مصر ذائعاً فى ذلك الزمان من عهد يوسف ، ولم يكن الملك الذى دخل يوسف فى خدمته مصرياً – كان من الهكسوس – فيستحق لقباً اختص به الملوك من المصريين بل كان أجنبيا يناصبهم العداء .

أشهر الروايات العالمية .. أصلها فرعونى

* * *

إن المؤلف الحقيقى لأشهر الروائع القصصية فى العالم مثل كليلة ودمنة وألف ليلة وليلة وكونت دى مونت كرستو وشمشون ودليلة هو ذلك الكاتب الفرعونى .. والذى يقطع بهذا البرديات الموزعة على مختلف أنحاء العالم والتى ترى أن أصل كل هذه القصص فرعونياً .. وإليك الدليل :-

يقرأ العالم حكايات " كليلة ودمنة " على أنها حكايات كتبها الفيلسوف الهنــــدى بيدبا " وترجمها ابن المقفع ، وتكمن جاذبيتها فى ورود القصة على لسان الحيوان ، ولكن أقدم نص تاريخى لهذا النوع من القصص كان بقلم الكاتب المصرى القديم وينتمى الى أقلام متعدده للحكيم " كاجنى " والأديب " كايروس " والمعلم " نصرى " والحكيم " حوردرف " .. كتب معظمها عام ٢٨٥٠ قبل الميلاد ، وكانت تدرس فى مدارس الدولة الوسطى ، ومن عناوينها " الثعلب والأوز - الذئب راعى الغنم - التمساح العجوز - الاسد والغزالة الجميلة - جيش القطط وقلعة الفئران .. وتروى القصة الاخيرة أن القطط حاصرت قلعة تحتمى بها الفئران ، فقررت الفئران أن تتحالف مع الكلاب على أساس أن القطط هى العدو المشترك لهما ، ودخلت الكلاب وهزمت القطط ، ولكنها بعد هزيمتها أقنعت الكلاب بالتعاون معها فى إلتهام الفئران وتم بالفعل عقد تحالف كانت ضحيته الفئران .

والقصه كما ترى هى أقدم نموذج للأدب الذى يستخدم الحيوان ليصور عالم الانسان ، كما أن الأدب العالمى اختار نفس الصفات التى استخدمها الكاتب المصرى للحيوان ، فالتمساح رمز للغدر ، والكلب رمز للوفاء ، والثعلب يعبر عن المكر ، والصقر رمز السمو ، والخنزير رمز الوضاعة .

مثال آخر يؤكد عبقرية الكاتب المصرى وهى قضية " مابعد الموت " ، فقد حفظ لنا التاريخ عملين خالدين " رسالة الغفران " لأبى العلاء المعرى و " الجحيم " للشاعر الايطالى دانتى ، ولكن أصل هذين العملين هو الحكيم " آنى " مؤلف كتاب " الموتى " منذ أربعة آلاف سنة ، ويوجد هذا النص فى بردية عرضها أربعين سنتيمترا وطولها ثلاثين مترا ، وتوجد الآن بالمتحف البريطانى .. وفى هذه البردية يزعم آنى انه مـــات

وسافر الى العالم الآخر ثم عاد ليروى التجربة ، ويصف رحلة الروح يوما بيوم ، منذ تفارق الجسد الى أن يتم تحنيطه ، وتجرى له المراسم الجنائزية ، ثم رحلة المومياء الى الشاطىء الغربى للنيل حيث يتم دفنها ، ثم إنتقال الروح فى مركب الشمس عبر الفضاء حتى تصل الى " المحكمة التحضيرية " التى يتصدر منصتها إثنا عشر قاضياً يمثلون بروج السماء الاثنى عشر ، وفيها يتعرف الميت على البرج الذى كان مسيطراً عليه ، ثم يروى الرحلة الى السماوات السبع ، ويصف كل منها بالتفصيل وماتحتوى عليه ، ثم يصل الى المحطة الاخيرة ، وهى محكمة الآخرة حيث تربع الاله " أوزير " على عرشة السماوى ، ثم يسجل المحاكمة والنيران والملكين اللذين يسجلان الحسنات والسيئات والاسئلة والاجوبة والدفاع ، ثم يصدر الاله حكمه بتسجيل ولادة آنى فى عالم الخلود ، ثم يتحدث بعد ذلك عن الجنة ومافيها والجحيم وزبانيته .

ومن روائع قصص قدماء المصريين قصة " البحار الغريق " التى تعود الى الأسرة الثانية عشرة وهى القصة التى نسج منها العرب قصة " السندباد البحرى " ، وحاكاها الانجليز فى قصة " روبنسون كروزو " الشهيرة .. ويروى هذه القصة بحار مصرى قام برحلة فى البحر الاحمر ، تحطمت خلالها سفينته بعد أن هبت عليها عاصفة ، وغرق كل من فيها وحملته الامواج الى شاطىء جزيرة ، ثم يروى قصته فى هذه الجزيرة ، حتى أتت اليه سفينة ذات يوم حملته مرة اخرى الى الوطن .

مثال آخر وهى قصة " على بابا والاربعين حرامى " الشهيرة والتى تدور حول حيلة ذكية تتلخص فى إخفاء عدد من المقاتلين داخل براميل تحملها قافلة من الخيل ، ويرى كثير من مؤرخى الادب أن القصة مأخوذة من ملحمة " حرب طروادة " اليونانية التى كتبها هوميروس حيث أخفى اليونانيون جنودهم داخل حصان خشبى سحبه الاعداء الى حصنهم ثم فوجئوا بخروج الجنود منه واستيلاءهم على الحصن ، وفات المؤرخون أن الاصل الاول لكل من القصتين يعود تاريخه الى عام ١٤٥٠ قبل الميلاد ، وانه مسجل فى بردية " هاريس " المصرية التى يحتفظ بها فى الوقت الحاضر المتحف البريطانى (تحت رقم ٥٠٠) كتب هذه البردية القائد المصرى " تحوتى " ووجهها الى تحتمس الثالث من فلسطين .. وتدور القصة حول " تحوتى " من ضباط تحتمس الثالث وكان مكلفا بالاستيلاء على يافا ولكنها استعصت عليه ، فأخذ يفكر فى خطة مؤداها

أن أرسل الى أمير يافا جاسوسا يخطره بأن " تحوتى " قد تمرد على سيده "تحتمس" وأنه يريد التحالف معه ، وأنه أحضر من مصر ثروة من الهدايا ومنها صولجان تحتمس السحرى الذى تكفى ضربة منه كى تفقد الاعداء الوعى ، واقتنع الامير بالكلام وقبل دعوة " تحوتى " خارج الحصن الى وليمة أقامها خصيصاً لتكريمه ، وبعد أن أخذت الخمر بعقله طلب الصولجان ، فاذا بتحوتى يهوى بهراوه ضخمة على رأسه وقبض على جميع حرس الامير ، ثم أسرع ينفذ الجزء الثانى من الخطة ، فأحضر مائتى قدر ووضع داخل كل منها جنديا مسلحاً ، وحمل كل إثنين من القدور حصان ، ثم تخفى فى زى سائس وقاد القافلة الى الحصن ومعه عدد من جنود الامير الأسير ، وأمام باب الحصن زعم أن القافلة تحمل هدايا لأمير يافا ، وفتح الحراس الابواب له ، ودخلت القافلة الى ساحة القلعة ، ثم فجأة خرج المقاتلون من القدور واستولوا على القلعة .

أما قصه شمشون ودليلة ، فقد وجدت أصولها فى " عملاق جزيرة الشياطين " مدونة على قطع متفرقة من لوحات " الاستراكا " ومنقوشة على الاحجار فى حفريات سقارة ، وقد قام بترجمتها أكثر من كاتب على مختلف العصور من بينهم " مارش " فى كتابه " حكايات الزمن القديم " و " بروكسبانك " فى أساطير الفراعنة ، وسليم حسن فى " تراجم الادب فى الدولة القديمة " .. وتحكى القصة أنه كان يوجد فى جزيرة نائية عملاق ضخم الجسم ، أسود ، بشع المنظر ، ذو قوة خارقة مما جعل الجميع يخافون الاقتراب من الجزيرة ، وكان العملاق يعيش وحيداً ، ولايوجد معه سوى الافاعى والزواحف الضخمة ، وذات يوم يجرف تيار النهر أنقاض قارب تعلقت به حسناء ، وكاد يفتك بها تمساح ، وما أن شاهد العملاق التمساح حتى رفعه بيديه القويتين ثم ألقى به بعيداً ثم حمل الحسناء بين يديه ، وبعد أن شكرته أخذ يتودد اليها ولكنها أبت حتى مجرد النظر اليه لبشاعته ، وخيرها بين أن تتزوجه أو يلقى بها الى التماسيح ، ولاتجد الفتاه مفراً من التودد إليه حتى باح لها بسر قوته وهو قلبه الكبير الذى لم يسعه جسده فاحتفظ به بين غصون قمة السنديانة الكبيرة ، وان ثعبان ضخم يحرسه.

وانتظرت الفتاة حتى وصل الفيضان وارتفعت مياه النهر الى الشاطىء ، وغمرت جذع السنديانة ، وابتعدت الحية الى أعلى التل ، وابتعدت التماسيح عن الشاطىء ووصلت الى السلة التى يوجد بها قلب العملاق وفكت رباطها فجرفتها الامواج

وحطمتها الصخور .. ثم ذهبت فى الصباح لتستحم فى ماء النهر ، وصرخت مدعية أن أحد التماسيح قد هاجمها ، وأشارت الى تمساح ضخم ولم يستطع العملاق هذه المرة أن يرفعه .. بل قتله التمساح .

كما أثبت التاريخ أن أصل حكايات ألف ليلة وليلة مصرية ، ففى برديات " وستكار " التى ترجع الى الدولة القديمة ٢٨٠٠ قبل الميلاد والتى تعتبر من أشهر البرديات التى أبدع فيها الأديب المصرى ، فخرج من عالم الواقع الى عالم الخيال ، كما تعتبر هذه القصص تطوراً فى أدب القصة بالخروج بها من إطار أساطير العقيدة الى حياة المجتمع .. وهى قصص متتابعة رويت على ألسنة الامراء التسعة من أولاد الملك خوفو فى مجالس سمره ومنها قصة " قرط الاميرة والساحر " .. وتروى أن الملك سنفرو خرج للتنزه فى بحيرة القصر مع الاميرة فى سفينته ذات المقصورة الذهبية ، وقام بالتجديف عشرون وصيفة من أجمل العذارى ، وكن يجدفن بمجاديف مكسوة بالذهب على أنغام القيثارات ، ثم تروى القصة كيف فقدت الاميرة قرطها فى الماء ، وكان على شكل سمكة بينما كانت تتغزل فى جمالها على وجه الماء ، وحزنت الاميرة فاستدعى سنفرو ساحر معبد آمون الذى تلا عزائمه السحرية ، ثم ضرب سفح الماء بعصاه فانشقت مياه البحيرة وانكشف قاعها وظهر القرط الذهبى ، ونزل سنفرو والتقطه وعين فرعون الساحر ساحراً خاصا للقصر .

كما دلت الابحاث أن أصل قصة سندريلا هى قصة " رادوبى الجميلة " وهى ضمن برديات شستر بالمتحف البريطانى ، وهى تدور فى مدينة منف حيث كان يعيش تاجر ثرى " سنوفر " فى قصره مع زوجته وابنته رادوبى ، وتصاب الأم بمرض خطير ، وقبل موتها تهدى ابنتها صندوقاً به حذاء نفيس من جلد الغزال الذهبى ، وتشير اليها الى أنه سوف يكون سبباً فى حظها .. ثم يتزوج الاب من إمرأة أخرى أنجبت بنتين أقل جمالا من رادوبى التى عوملت منهن معامله سيئة ، .. وفى أحد أعياد الربيع يعلن أن ابن فرعون سوف يختار عروساً من فتيات منف الجميلات .. وذهبت أختاها الى الحفل ، ورفضت زوجة أبيها إصطحابها ، وشعرت رادوبى بالرغبة فى التنزه ، ثم فتحت الصندوق الذى يوجد به حذاء أمها ، وأرادت إرتداؤه فهالها قذارة قدميها ، فذهبت لغسلهما ، فاذا بنسر ينقض ليخطف إحدى فردتى الحذاء ويحلق بعيدا ، حتى مر بمكان المهرجان فأفزعته الطبول فسقط منه الحذاء بين يدى الامير الذى أعجبه الحذاء

الرقيق والاحجار الكريمة التى رصعته ، وإذا به يتخيل صاحبته ، وشعر أنه اختار صاحبة هذا الحذاء .

وتمر الايام ، وهو يزور البيوت والقصور للبحث ، وتدعوه زوجة والد رادوبى لتعرض عليه ابنتيها اللتين تقيسان الحذاء فلا يلائمهما ، ثم يلمح الأمير رادوبى ، وتخبره زوجة اباها أنها إبنة البستانى ، فيخرج اليها الامير ويطلب منها أن تقيس الحذاء ، فاذا به نفس مقاسها ، وتذهب رادوبى وتحضر الفردة الأخرى لتثبت أنها سيدة القصر ثم تتم القصة بأن يتزوجها الامير ..

أول بناء حجري ضخم عرفه العالم

* * *

هرم سقارة (هرم زوسر) وضع تصميمه امنحتب (أول مهندس معماري في التاريخ) وشيد للملك زوسر مؤسس الاسرة الثالثة .. ومما يذكر أنه عثر على أول قبر للملك زوسر في " ميت خلاف " القريبة من العرابة المدفونة (بجرجا الآن) وهو على شكل مصطبة غير أن زوسر لم يرض أن يكون مقره الاخير هناك ، ويرجح أن امنحتب قد وجه نظره الى منطقة سقارة القريبة من محاجر طره حيث يسهل قطع الاحجار وبناء المصاطب ، وكان غرض زوسر أن يشرف قبره على قبور رجال بلاطه وعظماء دولته ويكون أول بناء ترسل الشمس أشعتها عليه من كل جوانبه عندما تشرق كل صباح .

وقد وضع امنحتب - الذي كان وزيرا للملك زوسر ويعد أحد نوابغ العالم - تصميمه ليكون أضخم من أي قبر شيد قبله لأي ملك من الملوك ، وكانت الفكرة الجريئة الاولى في تشييد هذا القبر أن يكون مبنياً بكتل من الحجر بدلا من الطوب ، ومن ثم شيد مصطبة كبيرة من الحجر الجيري الذي قطعه من المحاجر القريبة ، ثم كسا جدرانه الخارجية بأحجار جيرية من النوع الابيض الممتاز الذي كان المصريون القدماء يحصلون عليه من محاجر طره في الناحية الشرقية للنيل ، وقد شيد تحت تلك المصطبة ممرات وحجرات جانبية تتوسطها حجرة كبيرة استخدم في تشييدها أحجار الجرانيت لتكون حجرة دفن الملك .

ولم يقف امنحتب عند هذا الحد ، بل عاد وطور تصميمه ليميز قبر زوسر عن غيره من القبور ففكر في أن يرتفع بالبناء وذلك عن طريق بناء مصطبة فوق أخرى مراعياً أن تقل كل واحدة في الحجم عما تحتها حتى أصبح الشكل النهائي لقبر زوس هرماً مدرجاً ذا ست درجات ويبلغ ارتفاعه حوالي ٢٠٠ قدم .. وبذلك أصبح امنحتب أول مهندس معماري في التاريخ شيد قبراً يشبه الهرم في شكله العام ، ولم يكتف بهذا بل أحاط الهرم بسور كبير بارتفاع عشرة امتار ، وشيد داخل السور عدة مبان كان بعضها مخصصاً لاقامة العيد الثلاثيني للملك زوسر وبعضها الآخر كان قبراً رمزياً أو معابد تتصل بالاعياد ، كما شيد شمال الهرم معبداً قامت فيه تماثيل الملوك .

وتعد مجموعة الهرم المدرج من أهم ماخلفته مصر الفرعونية من آثار وهى تبين لنا الخطوات الاولى للمصريين عندما انتقلوا من البناء بالطوب الى البناء بالحجر .

وقد دفن الملك زوسر فى هرمه هذا ، وتقديراً منه وعرفاناً بمكانة مهندسه ، فقد أمر بكتابة اسم امنحتب على تماثيله وهذا تقدير لم يعرف له نظير لان الملك كان إلهاً معبوداً من الشعب ..

ومما يذكر ايضا عن امنحتب أنه تولى وظائف عدة فقد كان مشرفاً على إدارة قصر الملك الى جانب أنه كان حائزاً للقب رئيس المثالين ، وكان الرجل الاول بعد زوسر أى أنه كان حاكماً لأحد الاقاليم وكان كبيراً لكهنة الشمس فى مدينة أون .. وكان امنحتب بارعا فى الدين والسحر والطب والهندسة وبلغ من شدة تعلق المصريين به وحسن تقديرهم له أن رفعوه بعد موته بمئات السنين الى مرتبة الآلهه وسموه " إله الطب " .

أقدم دساتير الأدوية فى العالم

* * *

كان لقدماء المصريين السبق فى مجال الطب والدواء حيث يعد أمحوتب أول طبيب فى العالم وأشهر من مارس الطب عند قدماء المصريين الذين اعتبروه إلهاً ، وأقاموا له المعابد والتماثيل وقدموا اليه القرابين ، ومن أشهر المعابد معبد " ممفيس " ويعود الفضل فى اكتشاف مقبرته الى العالم الاثرى المشهور الانجليزى الدكتور " ايمرى " الذى كان استاذاً للآثار القديمة فى جامعة لندن .

وبالاضافة الى كون أمحوتب أول طبيب فى العالم فقد كان مشهوراً بعلوم الهندسة ، وعمل كحكيم فى بلاط الملك " زوسر " صاحب الهرم المدرج ، ونظراً لحكمته المفرطة فقد اقترن اسم امحوتب بالهة الحكمة " ابيس " .

وتدل الاكتشافات الأثرية على أن حضارة قدماء المصريين كانت من أشهر الحضارات التى ازدهرت فيها علوم الطب والصيدلة فهناك سجل عظيم طوله ٢٥٠ قدماً وعرضه ١٢ بوصة كتب فى عهد النبى موسى عليه السلام يحتوى على العديد من الادوية الشافية وطرق تحضيرها وكيفية معالجة الامراض بها ، كما أظهرت الاكتشافات الاثرية وجود آلات جراحية تدل على تقدم فن الجراحة عندهم ، وظهرت مستندات تثبت أنهم عرفوا المئات من الأدوية النباتية معظمها معروف لدينا الآن ، ولعل براعة الفراعنة فى التحنيط أكبر دليل على طول باعهم فى معرفة علمى التشريح والكيمياء ، كما عرفوا المقيئات والمسهلات ومدرات البول ، وأقاموا مدارس خاصة لتعليم الطب أهمها " مدرسة " أون (هليو بوليس) ومدرسة " سايس للقابلات " ومدرسة " طيبة " المشهورة بمكتبتها العظيمة .

وقدماء المصريين هم أول من اكتشف أدوية التخدير لمنع الألم كما برعوا فى العمليات الجراحية كالختان والخصى وتجبير الكسور والنقب (فتح الدماغ) كما كانوا أول من مارس جراحة التجميل .

وهناك عدد من البرديات الهامة التى تدل على براعة المصريين فى هذا المجال أشهرها " بردية كاهون " وقد اكتشفت عام ١٨٨٩ بمدينة كاهون الفرعونية بالفيوم وتعود الى الأسرة الثامنة عشرة (١٩٠٠ ق . م) وجزء منها مخصص للطب البيطرى ، وتحتوى على ٣٥ وصفة طبية لامراض النساء والتوليد وتشخيص قدرة الانجاب عند المرأة وجنس الطفل .. وأيضا بردية " أدوين سميث " وقد اكتشفت فى الاقصر عام ١٨٦١ وذكرت فيها ٤٨ حالة من الجروح والكسور والاورام والقرح وكيفية معالجتها .

وتعد بردية " ايبرس " اشهر البرديات قاطبة واكتشفها العالم الالمانى ايبرس فى الاقصر وهى الآن فى متحف ليبزج ، وتحتوى على ٨١١ وصفة طبية طولها ٢٠ مترا وعرضها ٣٠ سم وتشتمل على اسماء الادوية الخاصة بكل عضو من أعضاء الجسم ، بالاضافة الى وصف تشريحى لجسم الانسان ، وتعود الى عام ١٥٥٠ ق . م ، كما تدل هذه البردية على مهارة الفراعنة فى تحنيط الموتى ، وأنهم تعرفوا على وظيفة القلب والاوعية الدموية .

ومن البرديات الهامة بردية " هيرست " التى عثر عليها فى دير البلاص عام ١٩٠١ وتحتوى على ٢٦٠ وصفه طبية ويعود تاريخها أيضا الى ١٥٥٠ ق . م .. وبردية لندن وتوجد فى متحف لندن منذ عام ١٨٦٠ وتحتوى على ٦٣ وصفة سحرية لمعالجة أمراض العيون والحروق وأمراض النساء ، وبردية برلين التى تم العثور عليها قرب اهرام سقاره وهى بمتحف برلين منذ عام ١٨٨٦ وتحتوى على ١٧٠ وصفة طبية .

وتعتبر البرديات أقدم مؤلف يضم الوصفات الطبية وطرق تحضيرها ، ولذلك فهى تعد أقدم دساتير الادوية فى تاريخ العالم .

الوحيدة الباقية من عجائب الدنيا السبع

* * *

تعتبر أهرام الجيزة وأبو الهول الوحيدة بين عجائب الدنيا السبع التى ظلت قائمة حتى الآن .. ومن الجدير بالذكر أن مصر يوجد بها إثنتان من عجائب الدنيا السبع هما الاهرام ومنارة الاسكندرية .

ومما يذكر أن هناك عصر أطلق عليه اسم عصر بناة الاهرام وهو يبدأ بقيام الاسرة الثالثة وينتهى بانتهاء الاسرة السادسة ، وقد أطلق عليه هذا الاسم لكثرة ماشيده ملوك تلك الاسر من الاهرام التى لاتزال باقية الى اليوم ، شاهدة بما بلغه ملوك ذلك الزمان من قوة ، وماوصل اليه الشعب من مدنية وحضارة ، على أن بناء الاهرام لم يقف تماما بسقوط الأسرة السادسة بل إنه استمر بدرجة أقل حتى نهاية الاسرة الثانية عشرة .. وهناك حوالى ٧٠ هرماً معروفاً أقدمها هرم زوسر المدرج فى سقارة .

كان المصريون فى عصر ماقبل التاريخ يدفنون موتاهم فى حفر فى الارض ، ثم تدرج بعد ذلك بناء المقابر ، فشيد الملك زوسر مؤسس الاسرة الثالثة قبراً على هيئة مصطبة كبيرة بميت خلاف قرب أبيدوس ، ثم بنى قبراً آخر من الحجر على هيئة ست مصاطب ، ثم أخذ المصريون يدخلون التحسينات على الهرم المدرج لاخفاء تدرج الصخور ونشأ مايعرف بالهرم الكامل .. وقد بنى الملك سنفرو مؤسس الأسرة الرابعة لنفسه هرمين بجهة " ميدوم " بين منف والفيوم ، وهو على نمط الهرم المدرج ويسميه الناس " الهرم الكاذب " لعدم انتظام شكله .

ثم خلف خوفو سنفرو فى الحكم ، وبدأ فى بناء أول أعظم الأهرام وأضخمها وأشهرها ، وكان ذلك على الضفة الغربية للنيل ، وهى أهرام ملوك الاسرة الرابعة خوفو وخفرع ومنقرع ، وهذه الاهرام منشأة على قواعد مربعة ، ولكل منها أربعة جوانب مثلثة الشكل ، تقابل الجهات الأصليه الأربع ، وتميل على سطح الارض بزاوية قدرها ٥٠ درجة تقريباً ، وتلتقى هذه الجوانب فى قمة مدببة .. وقد أثبتت الابحاث العلمية

الحديثة أن الهرم الاكبر على الأقل لم يشيد لمجرد الترف ، وإنما صممت أبعاده وخطوطه بحيث تكشف عن حقائق علمية لم يتوصل العلم اليها إلا فى عهود قريبة .

ولقد بنى خوفو هرمه (أكبر مقبرة في التاريخ) على قاعدة مساحتها ١٣ فدانا وارتفاعه ١٤٦م تقريبا ثم تحطم جزء من قمته فصار الآن ١٣٧م ، وطول كل جانب من جوانبه ٢٣٣م .. ويقع مدخل الهرم من الواجهة البحرية في مواجهة النجم القطبى الذى لايغيب عن الافق الشمالى ، وكان خوفو يعتقد أن هذا النجم الذى لايأفل يضمن لروحه الخلود والدوام ، والمدخل على إرتفاع ١٥ مترا من القاعدة ، وتوجد غرفة دفن الملك على ارتفاع ٤٢ متراً من سطح الارض والغرفة كلها من الجرانيت الداكن ، ارتفاعها ستة امتار وعرضها خمسة امتار وطولها عشرة أمتار ونصف متر ، ولا يوجد بها إلا تابوت فارغ من الجرانيت ليس له غطاء ، وبها منفذان للهواء يصلان الى خارج الهرم .. ويعلو الغرفة خمس حجرات صغيرة بعضها فوق بعض ، وهى حجرات فارغة لتخفف ضغط البناء على حجرة الملك .

وقد استغرق بناء هذا الهرم عشرين عاما ، واستخدم فى بنائه مائة ألف عامل كان يستبدل بهم غيرهم كل عام .. ويقدر عدد الأحجار التى استخدمت فى بنائه بمليونين وثلثمائة ألف حجر ، يزن الواحد منها طنين ونصف ، وكانت هذه الأحجار بعد قطعها تحمل الى حيث يبنى الهرم على زحافات تجرى على أحجار مستديرة ، ثم ترفع بالبكر من أسفل الى أعلى ، ويدل استعمال المصريين لهذه الطريقة على ماتوصلوا اليه من مهارة فى فن البناء ، وبعد أن تم بناء الهرم كسى بأحجار بيضاء ملساء ولكنها أزيلت عن الهرم فى بعض العصور التالية .

وكان العمل فى بناء الاهرام يجرى فى أوقات الفيضان ، حيث تكون الارض مغمورة بالمياه والفلاحون بغير عمل .

ثم جاء الملك خفرع ، ورأى أن يقلد أباه فبنى هرماً أخر بجوار الهرم الاكبر ، أقل منه حجماً حيث يبلغ ارتفاعه ١٤٣م ، وبسبب تساقط أحجار قمته أصبح ارتفاعه الآن ١٣٦م ، وهو ينحدر إنحداراً شديداً ، وهو يقوم على هضبة أكثر ارتفاعاً ولذلك فــإن

قمته ترتفع أكثر من هرم خوفو ، ومن أهم مايميز هذا الهرم الغطاء الذى يكسو قمته والتى مازالت تحتفظ بطبيعتها الاصلية ، وقاعدته محلاة بالجرانيت الاحمر .. ويقال أن عهد خفرع كان مليئاً بالخلافات ولذلك لم يترك آثاراً تذكر غير هرمه .

وتولى حكم مصر بعد خفرع ابنه منقرع ، وبنى الهرم الثالث وكان إرتفاعه ٦٦ متراً ، وارتفاعه الآن ٦٣ مترا ، وكان يسمى " نتريت " " أى الالهى " ، ويختلف عن الهرمين فى أن كسوته من حجر الجرانيت الاحمر ، ولكن هذه الكسوة لم تكمل لان الملك مات فجأة ، وقد عثر الباحثون على بقايا تابوت خشبى فى حجرة الدفن فى الهرم كما عثروا فى معبد الوادى على تمثال واحد للملك وزوجته وأدوات فنية على درجة عالية من الاتقان .

وكان ملحقاً بكل هرم معبد خبائزى للطقوس ، وعدد من المصاطب دفن فيها النبلاء المقربون من الملك .

ومما ينبغى ذكره أنه يوجد فى العالم منشآت أخرى تشبه الاهرام الفرعونية ، ولكنها ليست كاملة فى هندستها ، ولاتبلغ مبلغها من الضخامة ، فقد شيد الآشوريون أهراماً أقيمت على قممها معابد للطقوس الجنائزية والدينية ، كما أن هناك أهراماً أخرى بنتها قبائل " المايا " فى امريكا الوسطى وفى المكسيك ، وحاول الرومان أن يقلدوا الفراعنة وبنوا أهراما صغيرة فى روما .

مراكب الشمس

* * *

اكتشفها المصرى كمال الملاخ بجوار الهرم الاكبر عام ١٩٥٤ بعد بحث استغرق أكثر من أربع سنوات .. ويعد هذا الكشف أضخم كشف أثرى بعد اكتشاف كارتر لمقبرة توت عنخ آمون فى وادى الملوك بالاقصر .

وقد بدأ البحث عن هذه المراكب بعد حادث وقوع تلميذ صغير فى فجوة كانت فارغة وراء الاستراحة الملكية شرق شمال الهرم الأكبر ، وبدأ بعد ذلك الاهتمام بتسوير هذه الفجوات ، لبدأ الاهتمام بالكشف عما بها .

ومما يذكر أن الشمس كانت هى الكيان الاكبر لقدماء المصريين ، وكانت ذات أثر عظيم فى حياتهم ، وربط المصرى مصيره بمصيرها ، فهى معبوده الأول والأكبر ويرتبط خلوده بخلودها .. واعتقد المصرى أنه لكى يصل الى العالم الخالد كان عليه أن يبقى جسده بعيداً عن أن يفنى حتى يحفظ به روحه ، وقد حفظ جسده عن طريق التحنيط ، أما الروح فطالما أن اعتقاد المصرى راسخ فى أنه لا أمل فى خلوده إلا ببقاء جسده وروحه وازدواجهما فى زيارات متعاقبة تحددها شرائع دينهم ، فقد راح الفراعنة يدسون حول اهراماتهم عدداً من المراكب داخل مخابىء منحوتة فى صخرة الهضبة المقام عليها الهرم ، حتى إذا ما جاء الكاهن الاكبر كل صباح وتلا بجوارها تعويذة معينة فإنهم يتخيلون أن قوة سحرية غير منظورة ستدفع المركب لتسبح فى محيط الفضاء حاملة الروح لتتبع مركب الشمس التى تخيلوا انها ايضا تنتقل فى مجراها عن طريق مركب من ذهب طوله ٧٥٠ ذراعا مصريا (الذراع طوله ٣ر٥٢سم).

وقد اكتشف كمال الملاخ ٣ فجوات لمراكب الشمس محفورة فى ربوة أهرام الجيزة إثنتان منهما لمركبى الشمس الخاصتين بالملك خوفو ، الشرقية فى رحلة الشمس نهاراً والغربية فى رحلة الشمس ليلاً ، والثالثة لمركب الشمس الخاصة بالملكة زوجة خوفو .. وكان قدماء المصريين يرون أن المركب تمر من ١٢ بوابة نهاراً و١٢ بوابة ليلا ، وكانت مراحل الرحلة هى بمثابة تقسيم لليوم الى ٢٤ ساعة فضلا عن معرفتهم لدوران الارض قبل جاليليو بقرون طويلة .

ويعد مركب الشمس لخوفو أضخم مركب قديم كشف عنه التاريخ حتى الآن ، ويبلغ طوله نحو ٤٥ مترا وأقصى عرض له ٦ أمتار ، وترتفع مقدمته ٦ أمتار ومؤخرته ٨ أمتار ، تعلوه مقصورة يعتمد سقفها على ٣ أعمدة نخيلية التيجان ، وتمتد أمامها سقيفة بالقرب من مقدمة المركب ليحتمي في ظلها قائده الربان ، ولها ١٢ مجدافاً ٥ على كل جانب ، غير مجدافين طويلين عند المؤخرة .

المركب مؤلف من ٦٥٠ جزءاً جمعت من ١٢٢٤ قطعة من الخشب تختلف أطوالها من ٥ سم الى ٢٣ متراً ، ولبعضها إنحناءات تناسب إنسيابات هيئة المركب ، وقد تطلب بناء المركب ٥ كيلو مترات من الحبال في تدكيك وربط اجزائها من خلال ٤٠٠٠ ثقب لاتبدو من الخارج مطلقا ولامن على سطحها .

وقد وضع قدماء المصريين قطعاً من بخور ومسك وعطر نفاذ درءاً من هوام الحشرات كي لاتقرب أخشاب المراكب وتقرضها .. وقد نجحوا في ذلك تماماً ، وسلمت طوال ٤٧ قرنا من الزمان .

وقد أقيم متحف على المركب الشرقي من مركبي خوفو ، وهو المتحف الوحيد في مصر الذي يعرض قطعة أثرية فريدة واحدة .

من الذى حطم أنف أبى الهول ؟!

* * *

ذكر المقريزى أن رجلاً صوفياً يدعى صائم الدهر هو الذى حطم أنف أبى الهول رمز للوثنية ، وكانت النساء تتبرك به وتتقدم له النذور ، ويقال أن عاصفه رملية هبت على الأراضى الزراعية الممتدة من هضبة أبى الهول الى النيل فأتلفت المزروعات وأهلكتها ، ونسب الناس ذلك الى غضب أبى الهول لتشويه انفه .

ففى عهد الملك خفرع نحت تمثال أبى الهول عند سفح الاهرام والذى يعد أعجوبة عجائب الفن الفرعونى القديم ، وكان عبارة عن كتلة كبيرة واحدة من الحجر على مقربة من الأهرام ، وكانت عائقاً يفسد منظر الهرم الثانى ، ويمثل عائقاً أمام تعبيد طريق بين معبد الوادى والمعبد الجنائزى عند هرم خفرع ، واقترح مهندسو الملك خفرع أن يصنعوا من هذه الكتلة تمثالا ضخما متوجهاً للشرق - ولهذا كان اسمه فى الهيروغليفية " حر . ام . اخت " أى حورس الذى يتطلع الى مولد نور الشمس - فى هيئة تجمع بين جسد أسد رمزاً للقوة والصلابة وبين رأس انسان يتسم بالوقار والحكمة فى أبد الدهر معبرة عن سلطان العقل عندما يلتقى مع جبروت القوة ، كما انحنى ذيله الطويل على مؤخرته ، وانتهت خصلة الذيل على هيئة رأس أفعى لتحميه من الحسد ولهذا جاء هذا الشكل السيريالى الفنى قبل أن يبدع إنسان القرن العشرين السيريالية بقرون طويلة .

ويعلو رأس التمثال جزء من التاج وبقية من الحية " رمز الملكية " - كانت الكوبرا تحمى العرش شمال مصر - التى كانت على جبهته ، وقد سقطت الحية واللحية وهما محفوظتان بالمتحف البريطانى الآن ، وكان بحاراً ايطالياً يدعى " جيوفانى كافيلا " قد وجد قطعتين من ذقن أبى الهول فى رمال منطقة الاهرام وقام بتهريبهما الى لندن عام ١٨ م .

وقد غطت الرمال تمثال أبى الهول عدة مرات فى العصور المختلفة ، وأول مرة أزالها عنه الملك تحوتمس الرابع (١٤٢٥ - ١٤٠٥ ق.م) وقد سجل لنا ذلك على لوحة جرانيتية تقع بين مخلبى التمثال فيقول " إنه خرج مرة للصيد فى الصحراء ثم غلبه النعاس وقت الظهر فافترش الارض وراح فى النوم ، ورأى فيما يراه النائم الملك

خفـــرع فى هيئة أبى الهول ، وقد أقبل عليه يبشره بأنه سيعتلى عرش مصر ، وطلب منه أن يزيل عنه الرمال التى تثقل كاهله (وكان أمراً غريباً لانه لم يكن ولياً للعهد) وعندما تحققت الرؤيا وارتقى تحتمس الرابع العرش أزال عنه الرمال .

ثم عادت الرمال لتغطى جسم التمثال وأزيلت عدة مرات ، وفى عهد البطالمة والرومان رمم التمثال وأضيف اليه مذبح القرابين وكذلك السلالم التى تقع بالجهة الشرقية .. وفى عام ١٨١٨ م قامت احدى جمعيات الحفر الانجليزية بإزالة الرمال ، كما قامت مصلحة الآثار المصرية عام ١٩٢٦ بازالة الرمال التى غطته حتى العنق ليبرز التمثال بأكمله .

ويلاحظ أنه فى أثناء فترة حكم الاسرة الثامنة عشرة ، أقبل المصريون على هذا الاثر الخالد العجيب مقدسين له ، متوسمين فيه رمزاً للشمس ، منبع حياتهم يطلقون عليه احيانا " شبس عنخ " أى مانح الحياة بالهيروغليفية وهو من أولى الاسماء التى سمى بها وأحيانا اخرى يسمونه " حور صاحب الافق ".

وفى عهد الدولة الحديثة استقبلت مصر وفوداً عديدة من أقطار آسيا ، واتخذ الكنعانيون من سفح هذه الهضبة والى جوار أبى الهول مستقراً لهم ، وقد كان لهم إلهاً يعبدونه يسمى " حور حورون حول " ويرمزون له بطائر فى هيئة الصقر ، ومن شدة إعجابهم بأبى الهول لم يجدوا حرجاً فى خلق صلة قوية بين معبودهم وبين الشمس التى قدست فى هذا الاثر ، ومن هنا أطلق الكنعانيون على هذا الاثر المصرى اسم حور أو حول واتخذوا منه بديلا عن إلههم كما أطلقوا على الساحه المحيطة به " بوحور .. أو بوحول " وتعنى بيت حور أو بيت حول ..

أما الاسم الحالى والشائع " أبو الهول " فله عدة تفسيرات يعد أقربها الى الصواب تفسيران أولهما :- أن كلمة أبى الهول قد تكون تحريفاً لغوياً حدث على مر الزمان وعلى أيدى المصريين لهذا الاسم الكنعانى " بوحور أو بوحول " والثانى فيرجع سببه الى الاغريق حيث كان هذا الاسم يطلق على مارد مشابه له جسد أسد وجزؤه الاعلى لامرأة وكان رابضاً فوق صخرة عالية على مشارف طيبة الاغريقية ، وكما ورد فـــى

الاسطورة الاغريقية التى تدور حول أبى الهول الاغريقى أن الآلهه أرسلت به الى أهل طيبة لتنتقم منهم فكان يعترض طريق كل من يدخل المدينة أو يخرج منها ويسأله : من هو الكائن الذى يمشى فى الصباح على أربع وفى الظهيرة على اثنين وفى المساء على ثلاث ؟ ويعجز الناس عن الاجابه فيقتلهم حتى اقبل أوديب فأجابه قائلا : إنه الانسان (يلاحظ أن الصباح والظهيرة والمساء يقصد بها مراحل عمر الانسان الطفولة والشباب والكهولة) .

مصر تسجل
أولى الرحلات في تاريخ البشر

* * *

لقد وثق قدماء المصريين أولى الرحلات المعروفة فى تاريخ البشر .. ولم يسبقهم فى ذلك أحد .. وتعتبر قصة " سنوحى " أقدم رحلة موثقة فى التاريخ على الاطلاق .. وتعود الى الاسرة الثانية عشرة .

ومجمل هذه القصة أن امنمحات الاول مؤسس الاسرة الثانية عشرة توفى بينما كانت رحى الحرب دائرة بين مصر والليبيين ، وكان ابنه وولى عهده سنوسرت على رأس الجيش المحارب ، وتحت إمرته قادة من بينهم أمير يدعى " سنوحى " لم يكن معه على وفاق ، فلما وفد رسول البلاط ينبىء سنوسرت بوفاة ابيه ، وتوليته العرش بعده ، سمع بذلك سنوحى ، وقرر الفرار خوفاً على حياته من الملك الجديد ، فعبر النيل ، ومر بعين شمس ، ثم سار فى الصحراء شمالا الى سيناء ، وعلى الرغم مما حل به من تعب وجوع وظمأ ، تجلد وواصل السير حتى نزل على أحد البدو ، وكان رئيسا لاحدى القبائل ، فأحسن لقاءه وقدم له الماء واللبن ، ولما استراح من التعب ، عاد يواصل رحلته حتى وصل الى بلاد الشام وتنقل بين قبائلها ، حتى استقر به المقام اخيراً عند رئيس قبيله من البدو ، فحدثه سنوحى عن أمره ، فأكرم رئيس القبيلة وفادة الامير ، وزوجه كبرى بناته ، وجعله رئيساً لاحدى القبائل ومنحه أرضا تنتج عنباً وتيناً وزيتوناً وقمحاً وشعيراً وقطيع كبير من الماشية .

ولما عظمت مكانة سنوحى فى البادية ، وارتفعت منزلته عند رئيس القبيلة ، ثارت الغيرة والحسد فى نفس أحد سكان البادية ، وكان مهاباً قوى السطوه عظيم البطش ، فاعتزم قتل سنوحى ليحل محله ، ويستولى على أرضه وأملاكه ، فنازله سنوحى فى جمع من البدو وتجلت براعته فى الحرب ، حتى أرداه قتيلا بسهم صوبه نحو نحره ، فهتف الناس بحياة الأمير المصرى الذى أراحهم من شر ذلك الطاغية .

ولما طالت الغربة بسنوحى وسارعت اليه الشيخوخة ، خشى أن يدركه الموت ، وهو بعيد عن مصر ، فحن اليها وبعث برسول أمين ، يحمل رسالة الى الملك سنوسرت الاول

يظهر فيها ولاءه ، ويصور حاله من الضعف والشيخوخه ويلتمس منه المغفرة والسماح له بالعودة الى الوطن .

وعاد الرسول الى سنوحى ، يحمل أمر الملك بالعفو عنه ، والسماح بعودته ، فوزع ثروته هناك بين أبنائه ، وعين اكبرهم رئيسا مكانه ، ثم أسرع الخطى الى الوطن ودخل القصر الملكى وهو ذاهل من فرحته ، فقابله الملك والملكه والنبلاء بحفاوة وإكرام بالغين .

وكانت الغربة قد غيرت كثيرا من شكله ومظهره ، حتى أن الملك قال مداعباً من حوله : " انظروا .. هذا سنوحى ، غادرنا مصريا ، وعاد الينا أسيويا ، وفارقنا متمدناً ، وارتد الينا بدوياً " .

وقص سنوحى على الملك قصته فادخله فى بلاطه ، وأنزله فى قصره الملكى ، فارتدى الملابس الملكية وحلق لحيته ، ووضع على رأسه شعراً مستعاراً ، جرياً على عادة نبلاء المصريين فى هذا العصر .

والقصة تصور حياة البدو فى الصحراء ، وتصف معيشة الخيام ، وكرم البدو وشجاعتهم وحروبهم ، وتصور كذلك بعض العادات المصرية فى قصور الملوك فى ذلك العهد .

المسلات المصرية

* * *

" لقد أقمت هذا النصب لتعجب به الأجيال القادمة من بعدى " .. نقشت هذه العبارة على واحدة من أشهر المسلات المصرية وهى مسلة الملكة حتشبسوت بالكرنك ، ومضت القرون الطويلة لتؤكد هذا المعنى ، فمازالت كثير من مدن العالم تشهد بذلك السبق المعمارى الفنى الذى أحرزه المصريون منذ فجر التاريخ .

وكانت المسلات تقام أصلا لإله الشمس - الإله الاكبر عند قدماء المصريين - ومن ثم فالمسلة هى رمز النور والحياه ويقال انها ترمز بهيئتها لشعاع الشمس ، وكانت تنحت من نوع من الحجر المسمى (السينيت syenite) وسمى كذلك لانه يستخرج من سيين (اسوان الآن) وهو نوع من الجرانيت الضارب الى الحمرة لشبه لونه بلون الاشعة ، كما كان يستخدم البازلت الرمادى القاتم .. كما أن الهرم الذى فى قمتها كان يكسى أحيانا بالذهب لتنعكس عليه الاشعة فى المعبد وكأنه عرش الشمس .

وقد اشتهرت مدينة " اونو " (وهى منطقة عين شمس حاليا) بقيام عبادة الشمس فيها منذ أقدم العصور ، وكان يوجد بمعبد الشمس فيها قطعة من الحجر هرمية الشكل ، وعندما لاحظ الكهنة المصريون أن طائراً معينا يحط فى وقت من السنة على هذا الحجر الهرمى ، اعتقدوا أن هذا الطائر هو إله الشمس وانه اتخذ هيئة الطائر ليزور معبده ، كما اعتقدوا أن إله الشمس يحب الشكل الهرمى ولذلك رمزوا له بعمود قاعدته مربعة وقمته على شكل هرم وهو مايعرف باسم المسلة .

والمسلة عمود ينحت كله من صخرة واحدة ، ولها أربعة جوانب مسطحة ترتفع مستقيمة فيكون قطاع المسلة مربع تقريباً وتأخذ فى ميل تدريجى خفيف كلما ارتفعت ثم تنتهى بهرم صغير تميل جوانبه على مستوى جوانب المسلة ، وتقام المسلة عادة على قاعدة مكعبة تستقر على درجة أو اثنتين .. وكانت المسلات تقام عند مداخل المعابد ، واحدة على كل جانب - كما وضعت مسلات صغيرة فى مقابر الدولة القديمة وعلى جوانب المسلة كان يسجل اسم الملك وألقابه ، كما كانت الشمس تنقش عليها فى هيئة قرص تمجيداً للإله رع رب الشمس مصدر الحياة ... وعلى الرغم من أن الغرض

الاساسى من إقامة المسلات كان غرضاً دينياً الا أن الامر تطور فأصبحت تقام فى مناسبات معينة .

وكانت المسلة تسمى عند قدماء المصريين " تخنو " او " بن بن " ويطلقون هذه التسمية على قمتها الهرمية ثم أطلق عليها اليونانيون " اوبيلسكو " عندما شبهوها بإبرة الخياطة الطويلة " المسلة " والتى ظلت فى العربية وصفاً لها .

والذين أقاموا مسلات عملاقة من الفراعنة ملوك قلائل ومنهم سنوسرت الاول ، وتحوتمس الاول وحتشبسوت وتحوتمس الثالث ورمسيس الثانى ، أما المسلات الصغيرة فكانت كثيرة صنع اكبر عدد منها فى عهود الاسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة .

وأقدم مسلة فرعونية لاتزال موجودة حتى الآن فى أحد ضواحى مدينة هليو بوليس (المطرية الآن) واقيمت عام ١٩٥٠ ق.م وأقامها الملك سنوسرت الاول من ملوك الاسرة الثانية عشرة ويبلغ ارتفاعها حوالى ٢٠ متراً ، وهى مكونة من قطعة واحدة من الصخر قاعدتها مدفونة فى التربة كما انها لازالت قائمة فى البقعة التى كانت تشغلها قديما مدينة عين شمس المشهورة بجامعتها التى تعتبر أقدم مراكز العلم والمعرفة فى تلك العصور .

ومما يذكر أن عدداً كبيراً من المسلات المصرية قد تفرق فى مختلف أنحاء العالم بسبب الغزوات والحروب فعندما دخل الفرس مصر عمدوا الى تكسير عدد كبير منها وسرقة السبائك الذهبية المحلاة بها ، كما نقل أحد ملوك الاشوريين إحدى هذه المسلات على سبيل التذكار واقامها فى إحدى مدن بلاده .

وأضخم مسلة بنيت حتى الآن هى المسلة المقامة بميدان "سان جيوفانى اللاتيرانى " بروما حيث يبلغ ارتفاعها مايزيد على ٣٠ متراً ، كما يقدر وزنها بحوالى ٤٥٥ طناً ، وكانت مقامة فى الاصل " فى طيبة " ثم نقلت الى الاسكندرية حوالى عام ٣٣٠ للميلاد بأمر من الامبراطور الرومانى " قسطنطين الاكبر " ومنها نقلها قسطنطينوس " الى روما فاقيمت اولا فى ساحة " مكسيموس " .

وقد استهوت المسلات الحكام الرومان فأخذوا مايزيد على ١٢ مسلة ، وأقاموها في جهات متفرقة من أنحاء امبراطوريتهم الواسعة ، واهتم رجال الدين بما بقى من هذه المسلات في روما ووضعوا فوقها الصلبان كما أحاطوها بنافورات المياه وتوجد مسلة في كل من فلورنسا وبرلين ومسلتان في استانبول .

وفي عام ١٨٣١ أهدت مصر احدى مسلتي الاقصر الى ملك فرنسا ، وبعد خمس سنوات اقيمت هذه المسلة وسط ميدان الكونكورد بباريس ، وكانت تقام فيه منصات الجلادين حيث أعدمت مارى انطوانيت ولويس السادس عشر وعدد من الامراء في بداية الثورة الفرنسية .. وقد حضر ملك فرنسا لويس فيليب احتفال اقامتها مع ٢٠٠ الف نسمة من أهل باريس وسط الميدان يوم ٢٥ اكتوبر ١٨٣٦ .

وقد أقام هذه المسلة رمسيس الثاني ونقلت من أمام معبد الاقصر وهي تزن ٢٢٧ طنا وارتفاعها ٢٢٫٥٥ متراً ويعرض متحف اللوفر قاعدتها الاصلية .

ومن أشهر المسلات المصرية المسلتان المشهورتان باسم " مسلتي كليو باترا " وهي تسمية خاطئة حيث صنعتا قبل عصركليو باترا بزمن طويل في القرن الخامس عشر قبل الميلاد تخليدا لاسم فرعون مصر تحتمس الثالث ، وعندما اعتلت كليو باترا عرش مصر نقلت المسلتين الى الاسكندرية لتزين " القيصر يوم " قصر الحاكم الروماني بالاسكندرية ، وظلتا حتى عام ١٨٧٧ في المكان الذى تشغله الآن محطة الرمل .. ويبلغ طول كل منهما حوالى ٢٣ مترا ووزنها حوالى ٢٠٠ طن .

وقد اهديت احدى المسلتين وهي القائمة على ضفة نهر التيميز في بريطانيا عام ١٨١٩ ولكنها لم تصل الى لندن إلا عام ١٨٧٧ ، ومما هو جدير بالذكر أن هذه المسلة أصيبت بخدش من شظايا القنابل اثناء الحرب العالمية الثانية .. أما المسلة الثانية فقد اهدتها مصر الى الولايات المتحدة عام ١٨٧٩ وتوجد الآن في ميدان سنترال بارك بمدينة نيويورك .

ومن اشهر المسلات المصرية " المسلة الناقصة " وهي اطول وأضخم مسلة وإن لم يتم قطعها من محاجر اسوان الجرانيتية ، ويبلغ طولها حوالى ٤٢ مترا ، كما يبلغ

وزنها فى حالة إتمام قطعها ١١٦٨ طناً .. غير أن تاريخ هذه المسلة لايعرف على وجه الدقة لخلوها من النقوش التى لم تكن تنقش إلا بعد قطعها تماماً ، ولكن يحتمل أن تكون من عهد الملكة حتشبسوت حيث تميز عهدها بقطع المسلات الكبيرة ، ولم يتم قطع مسلة اسوان لاكتشاف عيب فى صخرها .

وكان قدماء المصريين إذا أرادوا قطع مسلة من المحاجر تأكدوا أولا من سلامة الصخور المراد قطعها ، وكانوا يشعلون ناراً فوق الصخور الجرانيتية ، ثم يصبون الماء عليها لتتفتت الطبقة السطحية التى ينبغى التخلص منها ، ثم يسوى السطح بكرات من حجر الدولوريت ، وكانوا يرسمون شكل المسلة على سطح الصخر بحبل مغموس فى لون ، ويعمقون هذه الخطوط بآله معدنية حادة ليتضح شكل المسلة للعمال ، ويأخذ العمال فى حفر خندق على جانبيها ، واذا ماتم فصل المسلة من جانبها بدىء بفصلها من تحتها وكان هذا عملا شاقاً للغاية ، ويظن انه كان يتم بحفر ممرات على مسافات معينة ، وكانت هذه الممرات تحشى بالخشب او الحجر لترتكز المسلة عليها عندما يتم سحق الصخر فيما بين هذه الممرات .. ثم ترتفع بعد ذلك المسلة لتنطق باعجاز هؤلاء المصريين .

أنبياء الله فى مصر

* * *

كانت مصر مقصداً للانبياء ، جاء اليها ابراهيم عليه السلام هرباً من المجاعة فى فلسطين وتزوج منها هاجر أم اسماعيل عليه السلام جد العرب ، ثم جاءها يوسف عليه السلام وعاش بها ، ثم ولد بها موسى عليه السلام وتلقى فيها رسالته .. ثم جاءت اليها السيدة مريم والمسيح عليه السلام وعاشا بها اثنى عشر عاما .

أقبل ابراهيم عليه السلام من فلسطين الى مصر يطلب فيها الشبع والرى من بلاد أصابها القحط والجفاف ، وكان مجيئه اليها على الارجح والمشهور أيام الاسرة الثانية عشرة ، حيث هبط عن طريق ممهد بآسيا إذ كانت قوافل التجارة ترد على مصر .. وقد أقبل ابراهيم عليه السلام الى مصر مع احدى قوافل البدو ، ومن المؤكد أنه أقبل على مصر بعد أن سمع بما كان فى مصر يومئذ من الرخاء والامن والسلام .

وقد تزوج ابراهيم عليه السلام من السيدة هاجر وهى من قرية فى شمال مصر على بعد ثلاثة كيلو مترات من الساحل الشمالى وتعرف اليوم آثارها " بتل الفرما " وقد أنجبت هاجر من ابراهيم عليه السلام اسماعيل عليه السلام أبو العرب والذى ينتسب اليه الرسول صلى الله عليه وسلم .. وقد شاء الله أن يخلد تلك الفتاة المصرية فيفرض على عباده السعى – كما سعت – بين الصفا والمروة حاجين أو معتمرين .

ثم جاء الى مصر يوسف عليه السلام أيام الهكسوس ، وفى ذلك الوقت كان ملوك الهكسوس قد أدخلوا بعض المصريين من أهل الدلتا فى خدمتهم وأنتحلوا بعض عادات المصريين وبعض أسمائهم وربما دل على ذلك اسم العزيز الذى اشترى يوسف وأدخله فى خدمته " فوطيفا رع " .

وتبدأ قصة يوسف عليه السلام بالحقد الذى ثار فى نفوس إخوته لما رأوا من حب أبيه وإيثاره عليهم فاجتمعوا على المباعدة بينه وبين أبيه ، وألقوه فى البئر ، وجاء بعض الناس وأخذوه من البئر وباعوه ، ولقد حمل يوسف الى مصر حيث كانت تجارة الرقيق من البنين والبنات الآسيويين تلقى يومئذ رواجاً ، وبيع يوسف لعزيز مصر "فوطيفا رع"

حيث أنزله منزلاً طيباً وأوصى به امرأته . " وقال الذى اشتراه من مصر لامرأته أكرمى مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً (يوسف - ٢١) .

ثم بدأت قصة يوسف بعد ذلك كما هو معروف مع إمرأة العزيز التى حاولت أن تراوده عن نفسها وانتهاء المؤامرة به الى السجن ، ثم تفسيره للاحلام فى السجن ، وتأويله للحلم الذى رآه الملك عن البقرات السبع الثمان والتى يأكلهن سبع عجاف ، وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات ، وفسر يوسف ذلك بانه يأتى سبع سنوات جفاف يأكلن محاصيل السنوات السبع السابقة والتى تميزت بالخير ، ثم يعم الخير بعد الجفاف ، ودفع ذلك الملك الى أن يعينه على خزائن مصر ، ثم التقى بعد ذلك مع اخوته الذين ألقوه فى البئر صغيراً ، وما استتبع ذلك من مجىء يعقوب وأولاده الى مصر ، وقد عاشوا فى أرض جاسان وهى فى شمال بلبيس ويقول العلماء أنها نواحى الصالحية .

وفى عهد الاسرة التاسعة عشرة ، وفى ظل الرعب الذى فرض على بنى اسرائيل من حيث قتل أولادهم الذكور ، ولد موسى فأوصى الله الى أمه أن تلقيه فى اليم ، والتقطه آل فرعون ، وتربى فى قصر فرعون ، ثم حدث أن قتل موسى عليه السلام أحد المصريين وهو يناصر إسرائيليا من شيعته وماتلى ذلك من خروجه من مصر هارباً حيث ولى وجهه قبل المشرق الى مدين عن طريق سيناء وتزوج هناك ، وعندما شعر بالأمان عاد الى مصر حيث تلقى فى طريق عودته دعوة الله ، وحاول موسى عليه السلام أن يدعو فرعون للايمان بالله ، ولكنه لم يستطع واستمر الصراع بينهما الى أن انتهى الامر بغرق فرعون وأهله فى البحر .

ثم جاء عيسى عليه السلام الى مصر ، فبعد أن ولد فى بيت لحم على مقربة من بيت المقدس فى عهد الملك هيرودس حاكم فلسطين الرومانى الذى علم أن طفلاً قد ولد وأنه سوف يتسبب فى ضياع مملكة أسرة هيرودس ونفوذها ، فأصدر أوامره بقتل الاطفال حديثى الولادة ، فأخذته السيدة مريم وجاءت به الى مصر مع ابن عمها يوسف بن يعقوب عن طريق صحراء سيناء ، وعاشوا فى مصر مدة ١٢ سنة حتى علموا أن

هيرودس قد مات فانطلقوا الى فلسطين مرة اخرى ، وقد نزلوا فى أماكن متعددة بمصر من أشهرها منطقة مصر القديمة ، والمطرية حيث أقاموا يستظلون بشجرة يقال أن موضعها حيث توجد الآن الشجره المعروفة بشجرة العذراء .

الملك الذى بنى قصر التيه

* * *

حكم " أمنمحات الثالث " مصر فى الفترة من ١٨٤٩ - ١٨٠١ ق . م .. (الاسرة الثانية عشـــرة) وفى عهده بلغت الدولة الوسطى أقصى درجات مجدها .

ومن الجدير بالذكر فى البداية أن " أمنمحات الثالث " غير " أمنحتب الثالث " من الاسرة ١٨ والذى أسس معبد الاقصر وطريق الكباش وتمثالى ممنون .

ونعود مرة أخرى الى أمنمحات الثالث الذى امتاز حكمه بالمشروعات العظيمة التى قام بها حيث ابتكر لرى الوجه البحرى طريقة عملية ناجحة ، وذلك أن فيضان النيل كان يغمر إقليم الفيوم سنويا لانخفاضه عن سطح النيل فيتحول الى بحيرة عظيمة كانت تعـــــرف " ببحيرة موريس " وكانت المياه تصل الى هذا الاقليم من فجوة فى الهضبة الغربية جهة الفيوم .

وقد حاول المصريون فى عصر ماقبل التاريخ وفى عهد الأسر المختلفة أن يمنعوا طغيان المياه على أراضى الفيوم كى يستغلوها فى الزراعة فأقاموا لهذا الغرض سداً عند اللاهون فى الفجـوة التى تصل وادى النيل بمنخفض الفيـوم ، ولما تولى الملك أمنمحات الثالث مد هذا السد حتى صار طوله ٢٧ ميلا وبذلك أمكنه أن يجعل من تلك البحيرة خزاناً عظيماً تخزن فيه المياه لاستعمالها فى رى أراضى الوجه البحرى فى وقت التحاريق ، ، وبهذه الطريقة انحسرت مياه النيل عن حوالى سبعة وعشرين ألفا من الافدنة أصبحت صالحة للزراعة ، وكانت كلها ملكاً للملك .. ويعتبر هذا المشروع من أعظم الاعمال الهندسية فى العالم القديم .

وقد رأى الملك أن البعثات التى تذهب الى سيناء تعانى مشاق جسيمة من وعورة الطريق وجفاف الصحراء فعمل على إنشاء مساكن للعمال وحفر الآبار وأقام القلاع لصد هجمات البدو ، ووضع المناجم تحت اشراف رؤساء فرض على كل منهم مقداراً ثابتا من المعادن المستخرجة يدفعه كضريبة للحكومة فانتظمت بذلك حال المناجم وصارت مورداً ثابتا من موارد الدولة .

وفى عهده أقيم مقياس للنيل حيث كان الموظفون يسجلون إرتفاع الماء وانخفاضه فى نهر النيل على صخور قلعة " سمنة " عند الشلال الثانى " وكان هذا المقياس كبير الفائدة إذ تستطيع به الحكومة مراقبة النهر ومعرفة مدى فيضانه ويساعدها هذا فى تقدير ماتنتجه الأرض من محصول ، وما ينبغى أن يفرض عليها من ضرائب ، ولاتزال البيانات التى سجلها المصريون فى ذلك العصر باقية الى اليو ,

كما بنى أمنمحات الثالث قصراً ضخماً عند " هواره " على مقربة من السد الذى أقامه يبلغ طوله حوالى ألف قدم وعرضه ثمانمائة قدم واتخذه مقراً للحكومة ، وكان يشتمل على حجرات تبلغ فى عددها عدد أقسام مصر الادارية ، ومنه كانت تدار البلاد عامة .. ويبدو أن كثرة غرفه وتعدد طرقاته اكسبته فيما بعد اسم " لابيرنته " Laby-rinth " تشبيهاً بقصر لابيرنته الكريتى المذكور فى الروايات الخرافية لتشعب طرقه وحجراته . وقد عرف هذا القصر ايضاً بقصر التيه لتعدد طرقاته بشكل غير عادى ، ولم يبق منه الآن سوى بعض أحجار بالقرب من هرم اللاهون .

وقد ذكر أحد المؤرخين القدماء الذين زاروا هذا القصر العجيب أن سقف كل حجرة من حجراته كان من حجر واحد ، وكذلك أرضها ، ولم يستعمل فى بنائه خشب أو ماشابهه من مواد العمارة .

وظل أمنمحات الثالث يحكم البلاد حوالى خمسين عاما نعمت فيها البلاد من جنوبها الى شمالها باليسر والرخاء . ولما مات دفن فى هرمه بجهة دهشور .

أول ثورة في التاريخ

* * *

الهكسوس شعب آسيوى أغار على مصر واستولى عليها مابين عامى ١٧٨٨ ، ١٥٨٠ قبل الميلاد فى وقت ضعفت فيه الاسرة الثالثة عشرة بسبب الحروب والخلافات ، وجعل الهكسوس ملوك الاسرة الرابعة عشرة تحت سلطانهم ثم كونوا بأنفسهم ملوك الاسرتين الخامسة عشرة والسادسة عشرة .. ومن المرجح أن الهكسوس شعب سامى كان يحكم سوريا وفلسطين وكان تفوقهم فى فنون الحرب سبباً لهزيمة المصريين بمعرفتهم العجلات الحربية التى كانت تجرها الخيول التى استعملت فى هذا الوقت لأول مرة فى التاريخ ، وكانت تخترق صفوف المشاه وتوقع فيهم الخلل والاضطراب ، وكان لهذا التفوق أثر كبير فى هزيمة المصريين .. فقد كانت مفاجأة واختراع كبير فى ذلك الوقت .

وقد اتخذ الهكسوس من افاريس أو هواره بالقرب من بحيرة المنزلة عاصمة لهم لتكون وسط بين مصر وأملاكهم فى فلسطين وسوريا .

وتميز حكمهم باستعباد المصريين وإساءة معاملتهم وهدم معابدهم والاعتداء على الاهالى ، وبادلهم المصريون هذا العداء ، غير أنه غلب عليهم التمدين المصرى بعد ذلك وحاولوا التمصر وأحسنوا معاملة المصريين وعبدوا معبوداتهم ، وقلد ملوكهم الفراعنة ، وبنوا المعابد على الطراز المصرى ، ومع ذلك فقد ظل المصريون ينظرون اليهم نظرة الاحتقار لمالاقوه من بلاء على ايديهم .

وفى حوالى عام ١٦٠٠ ق.م ظهر بطيبة أمراء مصريون عظام يعدهم المؤرخون ملوك الاسرة السابعة عشرة ، وعملوا على تخليص البلاد من الهكسوس وحاولوا إستمالة بقية الامراء لديهم .. ولما سمع الهكسوس بنهوض طيبة حاولوا القضاء عليها قبل أن يستفحل الامر ، فأخذ ملك الهكسوس يحتك بأمير طيبة ويختلق الأسباب للحرب ، ومن ذلك أنه ارسل اليه رسولا ينبئه بأن صوت عجل البحر الذى يعيش فى نهر النيل قرب طيبة يزعجه وهو على بعد مئات الاميال فى افاريس .

ولما كان عجل البحر هذا حيوانا يقدسه المصريون ، فقد عدوا التعريض به إهانة لهم ، وبدأوا يحاربون الهكسوس ، وظلت الحرب مستعرة سنوات ، حتى تولى الملك أحمس الاول أول ملوك الاسرة الثامنة عشرة وأول من قاد ثورة ضد الاستعمار في التاريخ .. فعمد الى التعبئة العامة وتجنيد كل الرجال ، وصبغ الحياة بالصبغة العسكرية ، وبدأ تدريب المصريين على استخدام الحصان والعربة على نطاق واسع فضلا عن استخدام الاقواس الضخمة الثقيلة ذات المدى البعيد ، وكانت هي الاخرى سلاحاً جديداً استخدمه الهكسوس عند غزوهم لمصر ، وعبأ أسطولا نهرياً واتجه شمالا لمحاصرة افاريس عاصمة الهكسوس وهزمهم بنفس أسلحتهم .

وفر الهكسوس من مصر ، وتعقبهم أحمس الاول في فلسطين وحاصر مدينة "شاروهين" في جنوبها الغربي واستولى عليها بعد حصار ثلاث سنوات ، وقام كذلك بحروب في الشام ، وتساقطت قلاع الهكسوس حتى تشتتوا تماماً في أقاليم الشرق ، .. وبدأ أحمس يضع حجر الاساس في الامبراطورية المصرية القديمة التي امتدت من الشلال الرابع في الجنوب الى أعالي الفرات .

المدينة التى يوجد بها ثلث آثار العالم

* * *

الاقصر .. وتعتبر من أقدم المدن المصرية ، وإن كانت لم تبلغ ذروة الشهرة إلا فى عصر الامبراطورية المصرية الحديثة عندما كانت عاصمة لمصر ، فنمت وأزدهرت وامتلأت بالمبانى التى أقامها الملوك والامراء المصريون والتى يرجع معظمها الى عصر الاسرات ١٨، ١٩ ، ٢٠ .

وقد لعبت هذه المدينة دوراً كبيراً فى تاريخ مصر ، فباسم أمون إله هذه المدينة أقيمت المعابد الكبرى ، وباسمه خرجت الجيوش المصرية الظافرة تطرد المحتلين من الهكسوس ثم تفتح المدن لتقيم إمبراطورية مصرية عظيمة ..

واشتهرت بانها مدينة " المائة باب " ، كما أطلق عليها من جمال مبانيها وحسن تخطيطها وروعة معابدها اسم " مدينة المدائن " .. وكان الاسم الفرعونى لهذه المدينة (واست) ثم اطلق عليها اليونانيون اسم طيبة ، ولما دخل العرب مصر ورأوا مافيها من عمائر حسبوها قصوراً فاطلقوا عليها الاقصر .

ويوجد بالاقصر أعظم آثار العالم القديم وفى مقدمتها على الضفة الشرقية للنيل معبد الاقصر وهو مكون من إضافات متعددة فى العصور المتتالية لاغلب فراعنة مصر العظام لدرجة أن طوله الجانبى أصبح ٢٦٠ متراً ، وتبلغ مساحته أربعة أفدنة ، وقد شيده أمنحتب الثالث ثم جاء بعد ذلك رمسيس الثانى وبنى أمامه البهو الكبير والتماثيل والمسلتين اللتين نقلت إحداهما الى باريس بميدان الكونكورد ، كما أضاف من جاء بعده من الملوك إضافات أخرى .

والى شمال معبد الاقصر تقع المجموعة الفسيحة للمبانى المقدسة والتى تعرف بالكرنك (أى القرية الحصينة) وقلب هذه المجموعة يوجد معبد آمون الكبير (أكبر معبد فى العالم أجمع) ومن خلال معبد الكرنك تظهر صورة واضحة للتاريخ المصرى خلال ألفى عام تبدأ من الدولة الوسطى حوالى ٢٠٠٠ ق.م وحتى عهد بطليموس الحادى عشر ، وتبلغ مساحة معابد الكرنك حوالى ٦٢ فداناً وبدىء فى تشييده ليكون

مقراً لعرش آمون وفيه كانت تقام الصلوات والاحتفالات بالاعياد ، وقد أضيفت اليه معابد أخرى لبعض الارباب مثل معبد " موت " زوجة آمون و " خنسو " بن آمون و"بتاح" و" اوزوريس " وغير ذلك .

كما يوجد طريق الكباش الذى يصل بين معبدى الاقصر والكرنك ، كما تضم الاقصر صالة الاعمدة الكبرى التي شيدها ثلاثة ملوك عظماء هم رمسيس الأول ورمسيس الثاني وسيتى الاول والمكون من ١٣٤ عموداً تزينها نقوش دقيقة تليها مسلة الملك تحتمس الاول ثم المسلتان اللتان اقامتهما حتشبسوت ، كما توجد منطقة البحيرة المقدسة التي شهدت احتفالات تتويج معظم الملوك .

أما على الضفة الغربية للنيل فمن أشهر آثار الاقصر مقابر وادى الملوك حيث نحت ملوك الدولة الحديثة مقابرهم في باطن الصخر ومن أشهرها مقبرة توت عنخ آمون وأمنرفيس الثالث وسيتى الاول ، كما توجد مقابر الملكات ومن أشهرها نفرتارى زوجة رمسيس الثاني ، كما يوجد مقابر الامراء ومن أمثلتها مقبرة راموس وزير اخناتون .

كما يوجد معبد حتشبسوت وهو يعد من أعظم آثار مصر القديمة ، وقد أقيم على ثلاث شرفات تعلو كل منها الاخرى ، وسجلت على جدرانه مناظر تمثل رحلة اسطولها الى بلاد بنت ومناظر ولادتها المقدسة من الاله آمون وغيرها من المناظر التاريخية والسياسية والدينية ، والى جوار هذا المعبد يوجد معبد " منتوحتب الثامن " من الاسره ١١ وهو أقدم معبد فى طيبة .

كما يوجد ايضا معبد مدينة هابو وهو مجموعة من المعابد التى كان يحيط بها سور من اللبن ماتزال آثاره باقية حتى الآن ، ويشتمل على بوابة عظيمة ومعبد جنائزى وقصر لرمسيس الثالث ومبان أخرى .

حتشبسوت

* * *

ابنة تحتمس الاول .. امرأة عظيمة عرفها التاريخ .. ومما يذكر أن تحتمس الاول لم يكن من أصل ملكى وانما كان يحكم البلاد نيابة عن زوجه الملكة وهى من سلالة ملوك طيبة الذين طردوا الهكسوس من مصر ، وقد أنجب منها أميرة هى حتشبسوت ، وكان فى الوقت نفسه قد تزوج من سيدتين إحداهما أميرة ولدت له تحتمس الثانى وأنجبت الاخرى ابنه تحتمس الثالث .

ولما ماتت الملكة الشرعية التى كان يحكم البلاد باسمها ، أجبر على التخلى عن العرش لتتولاه حتشبسوت إبنة الملكة المتوفاة لأحقيتها بالملك منه ومن أخويها .. وقد تبع ذلك نزاع طويل بين الاخوة الثلاثة انتهى بتولية تحتمس الثانى الذى حكم البلاد مدة يسيرة لاتزيد على ثلاث سنوات .. وتزوجت حتشبسوت أخوها تحتمس الثانى ورزقا بابنتين ، وبموته أصبحت المسيطرة على كل شىء واتخذت لنفسها الالقاب الملكية العديدة ، على الرغم من مشاركة تحتمس الثالث لها فى الحكم

وظهرت حتشبسوت على مسرح الحكم تبذل أقصى ماتستطيع أن تبذله امرأة من نشاط ، واستطاعت أن تجمع حولها رجال الدولة وبذلك أصبح حزبها أقوى الاحزاب وكانت هى القوة المحركة للعرش وصاحبة الكلمة المسموعة فى البلاد ، وما لبثت أن استأثرت بالسلطة وسلبت من تحتمس الثالث شريكها فى الحكم كل أمر وساعدها على ذلك صغر سنه ..

وظهرت حتشبسوت فى النقوش والتماثيل وهى ملتحية بلحية مستعارة تشبهها بالرجال ، ولبست غطاءاً للرأس تشبها بالملوك ، وتماثيلها على شكل أبى الهول فتراها برأس إنسان وجسم أسد رمزاً للعقل والقوة ، وقد ساد السلام والتعمير عصرها .

وأهم ماشيدته معبدها الرائع بالدير البحرى بطيبة (الاقصر حاليا) على الجانب الغربى للنيل ، وسجلت عليه قصة مولدها من الإله آمون معبود طيبة والذى صار فيما بعد إله الامبراطورية بأجمعها ، وقد شيدت معبد الدير البحرى فى سفح جبال طيبة وبه

ثلاث شرفات مدرجة ينتهى أعلاها بساحة عظيمة مرتفعة ، وأمام هذه الشرفات أقامت سلسلة من الأعمدة الجميلة وغرست فيه ماجلبته من بلاد (بنت) من الاشجار الجميلة ..

كما أصلحت عدداً من المعابد المخربة ، وأرسلت الى بلاد بنت - الصومال حاليا - بعثة تجارية من خمسين سفينة حاملة البضائع المصرية وتمثالا للملكة نصب فى هذه البلاد ، ثم عادت السفن تحمل الاخشاب العطرية والاشجار الثمينة والابنوس والعاج والذهب والحيوانات وأمرت بنقش أخبار هذه الرحلة بارزة على جدران معبد الدير البحرى ، ولاتزال هذه النقوش من أبدع روائع هذا المعبد العظيم .

وزادت حتشبسوت جزءاً فى معبد الكرنك وأقامت مسلتين عظيمتين عند مدخله نقشت على احداهما " لقد أقمت هذا النصب لتعجب به الاجيال القادمة من بعدى " وماتزال إحدى المسلتين موجودة حتى الآن .

وحين توفيت الملكة حتشبسوت أمسك تحتمس الثالث بزمام الملك بعد أن مضى عليه منذ تتويجه اثنتين وعشرين سنة قضاها بلا نفوذ ، وعند ذلك ظهرت مواهبه العظيمة ، ومهارته الحربية التى جعلته فى عداد كبار الفاتحين فى العالم القديم ، وقد أمر تحتمس الثالث بتحطيم مايزيد على مائة تمثال لحتشبسوت كانت مقامة فى معبدها ، كما محا اسمها من بعض الآثار . ولكن لم يستطع أن يحجب عن أعين العالم ضوء عظمتها ولا أن يزعزع مكانتها فى تاريخ مصر القديم .

أقدم علم مصـــرى

* * *

عرفت مصر الاعلام منذ عهد الفراعنة ، وإن كان العلم فى ذلك الوقت لم يكن علم دولة بقدر ماكان علم الفرعون فهو يتغير من فرعون لآخر .

وأقدم أشكال العلم المصرى كان على شكل مروحة ووجد منقوشاً على جدران الدير البحرى (معبد حتشبسوت) ولم يتمكن المؤرخون من الجزم فى مسألة اللون .. ثم وجدت عدة أعلام أخرى ، أما فى العصور التى تلت العصر الفرعونى فلا نجد علماً مميزاً لمصر لانها كانت إحدى ولايات الامبراطورية الرومانية ، كذلك بعد أن أصبحت مصر إحدى إمارات الدولة الاسلامية فإنها كانت تتخذ علم هذه الدولة فكان العلم الابيض شعار الامويين ، وكان العلم الاسود شعار العباسيين ، وفى الدولتين الطولونية والاخشيدية لم يكن هناك علم خاص بمصر بل ظلت تحت العلم العباسى الاسود اللون .

أما الفاطميون فقد اتخذوا اللون الاخضر شعاراً لهم ، وفى الدوله الايوبية اتخذ صلاح الدين العلم العباسى الاسود مرة أخرى شعاراً له ، وفى دولة المماليك كان اللون الغالب لاعلامهم هو الاصفر .. وبعد الفتح العثمانى لمصر وجدت اعلام كثيرة بعدد مراكز القوى ، فالوالى المعين من الباب العالى كان يرفع العلم العثمانى الاحمر ومن جهة أخرى احتفظ زعماء المماليك كل منهم بعلمه الخاص المتميز اللون والشعار لكل أمير .. وفى حكم محمد على وبعد القضاء على المماليك أصبح العلم الاكثر انتشاراً هو علم الدولة العثمانية الاحمر اللون ، وفى عام ١٨٢٦ جعل محمد على للعلم المصرى نجمة ذات خمسة أطراف بدلا من النجمة ذات الأطراف الستة التى كانت فى العلم العثمانى .

وفى عهد الخديو اسماعيل أصبح العلم المصرى يشتمل على ثلاثة أهله وبداخل كل هلال نجمة خماسية كلها من اللون الابيض ، واحتفظ العلم باللون الاحمر ، ولكن مصر عادت عام ١٨٨٢ مرة أخرى الى العلم القديم الى أن وضعت البلاد تحت الحماية البريطانية عام ١٩١٤ نظراً لقيام الحرب العالمية الاولى فأعيد العلم الذى استحدثه الخديو اسماعيل .

وفى ثورة ١٩١٩ حمل الثوار المصريون علماً أخضر اللون بداخله هلال يتوسطه صليب باللون الابيض كناية عن وحدة المسلمين والاقباط - وفى عام ١٩٢٣ بعد إعلان الاستقلال واعلان مصر دولة ملكية ظهر علم أخضر اللون يتوسطه الهلال وثلاثة نجوم خماسية بيضاء اللون ، واستمر هذا العلم دون تغيير حتى عام ١٩٥٨ وإن كان وجد علم آخر أطلق عليه علم التحرير ذو الالوان الثلاثة الاحمر والابيض والأسود لكن لم يكن له وجود رسمى وإنما كان يرفع فى المناسبات الشعبية حتى قامت الوحدة بين مصر وسوريا فاتخذ هذا العلم اساسا للدولة الجديدة مع اضافة نجمتين خماسيتين خضراوتين فى المستطيل الابيض رمزاً لكل من دولتى الوحدة .

واستمر هذا العلم حتى قامت الوحدة بين مصر وسوريا وليبيا فى ديسمبر ١٩٧١ فتم إبدال النجمتين بصقر ناشراً جناحيه ويكتب اسم دولة الاتحاد أسفل الصقر ، وفى اكتوبر ١٩٨٤ انسحبت مصر رسميا من إتحاد الجمهوريات العربية وبناء عليه تغير الى علم جمهورية مصر العربية وهو نفس العلم السابق مع وضع نسر مكان الصقر .

أول ملك اقام إمبراطورية مختلفة الشعوب

* * *

تحتمس الثالث الذى يعد بلا منازع أول قائد عظيم عرفه العالم ، أقام أقدم إمبراطورية مختلفة الشعوب فى التاريخ امتدت من أعالى نهر الفرات الى الشلال الرابع على النيل .. بدأ حكمه حوالى عام ١٥٠٤ ق.م - ١٤٥٠ ق.م أى حكم مصر ٥٤ عاما ، وعلى جدران معبد الكرنك قصة ١٧ غزوة أخضع فيها مدن وممالك آسيا الغربية ، وبنى أول أسطول حربى عرفه التاريخ واستطاع به أن يمد نفوذه حتى بحر إيجة ، حيث أقام أحد قواده حاكماً عليها ، وقد شملت فتوحاته مدن مجدو قادش نينوى وخضع له أمراء بلاد النهرين وملك بابل .

وإذا كان أحمس الاول قد أجلى الهكسوس عن البلاد ووضع أساس أول امبراطورية مصرية فان تحتمس الثالث هو الذى مد سلطانها وثبت دعائمها وحررها من التهديد الاجنبى وجعل منها أعظم امبراطورية .. فبعد موت حتشبسوت ورث العرش ونهض يفرغ ما اختزنه من دراسة وأفكار وساعده على ذلك وجود جيش مدرب وبلاد غنية وعدو يتربص بها ، حتى أنه لم تمض أسابيع على توليه العرش حتى قاد جيشه الى ساحات القتال فى موقعة (مجدو) أولى غزواته .

ذلك أن الهكسوس على أثر خروجهم من مصر كانوا يقيمون فى الاقطار المجاورة ويتحينون الفرصة للعودة الى مصر ، وأعلن العصيان والانفصال عن الامبراطورية المصرية فى بعض الولايات وتجمعت فى حلف كبير بقيادة ملك قادش (١٠٠ ميل شمال دمشق) فوضع تحتمس خطة لغزو هذه البلاد وتأديبها .. وصحب تحتمس لاول مرة فى التاريخ كتاباً يؤرخون كل مايحدث ويكتبون تقارير يومية حربية أشبه بتقارير المعارك الحديثة وبقيت هذه التقارير شاهدة بمجد الفراعنة فى الفن الحربى .

بدأت الحملة من قاعدة القنطرة وتحركت القوات عبر الصحراء الشرقية الى فلسطين ودخلت غزة فى فترة وجيزة بمعدل اثنى عشر ميلا ونصف فى اليوم وهو رقم يستلفت النظر خاصة فى بقاع صحراوية ولقوات أغلبها مشاة ، ومع هذا وصل الجيش

الى غزة فى المساء ، ثم أنطلق فى الصباح من جديد الى " يما " قاطعاً ثمانين ميلا اخـرى حيث بدأت الترتيبات لدخول المعركة .

وللمرة الاولى فى التاريخ عقد تحتمس الثالث أول مجلس حربى لاستشارة قواده فى وضع تفاصيل الخطة ، وقد وجد محضر الاجتماع منقوشاً على الآثار القديمة ، وكان هناك ثلاث طرق اختار تحتمس الثالث أقساها على غير مايتوقع العدو من أجل تحقيق مبدأ المفاجأة فى خطط وأصدر بياناً يعلن فيه انه سيكون على رأس جيشه فى المقدمة .

وعبر الجيش الممر الضيق بما فيه من عقبات ومرتفعات وبدأ تحتمس الثالث ينشر قواته بينما كان العدو يرقب الطرق الاخرى ويحشد قواته امامها ، ولهذا كانت الصدمة الأولى قـوية أطاحت بمعنويات العـدو وماديات فى وادى " قنا " حـتى أن القـوات لم تستطع أن تثبت أو تقاوم عنف الضربات وما انتشر فى صفوفها المنهزمة من فزع واضطراب .

وكان تحتمس الثالث قد نظم قواته للمعركة بأن جعل للجيش قلباً وجناحين (لأول مرة فى التاريخ) وأرسل أمام الجيش مقدمة دفع منها وحدات استكشافية كأحدث تعاليم الحرب الحديثة ، وقد حقق بذلك ثلاث مبادىء هامة هى المفاجأة والوقاية والقتال الهجومى .. وحقق فوزاً كبيراً جعل جيوش الأعداء تفر الى مجدو حيث حاصرها سبعة أشهر استسلمت بعدها صاغرة .

وقد اقتفى عظماء القادة فيما بعد أثر خطط موقعة مجدو ، حيث عبر هانيبال ونابليون جبال الألب الصعبة ، واختار مونتجمرى أقوى النقاط فى دفاع المحور عند العلمين وركز هجومه عليها ، ثم عادت موقعة مجدو للوجود مره أخرى بعد (٤٥٠٠ سنـة) وجرت على ذات الطريق الذى سار عليه تحتمس الثالث ذلك أن الجنرال اللنبى نسج على منواله حين كان يدفع الجيش التركى فى بقاع سوريا عام ١٩١٨ حيث هزمهم فى نفس المكان مستوحياً خطة تحتمس الثالث .

وتظهر عبقرية تحتمس الثالث مرة أخرى فى ابتكار الخطط مما جعله على رأس الفاتحين من حيث العبقرية والذكاء فقد فكر فى بناء سفن حربية لنقل جيشه عبر نهر الفرات حتى يسهل عليه اتمام الفتح ولكنه خشى من صناعتها فى أراضى العدو الذى ربما أفسد عليه خطته ، ولذلك بنى سفنه قطعاً متفرقة ثم ابتكر لها عربات من نوع خاص تجرها الثيران حتى شاطىء الفرات حيث ركبت أجزاؤها ونفذ بذلك خطته ، ووصل الى قرميش على الضفة الغربية لنهر الفرات حيث انتصر على جيوش دولة "ميتانى" التى تقع فى أعالى ذلك النهر ودخل بلادها .

وقد اقتفى المارشال مونتجمرى بعد آلاف السنين أثر خطة تحتمس الثالث عندما عبر نهر الراين على سفن جىء بها براً على غرار مافعل تحتمس الثالث .

ولم تكن حروب تحتمس الثالث برية فحسب بل اشتملت على حروب بحرية ، وكان أول قائد فى العالم يضع خطة مشتركة تتعاون فيها قوات البر والبحر بتوقيت دقيق وتعاون متبادل ، فاستخدم أسطولا كبيراً للنزول فى ساحل فينقيا متخذاً من ذلك الساحل قاعدة تبدأ منها عملياته فى بلاد النهرين وهى خطة لم يسبقه اليها أحد .

وقد بلغت غزواته سبع عشرة غزوة تمكن خلالها من توسيع أملاك مصر توسيعاً يفوق كل ماسبقه ومن تعزيز سلطانها فى تلك الجهات حتى لم يجرؤ حاكم اسيوى بعد ذلك على أن يشق عصا الطاعة على هذا الملك المصرى العظيم .. وبعد أن فرغ من حروبه الاسيوية وجه همته الى بلاد النوبة فثبت فيها حكم مصر حتى الشلال الرابع .. وكانت سياسته فى حكم هذه الامبراطورية الواسعة ترمى الى توطيد الحكم المصرى فاستبدل بالامراء غيرهم ممن كانوا أكثر ولاءاً وإخلاصاً وأقام الى جانبهم موظفين مصريين وجامعات عسكرية مصرية ، واخذ أبناء الامراء ليربيهم فى البلاط الفرعونى على التقاليد المصرية حتى يضمن لمصر ولاء هذه الولايات .

وقد أقام تحتمس الثالث لوحة تذكارية فى الجهة الغربية من نهر الفرات بجوار أثر تحتمس الأول لتكون بمثابة آخر نقطة وصلت اليها فتوحه فى الشمال ، أما فى الجنوب فقد حدد فتوحه ايضا بلوحة من الجرانيت أقامها عند جبل " بركال " على مقربة من مدينة " نباتا " .

ومن أهم آثاره مسلتان عظيمتان أقامهما فى عين شمس ثم نقلتا الى الاسكندرية واحداهما الآن بلندن والاخرى بنيويورك .

السرابيـــوم

* * *

كان يوجد فى منطقة سقارة بالجيزة مدفن كبير للعجل " أبيس " الذى كان يقدسه المصريون القدماء ، ويطلق على هذه المقبرة اسم " السرابيوم " وقد اشتق القدماء اسم مكان دفن العجول المقدسة من الاله " أوزير حابى " الذى شبهه البطالمة بالههم "سيرابيس" ، أما كلمة " يوم " فمعناها ساحة او مكان ، ومن هنا جاءت كلمة سرابيوم.

وهذه المقبرة محفورة فى الصخر ويبلغ طول ممراتها ١٩٥م وتوجد بها قبور العجول عن اليمين واليسار ، وكان يتم تحنيط وتزيين العجل أبيس بعد موته كأحد الملوك ، ويوضع فى تابوت ضخم من الجرانيت يبلغ وزنه حوالى ٦٥ طناً .

بدأ حفر السرابيوم حوالى عام ١٤٠٠ قبل الميلاد ، واستمر الدفن فيه حتى القرون الاخيرة قبل الميلاد .. وفى عام ١٨٥١م اكتشف عالم الآثار الفرنسى أوجست مارييت السرابيوم ، ووجد بداخله عدد كبير من التوابيت وزن كل تابوت حوالى ٦٥ طناً تقريباً ، وهو مصنوع إما من الجرانيت الازرق القاتم أو الوردى الفاتح ، وطول كل تابـــوت ٤ X ٥ر٢ م وارتفاعه ٨ر٣م ويوجد جزء كبير من هذه التوابيت فى متحف اللوفر بباريس .

وقد اهتم قدماء المصريين بالعجل المقدس " أبيس " الذى ربطوا بينه وبين إله الخيـــــر " أوزير " وإله النيل فى فصل الخصب " حابى " ، وكانوا يختارونه كظاهرة لاتتكرر دائما ، وانما بعد أن يموت العجل المقدس الذى يحيا فى حظيرته بمنف عاصمة الدولة القديمة (ميت رهينة حاليا بالبدرشين) يبدأ البحث عن عجل جديد تتوافر فيه سمات مميزة وهى أن يكون مجدول شعر الذيل ، أسود اللون على جبينه شامة بيضاء مربعة ، وعلى مؤخرته مايشبه ختماً منقوشاً كالنسر ، وتحت لسانه رسم جعران ، فاذا ما وجد هذا العجل النادر فانه يكون العجل المقدس الجديد ، وكان يعد يوم العثور عليه عيداً .. وبعد وفاته يحنط خلال ٣٠٠ يوم تقريبا ، وفى مهابة جنائزية يصعدون بتابوته ليدفن فى السرابيوم .

ممنون وطريق الكباش

* * *

ممنون وطريق الكباش هو اسم لأثرين يعودان الى الملك أمنحتب الثالث من الاسرة ١٨ ، وفى عهده بلغت الامبراطورية المصرية القديمة شأنا بعيداً .. وخطب وده الكثير من الملوك ، وصار قصر فرعون لاول مرة فى التاريخ مركز الاتصال بين ملوك ذلك العصر ، وعثر الباحثون عام ١٨٨٨م على ثلثمائة رسالة فى جهة تل العمارنه مكتوبة بالخط المسمارى المعروف فى آسيا فى ذلك الوقت .

وفى عهد أمنحتب الثالث أعيد تخطيط طيبة وشقت بها الشوارع المستقيمة ، وأقيمت القصور الفاخرة تحيط بكل منها حدائق جلبت أشجارها من السودان والصومال .. وزاد فى معبد الكرنك .. وأنشأ معبد الاقصر الذى أبدع المهندسون فى تنسيقه ، ومن أجمل أجزاء المعبد الدهليز ذو الاربعة عشر عموداً .. ثم وصل بين معبدى الكرنك والاقصر بحديقة طولها ميل ونصف انشأ بها طريقا على كل من جانبيه صف من تماثيل ابو الهول ، جسم كل منها شبيه بجسم الاسد ورأسه شبيه برأس الكبش ، ولهذا اطلق عليه اسم " طريق الكباش " .

وشيد معبداً آخر فى الجهة الغربية من طيبة ، ولم يبق منه الآن سوى تمثالين هائلين كان موضعهما امام مدخل المعبد ، يربو ارتفاع كل منهما على العشرين متراً ويعرفان بتمثالى ممنون ، وسبب هذه التسمية يرجع الى أنه كانت تنبعث من أحدهما عقب شروق الشمس كل صباح أصوات عذبة حزينة وصل خبرها الى الاغريق ، فاعتقدوا أنها صوت " ممنون " أحد ابطالهم الذين صرعهم الموت امام طروادة وأنه يناجى أمه .

وفى عام ٢٧ ق.م حدث زلزال بمصر فتحطم الجزء العلوى من التمثال ، ثم أصلح فى عهد الرومان ومنذ ذلك الحين لم يعد ينبعث منه صوت .

ويعلل العلماء إنبعاث ذلك الصوت من تجمع الندى فى شقوق التمثال أثناء الليل ، وبعد بزوغ الشمس يتبخر الندى فيحدث ذلك الصوت .

أول ملك مصرى يدعو للتوحيد

* * *

اخناتون الذى قاد الثورة الدينية فى مصر بعد أن ورث الحكم عن أبيه فى الاسرة الثامنة عشرة .. وحكم البلاد مايقرب من ١٨ عاماً .. وتزوج الملكة نفرتيتى التى اشتهرت فى تاريخ الفن الفرعونى بالضجة التى احدثها اكتشاف بعثة أثرية ألمانيه لتمثالها المصنوع من الحجر الجيرى الملون والذى يوجد الآن فى متحف برلين ويعتبر نموذجا رائعاً للفن المصرى القديم .

رأى اخناتون أن الشمس يجب ألا تعبد لذاتها وإنما تعبد الحرارة الكامنة فيها ، إذ هى القوة التى تبعث الحياة والدفء فى كل ماعلى وجه الارض من كائنات .. واطلق على الاله الجديد اسم " آتون " .. وصار يرمز له بقرص فى السماء تنبعث منه أشعة متجهة نحو الارض تنتهى بأيد قابضة على زمام الحياة .

ونتيجة لذلك عارض كهنة الاله آمون ذلك الاله الجديد ، وناصر الملك بقية الكهنة فى عين شمس ومنف .. ونشب خلاف رهيب بن الملك وكهنة آمون وجردهم من ممتلكاتهم ، ومحا اسم آمون وصورته من جميع معابد طيبة وتماثيلها وآثارها .. وغير اسمه فبعد أن كان " امنحتب " ومعناها " آمون يستريح " غيره الى اخناتون اى " روح آتون " .. ولما فرغ من نشر مذهبه الجديد ، ورأى أن طيبة مزدحمة بالمعابد التى بنيت لعباده آمون ، عزم على انشاء مدينة جديدة يعبد فيها الاله " آتون " وينتقل اليها مقر حكمه .. وقد وقع اختياره على مكان يعرف الآن بتل العمارنة وانشأ فيه مدينة سماها "اخيتاتون" اى " أفق آتون " وبنى بها ثلاثة معابد فخمة قامت حولها قصور جميلة للملك والامراء .

وامتاز الفن المصرى فى عهد اخناتون بالبساطة والوضوح ، وقد نحتت المقابر فى الصخور وخلت من التعاويذ التى اعتاد المصريون وضعها الى جوار الميت .

وقد أوقف اخناتون جهوده كلها على نشر الدين الجديد ، ولم يتسع وقته للنظر فى شئون الامبراطورية العظيمة التى بذل اجداده جهوداً كبيرة فى انشائها ، حتى أن

الحيثيين بعد أن سمعوا بالثورة الدينية أخذوا يغيرون على املاك مصر فى سوريا ، وأغار البدو على جنوب فلسطين .. ولم يكن ذلك الخطر الوحيد ، حيث خرجت من مصر صعوبات عديدة تواجه اخناتون ، فالشعب المصرى لم يتخل بسهولة عن عقائده الموروثة ، وكهنة آمون لم ينسوا ما حل بهم على يد أخناتون ، والجيش عز عليه أن يرى الامبراطورية تنكمش وتنهار ، وقد اجتمعت كل هذه القوى ضد أخناتون وظل يقاومها حتى توفى .

وبعد وفاته حدث ارتداد عن هذه الدعوة الدينية الجديدة ، فبعد أن تولى صهره " توت عنخ آتون " الحكم اجبره كهنه آمون على العودة الى عبادة الاله آمون وغيروا اسمه الى " توت عنخ آمون " وغير العاصمة من جديد ، وترك اخيتاتون وعاد الى طيبة من جديد ، وخربت معابد آتون ، وأعيد نقش اسم آمون على المعابد والآثار .

رمسيس الثانى

* * *

حكم مصر ٦٧ عاماً .. وأطلق عشرة ملوك على أنفسهم اسمه تقديراً له .. ووقع أول معاهدة دولية معروفة فى التاريخ .. وأنشأ واحدة من أعظم المبانى الصخرية فى العالم .. تدخل الشمس الى معبده مرتين فقط فى العام ، واحدة يوم مولده والثانية يوم جلوسه على العرش .. ساهمت اليونسكو فى إنقاذ معبده من الغرق تحت مياه السد العالى فى واحدة من أكبر المنجزات الهندسية الحديثة .. إنه الفرعون العظيم "رمسيس الثانى" .

تولى الحكم بعد وفاة والده سيتى الاول .. وعمل على تثبيت مركزه وتدعيم سلطانه وزيادة موارد البلاد ، ولم تكن أعماله هذه سوى مقدمة لعمل آخر أعظم شأناً هو إستعادة الامبراطورية الآسيوية وإرجاع مكانة مصر الى ما كانت عليه فى عهد أجداده .. ورأى أن الحيثيين قد ملكوا معظم الشام واستولى ملكهم على قادش مركز النفوذ المصرى فى سوريا ، فعزم على إستعادة أملاك مصر ، ودخل فى حروب مع الحيثيين لمدة دامت حوالى ١٥ عاماً .

وكان أن كون رمسيس الثانى جيشاً قسمه الى أربع كتائب ، واتبع طريقة تحتمس الثالث ، فبدأ أولا باخضاع مدن الشاطىء ليتخذها قاعدة للتحركات الحربية ، وبعد قليل سار على رأس كتيبة ونصب معسكره قرب قادش ، فأرسل ملكها اثنين من البدو أوهما رمسيس أن الحيثيين تقهقروا شمالا الى حلب ، فانخدع رمسيس لعدم عثوره على أثر للعدو ، وتقدم بلا حيطة نحو قادش ، فخرج ملك الحيثيين فجأة وأباد جزءا كبيراً من احدى الكتائب وفر من نجا الى خيام رمسيس .

وفى تلك الساعة الرهيبة ركب رمسيس عجلته الحربية وحاول أن يخترق صفوف الاعداء بعد أن فصلوا بينه وبين معسكره ، واندفع بكل مايملك من بسالة وإقدام ، واستمر يقاوم ثلاث ساعات حتى لحقت به بقية جيوشه فنجا من الخطر ، وانسحب الحيثيون الى قادش بعد أن تكبد الفريقان خسائر فادحة .

واعتبرت هذه المعركة نصراً لرمسيس الثانى فعلى الرغم مما أحاط به من أخطار ،

استطاع بشجاعته الفذة أن يمنع الهزيمة ويجبر الاعداء على الانسحاب ، مما جعل الفنانين يصورون الواقعة على جدران المعابد ، وجعل الشعراء يصفون وقائع الحرب خالعين على رمسيس الروعة والجلال ورموا قائد الحيثيين بالجبن .

وبعد ذلك أخذ الحيثيون يثيرون الاسيويين على الحكم المصرى ، فعاد رمسيس اليهم من جديد واخضع فلسطين ثم هزم الحيثيين ودانت له بلاد النهرين وشمال سوريا ، وتجددت الحروب مع الحيثيين حتى سئم الجميع القتال ، وكان ملك الحيثيين قد مات وخلفه أخوه ، وعندئذ وقع رمسيس الثانى معاهدة مكتوبة وتعد أقدم معاهدة دولية معروفة فى التاريخ .. وتزوج رمسيس من إبنة ملك الحيثيين وأحضرها أبوها الى مصر مما وثق أواصر الصداقة بين الأمتين .

ونقل رمسيس مقر ملكه الى الوجه البحرى ، وبقيت طيبة العاصمة الدينية للبلاد ، وأدى ذلك الى إنتعاش مدن الوجه البحرى ، فأصبحت تنيس مدينة زاهرة ، وشيد بها معبداً من أفخر المعابد ، وشيد رمسيس عدداً عظيماً من المبانى فى جميع انحاء البلاد ، فقد أضاف الكثير الى معبد الكرنك وبهو أعمدته بالاقصر ، وأقام ١٠٠ مسلة نقل بعضها الى أوربا ، كما أقام التماثيل الضخمة التى تزن مئات الاطنان ، وقد نقل أحد هذه التماثيل وأقيم فى ميدان رمسيس بالقاهرة ، ومات بعد أن حكم مصر ٦٧ عاماً وكان عمره قد بلغ التسعين .

ومن أعظم أعمال رمسيس الثانى على الاطلاق إنشاء معبدى أبو سمبل ، وهما من أعظم المعابد الصخرية فى العالم ويقعان على الضفة الغربية للنيل تجاه بلدة أبو سمبل فى قلب ربوة من الصخر مشرفة على النيل على بعد ٢٨٠ كيلو متر من جنوبى اسوان .

أما المعبد الاول وهو " المعبد الكبير " فقد نحته رمسيس الثانى فى قلب ربوة من الصخر للاله " حور أختى " ويبلغ ارتفاعه عن سطح الارض ٢٠ متراً وعرضه ٣٦ متراً ويمتد ضارباً فى الصخور ٦٠ متراً أخرى .. وقد جعله فى هيئة صرح مشرف على النهر تحرسه أربعة تماثيل عظيمة لرمسيس يبلغ إرتفاع كل منها ٢٠ متراً تمثل فرعون جالساً وعلى رأسه التاج ، وأبرز الحية المقدسة من جبهته متحفزة يكاد السم ينطلق من فمها .

ويحتوى المعبد على قاعدة للاعمدة بها ثمانية أعمدة ، أبرز البناء على وجه كل عمود تمثالا لفرعون فى هيئة الاله اوزيريس ، وعلى جدران هذه القاعة وعلى صفحات الاعمدة مناظر مختلفة أهمها مايصور معركة قادش فى كافة مراحلها .. وحول هذه القاعة عدة غرف مليئة بالنقوش البديعة ، وتلى هذه القاعة قاعة أخرى أصغر منها بها اربعة اعمدة وعلى جدرانها صور دينية تمثل رمسيس يقدم القرابين للآلهه وخصصت جوانب هذه القاعة لحفظ القرابين .

وتؤدى القاعة السابقة الى قدس الاقداس - وهى واحدة من أعظم المنجزات الهندسية فى العالم على الاطلاق - حيث يوجد بها أربعة تماثيل احدهما للاله " رع حور آختى " والثانى " لآمون رع " إله طيبة " ، والثالث " لبتاح " اله منف أما الرابع فهو لرمسيس الثانى .. وفى يومين محددين من كل عام وهما يومى مولد رمسيس الثانى ٢٢ فبراير ويوم جلوسه على العرش ٢٢ اكتوبر ، تدخل الشمس فى ساعة محددة لتسقط ضوءها على وجه تمثال رمسيس الثانى طبقاً لحسابات جغرافية وفلكية وشمسية بالغة الدقة .

ومن الجدير بالذكر أنه عندما تم التفكير فى بناء السد العالى ثم نقل معبدى أبو سمبل من مكانه ، وأسرعت جميع دول العالم من خلال منظمة اليونسكو فى المشاركة فى إنقاذ المعبد من الغرق تحت مياه البحيرة التى يكونها السد فى واحدة من أكبر المعجزات الهندسية فى التاريخ البشرى ، وقد تم تقطيع معبدى أبو سمبل الى ٩٦٣ قطعة يبلغ أقصى وزن لاية واحدة منها ٣٠ طناً ، وتكلفت هذه العملية حوالى ٤٠ مليون دولار .. وقد تولت أجهزة الكمبيوتر ترقيم الاجزاء لضمان تسهيل إعادة تركيبها مرة أخرى فى أعلى الجبل بعيداً عن متناول مياه بحيرة السد العالى ، واستغرق هذا العمل الضخم ٤ سنوات تم فيها بناء المعبد فى قلب جبل صناعى ..

كما بنى رمسيس الثانى معبداً آخر الى الشمال من المعبد الكبير وهو أصغر منه .. وقد نحته رمسيس للمعبودة (حتحور) وجعل معها زوجته الاولى (نفرتارى) ، والمعبد كله منحوت فى الصخر كالمعبد السابق ، وقد زينت واجهته بستة تماثيل أربعة منها للملك وإثنان للملكة فى هيئة المعبودة حتحور ، ويؤدى المدخل الى قاعة فسيحة يرتفع

سقفها فوق ستة أعمدة ضخمة جعلت على هيئة رأس المعبودة حتحور ، وتزدان جدران القاعة بمناظر يمثل بعضها فرعون يضرب اعداءه ، وبعضها يمثل فرعون وزوجته يقدمان القرابين للآلهة ، ثم تؤدى هذه القاعة الى قدس الاقداس حيث يوجد تمثال لحتحور ، وجدران هذه الغرفة منقوش عليها مناظر دينية تمثل فرعون وزوجته يقومان ببعض الطقوس الدينية امام حتحور .

ومما يذكر أن الفنان الايطالى الكبير رفائيل عندما زار مصر ورأى تماثيل نفرتارى فى معبد أبو سمبل قال " إنها أعظم تماثيل لامرأة على وجه الارض " .

أقدم معاهدة مكتوبة فى التاريخ

* * *

تعتبر المعاهدة التى أبرمت بين " رمسيس الثانى " فرعون مصر و "خاتوسيليس الثالث" ملك الحيثيين عام ١٢٧٨ قبل الميلاد ، أقدم معاهدة مكتوبة عرفت فى التاريخ بين دولتين على قدم المساواة ، وقد وصلت إلينا كاملة النصوص بفضل النسخة المصرية التى عثر عليها فى تل العمارنه عام ١٨٨٦ م ، وصورها المنقوشة على جدران معبد الكرنك ومعبد الرمسيوم والنسخة الحيثية التى وجدت فى بوغاز " كوى " فى الاناضول عام ١٩٠٦ .

ومما تجدر ملاحظته أنه على غير المألوف فى المعاهدات المعاصرة ، فإن النص المصرى ليس مطابقا تماما للنص الحيثى ، حيث أنه ذكر أن الملك الحيثى أرسل رسلاً الى رمسيس الثانى لطلب الصلح بينما يذكر النص الحيثى العكس ، ويبدو أن الهدف من ذلك هو أن يحفظ كل من الملكين كرامته أمام شعبه .

ولم يرد فى المعاهدة تعيين للحدود التى تفصل بين أقاليم كل من الدولتين بخلاف المعاهدات الحديثة التى تنص على ذلك نصاً وافياً ، وتحدثت المعاهدة عن مبدأ الدفاع المشترك ضد أى عدوان خارجى يقع على احدى الدولتين وفيها إلزام بتبادل المساعدات إذا قامت إضطرابات داخلية فى احدى المملكتين ، وتتناول كذلك مسألة تسليم اللاجئين السياسيين لبلادهم ووضع قواعد خاصة بحسن معاملتهم عقب ترحيلهم الى وطنهم .. كما ذكرت المعاهدة أسماء من شهدوا توقيعها ولكنهم ليسوا أفراداً كما هو الوضع فى المعاهدات الحديثة وإنما هم آلهة من معبودات الدولتين ، ويبدو أن الهدف من ذلك هو أن يصبح نقض المعاهدة أو الخروج على نصوصها إثماً كبيراً يغضب الآلهة .

الفراعنة يعلمون العالم الرياضة

* * *

تؤكد الشواهد والدلائل التاريخية العديدة التي تركها قدماء المصريين على سبقهم في تقديم عدد من أهم الالعاب الرياضية للعالم .

حيث تؤكد النقوش التى تركها الفراعنة القدماء بين آثارهم أن أصل المبارزة كان مصرياً ، حيث اكتشف في مقبرة " بتاح حتب " في سقارة رسومات واضحة المعالم لمبارزة استخدم فيها السلاح .

ويرجع التاريخ أول مباراة في السلاح الى عصر رمسيس الثالث ١١٩٠ قبل الميلاد ، وفي معبد بمدينة جويا القريبة من الاقصر توجد النقوش التى توضح تاريخ هذه المباراة ، ويرتدى المتنافسان قناعين للوجه ، ويوجد بينهما حكم المباراة ويصطف حولهما جمهور كبير يصفق للفريقين .

وقد نقل قدماء المصريين هذه الرياضة الشيقة الى مختلف بقاع العالم ، وكانت رياضة السلاح هى الرياضة الاولى التى مثلت مصر فى الدورات الاوليمبية عام ١٩١٢ لتسبق بذلك كل الالعاب الجماعية والفردية ، والتى بدأت تدخل الالعاب الاوليمبية بعد ذلك تباعا اعتباراً من دورة انفرس عام ١٩٢٠ .

وتؤكد الدلائل التاريخية بأن الأصل فى كل رياضات السباحة كان مصريا فرعونيا ، ومدينة الاقصر خير شاهد على ذلك من خلال آثارها التى تضم البحيرة المقدسة التى تعتبر أقدم حمام سباحة فى العالم ، وكانت مياهه تستمد من المياه الجوفية ، وكان الفراعنة يمارسون السباحة فى هذه البحيرة وبخاصة فى مناسباتهم واحتفالاتهم بالاعياد ، ويؤكد عمق البحيرة الذى يزيد عن طول الانسان العادى أنهم أجادوا السباحة فى ذلك الوقت .

وفى منطقة العرابة بسوهاج توجد رسومات على معبد رمسيس يمارس فيها الفراعنة هذه الرياضة وكذلك فى منطقة بنى حسن بالمنيا ، وفى عهد الاسرة الحادية عشرة كانت السباحة ضمن الرياضات التى نقشت على جدران القبور والمعابد .. وقد

نقل الاوربيون بعضا من آثار المصريين الى متاحفهم بالخارج والتى تؤكد ممارسة الفراعنه للسباحة وعلى رأسها النقوش الموجودة بمتحف بوشكين بموسكو من عهد الاسرة الثامنة عشرة .

كما تؤكد جميع المؤشرات أن مصر كانت مهد رياضة المصارعة شأن العديد من الرياضات الفردية الاخرى ، ففى منطقة بنى حسن توجد نقوش الفراعنة وهم يؤدون مسابقات المصارعة ويرجع تاريخها الى الاسرة الحادية عشرة ، كما وجدت بعض اللوحات والتى ترجع الى الاسرة العشرين وتوجد بها رياضة المصارعة ، كما تؤكد بعض الآثار المصرية الموجودة الآن فى متاحف اوربا أن ميلاد المصارعة كان مصريا خالصاً ومنها الرسوم الموجودة فى متحف جامعة مانشستر بانجلترا .

ويعد الهوكى من الرياضات التى عرفها الانسان منذ قديم الازل ، وأصل فكرتها ضرب الكرة بواسطة عصا يمسكها اللاعب بيده وأخذت تتطور مع الزمن الى أن أخذت شكلها الحالى .

وقد أثبتت الاكتشافات الاثرية بمصر من خلال الرسوم الفرعونية التى عثر عليها بمقابر قدماء المصريين أن الفراعنة هم أول من مارس اللعبة ، ففى مقبره (خيتى) ببنى حسن بالقرب من المنيا (١٩٩١ قبل الميلاد) وجدت رسوم عبارة عن لاعبين كل منهما يمسك بعصا ويواجهان بعضهما ويؤديان مايشبه ضربة البداية فى لعبة الهوكى ، وفى ١٩٤٢/١٢/٧ اسس الاتحاد المصرى للهوكى ، وهو أول اتحاد عربى وافريقى للهوكى .

وطبقاً للادلة المتوافرة لدى الباحثين ثبت أن المصريين القدماء كانوا أول من مارس ألعاب القوى كرياضة لها أسس وأصول ، ففى منطقة سقارة بالجيزة توجد مقبرة (بتاح حتب) ويوجد على جدرانها ثلاث لوحات تمثل بعض مسابقات العاب القوى كالجرى والوثب والرمى .

وكان قدماء المصريين أول من مارس رفع الاثقال كرياضة فى العالم ، فالنقوش المرسومة على مقابر بنى حسن بها صور لاكياس من الرمال كان المصريون يتبارون

على رفعها بيد واحدة ثم إلقائها خلف رؤوسهم وترجع هذه النقوش الى حوالى عشرين قرناً قبل الميلاد .

وكانت مصر هى أول دولة افريقية تمارس اللعبة كرياضة وتنافس بها أوربا وامريكا ففى نهاية القرن التاسع عشر وحين كان رفع الاثقال في عصره البدائى فى أوربا كانت هذه الرياضة متألقة في مصر ونقلته عنها الجاليات التى كانت بها فى ذلك الوقت.

أشهر أوبرا في العالم .. مصرية

* * *

هناك اكثر من ٣٠ اوبرا عالمية كتبت بقصة مصرية ، ولكن أشهرها جميعاً أوبرا عايده .. فقد كلف الخديو اسماعيل الأثرى الفرنسي أوجست ماريت لكى يختار قصة مصرية تصلح موضوعاً لافتتاح اول دار اوبرا في افريقيا وهى دار الاوبرا المصرية التى بنيت بمناسبة افتتاح قناة السويس .

وعثر ماريت فوق أوراق البردى فى مدينة منف على قصة الحرب بين مصر والحبشة ومن هنا ولدت قصة اوبرا عايدة .. وتقاضى الموسيقار فيردى (أشهر موسيقى فى عصره) ١٥٠ ألف فرنك ذهباً مقابل وضع الموسيقى مع حق استغلال الاوبرا فى جميع أنحاء العالم ، وكتب اشعار الاوبرا الشاعر الايطالى انطونيو جيزا لانزونى " وهو من أشهر شعراء القرن التاسع عشر ، وصممت ملابس الاوبرا فى باريس ..

وعندما اقترب موعد إفتتاح قناة السويس تعلل فيردى بأن المناظر لم تنته بعد ، وبناء على ذلك اختيرت أوبرا ريجوليتو لفيردى ايضاً ، ووعد فيردى بأن يكون الافتتاح العالمى لعايدة فى القاهرة .. وبذلك تكون أوبرا ريجوليتو هى أول أوبرا عرضت فى مصر عند إفتتاح دار الاوبرا المصرية فى أول نوفمبر ١٨٦٩ ، ومن المعروف أن فيردى قدم هذه الاوبرا لاول مرة فى أوبرا البندقية عام ١٨٥١ .

وفى ٢٤ ديسمبر ١٨٧١ م قدم فى دار الاوبرا المصرية العرض الاول لاوبرا عايدة التى تمثل الاوبرا الايطالية فى أوج مجدها ، وقد فاقت فى غنائيتها وسلاستها أية أوبرا أخرى ، وقد تحدى فيردى بهذه الاوبرا جميع التقاليد الموسيقية بما أسبغه عليها من تسلسل الاحداث والحبكة الدرامية ، وقد صور فيها بالموسيقى العواطف الانسانية المتباينة في مواقف متناقضة تصويرا واضحا على نحو نادر ..

وتدور أحداث أوبرا عايدة بالتحديد فى منف وطيبة ، وتجرى وقائعها فى عصر الحروب الكبرى بين قدماء المصريين والاحباش وتدور حول عايدة إبنة ملك الحبشة التى أسرها المصريون فى إحدى المعارك لتصبح جارية " امنريس " إبنة ملك مصر دون ان يعرفوا حقيقتها ، ويقع فى غرامها " رادميس " قائد القوات المصرية ويعيشا معاً قصة

حب ، وذلك فى الوقت الذى كانت تعشقه فيه (أمنريس) وتظل الامور على ماهى عليه حتى يكلف المـــــلك (رادميس) لقيادة الجيوش المصرية لصد غزو الاحباش ويتمكن رادميس من هزيمة جيوش الحبشة وأسر ملكهم (او مانصرو) والد عايدة ، وهنا يكافىء الملك رادميس قائد الجيوش المصرية باعلان زواجه من إبنته (امنيرس).

وبينما يعلن الكل فى مواكب احتفالات النصر هذا الزواج تفاجأ عايدة بأن والدها الملك بين الاسرى متنكراً حتي لايعرفه أحد من المصريين ، ويطلب منها عدم الافصاح عن شخصيته لكى ينتهى من تنفيذ خطته التى وضعها للهروب والنصر على المصريين خاصة بعد علمه بقصة الحب القوية بينها وبين رادميس ويطلب منها أن تعرف خطته الحربية مع الاحباش عن طريق إغرائه بحبها .. وهو ماحدث .

ويخبر رادميس عايدة بالاستعداد لحرب الاحباش مرة أخرى ، وانه سيخبر الملك بعد الحرب برغبته فى الزواج منها ، وينتهز والدها الفرصة ويطلب منها أن تعرف منه طريق الجيوش المصرية الى الحبشة حتى يفاجأهم الاحباش ، ويتم نقل المعلومات الى جيش الحبشة الذى يتمكن بفضل ماحصل عليه من معلومات من تحقيق النصر .

ثم تتضح الحقيقة . وتتم محاكمة رادميس بتهمة الخيانة ، ويصدر الحكم عليه بالموت حياً فى القبر وتختفى عايده ويتوقع الجميع أنها هربت وعند تنفيذ الحكم فى الصندوق الحجرى الضخم يفاجأ رادميس بأن عايدة داخل الصندوق ، وتصر على أن تموت معه لتكفر عن خطيئتها بعد شعورها بمدى الجرم الذى ارتكبته فى حق من أحبها .

وقد عرضت أوبرا عايده فى جميع دور الاوبرا العالمية .. ولكن فى ١٩٨٧/٥/٢ شهد العالم أضخم عرض لاشهر أوبرا فى العالم (عايده) أمام معبد الاقصر الذى بناه أمنحتب الثالث منذ ٣٥٠٠ ق.م فى أضخم عرض اوبرالى شارك فيه اكثر من ألف فنان وفنانة فى مسرح أعد خصيصاً لذلك أمام ساحة المعبد .. فى المكان الذى دارت فيه أحداث الاوبرا .

ولعلها المرة الاولى على مستوى العالم أن يتحرك أبطال العمل الفنى على مساحـــة

تقترب من ٥٠٠ متر تمثل ٦ مستويات أو ٦ خشبات مسرح تلتف حول المشاهدين من اليمين واليسار والامام وتعلو أيضاً فوق جدار المعبد فى إبهار حركى بالغ التأثير .. ثم عرضت فى ٨٧/٩/٢١ على مسرح مكشوف أمام ابو الهول بالجيزة .

والجدير بالذكر أن أول مدير مصرى للاوبرا هو منصور غانم ومن بعده الفنان سليمان نجيب ، وقبلها كانت إدارتها وقفا على الاجانب من أمثال " درانت " الذى أدارها فى عهد الخديو اسماعيل .. وبعده " بسكوالى " من نوفمبر ١٨٨٦ الى نوفمبر ١٩١٠ وجارد فورنابو " من يونيو ١٩١١ الى ١٩٣١ .

وكان أول من لحن المسرحيات الغنائية من الموسيقيين العرب هو سيد درويش عندما لحن رواية " فيروز شاه " لفرقة جورج ابيض والعشرة الطيبة لفرقة نجيب الريحانى ثم شهر زاد ثم " البروكة " .

وفى ٢٨ اكتوبر ١٩٧١ كانت مأساة الاوبرا المصرية حيث استيقظت مصر على رائحة إحتراقها ، وكانت فجيعة مصر فيها ليس فى التكاليف المادية فقط ، لكن فى القيمة التاريخية والاثرية التى لايمكن أن تعوض .. وبذلك أسدل الستار على أول دار للاوبرا فى افريقيا ..

وفى ١٩٨٨/١١/١٠ أفتتحت دار الاوبرا الجديده بالجزيرة بالقاهرة ...

جزيرة الاساطير

* * *

جزيرة فيلة أو " لؤلؤة النيل " كما أطلق عليها المؤرخون لجمال موقعها وعظمة آثارها وتقع وسط النيل عند مدينة أسوان وعلى مساحة ٨ أفدنة .

وجزيرة فيلة الحالية ليست فى الواقع الجزيرة التى كانت عليها معابد فيلة .. ولكن فيلة الحالية هى جزيرة " ايجيلكا " سابقاً والتى كانت مجاورة لجزيرة فيلة القديمة التى غرقت فى مياه النيل بعد بناء السد العالى ، مما اضطر مصر بالتعاون مع هيئة اليونسكو الدولية الى نقل معابد فيلة الى جزيرة إيجيلكا فى إطار الحملة الدولية لانقاذ آثار النوبة والتى انتهت فى ١٠ مارس ١٩٨٠ بافتتاح جزيرة فيلة الجديدة بعد نقل المعابد اليها ..

وفيلة هو الاسم الذى حوره البطالمة للاسم المصرى القديم " بيلاك " الذى كان يطلق على الجزيرة منذ الفراعنة وكان معناه " النهاية " أو نهاية المطاف " ، حيث كانت نهاية مطاف وصراع مياه النيل ودورانها عند هذه الجزيرة وبين صخورها الجرانيتية عقب كل فيضان .

وأقدم المعابد الاثرية على الجزيرة يرجع الى الاسره ٢٦ اى أوائل القرن السادس قبل الميلاد ، والجزيرة تحتوى على عدد من المعابد فى عصور مختلفة ، ويبلغ عدد الاعمدة الاثرية الضخمة بها مائة عمود بالاضافة الى ١٧٠ مقصورة و٤٣ ألف كتلة حجرية أثرية ..

وكانت فيلة ضمن مدينة أسوان تشكل آخر مدن مصر فى الجنوب كما كانت مركزا لتجارة العاج الذى يأتيها من السودان ، وقام حكامها فى الاسرتين الخامسة والسادسة (٢٥٦٠ - ٢٢٨٠ ق.م) بارتياد طرق الجنوب ، وكانوا أول رحالة فى التاريخ خرجوا لاكتشاف مجاهل افريقيا .

ومن أهم الاساطير التى ارتبطت بالجزيرة أسطورة الاميرة المصرية وردة والشاب أنس الوجود ، وتحكى قصة الاميرة وردة التى احبت أنس الوجود وكانت تعلم أن هذا

الحـــب لن ينتهي بالزواج ، فلم يحدث من قبل أن تزوجت إحدى أميرات القصر من عامة الشعب ، وأرادت الاميرة أن تحطم الحواجز بينها وبين أنس الوجود ، لكن والدها علم بهذا الحب فأخذها وأخفاها فى قصر كبير بجزيرة فيلة ، وأحاط القصر بالتماسيح ليمنع الاقتراب منه .. لكن الفتى العاشق لم يتوقف عن محاولة الوصول الى حبيبته فكانت قصائده تصل اليها عبر الاسوار .

وتقول الاسطورة الشعبية أن تمساحا مفترسا رق قلبه للفتى أنس الوجود ، وعرض عليه أن يحمله الى الشاطىء الذى يستقر عليه قصر الاميرة ، وبالفعل ينقله ولكن فرصة اللقاء لم تكتمل إذ علم والدها فأسرع ليطرد أنس الوجود رغم بكاء الاميرة ورغم كل توسلات العاشقين.

والاسطورة الثانية التى ارتبطت بجزيرة فيلة منذ العصر الفرعونى هى أسطورة الالهة " ايزيس " ربة السحر والوفاء والخير .. وتقول الاسطورة أن ايزيس أرملة "اوزوريس" راحت تبنى له زورقا لتبحث به عن أجزاء جسد زوجها رب الخير والخصب الذى عصفت الغيرة بقلب اخيه الحاسد الشرير (ست) فقطع أخاه أربا وألقاها متناثرة فى كل مكان .. وقامت ايزيس ربة السحر مبحرة فى مياه النيل لتجمع ما أستطاعت من جسد زوجها حتى عثرت على ساقه اليسرى عند جزيرة " بيجة " التى تلتصق بجزيرة فيلة .. وهناك جمعت أجزاء الجسد ليبعث من جديد وحملت منه وحيدها " حورس " .. لكن اوزوريس يتركها بعد أن يئس من شرور الارض ويصعد الى عالم الخلود ، وعلى الجزيره فيلة تبكى ايزيس زوجها بكاءاً مريرا فيفيض النيل من كثرة دموع الوفاء على زوجها .

عندما أغرق أهل الواحات
جيش قمبيز فى الصحراء

* * *

بين عامى ٥٦٨ - ٥٢٥ ق.م حكم مصر الملك أحمس الثانى ، وقضت مصر أثناء حكمه عهداً مزدهراً فى كل نواحى الحياة ، وأنشأ أسطولا قوياً أخضع به جزيرة قبرص وأرغمها على دفع الجزية لمصر وفى العام الاخير من حياته أخذت تتجمع السحب لتنذر بوقوع غزو فارسى لمصر ، ومات أحمس الثانى فى نفس العام الذى قرر فيه ملك الفرس قمبيز إحتلال مصر .

وخلف أحمس إبنه بسماتيك الثالث ، وجاء قمبيز وهاجم مدينة " بلوز " - الفرما - بحرا وزحفت جيوشه على مصر براً ، وبعد مقاومة عنيفة سقطت الدلتا فى يد الفرس ، ولجأ بسماتيك الثالث الى منف ، ولكن قمبيز حاصرها وفتحها وأسر بسماتيك الثالث وقتله .

ونكل الفرس بالمصريين ، ودخل قمبيز مقبرة الفرعون أحمس الثانى ، وأمر بإحضار جسده المحنط من داخل القبر ، وقام بجلده ووخزه ثم أمر بحرقه رغم أن حرق الميت محرم فى كلا الديانتين الفارسية والمصرية .. وعندما دخل قمبيز منف رأى المصريين يحتفلون بعيد الاله " أبيس " - العجل المقدس - فأمر بقتل من هم على رأس الاحتفال ثم طعن العجل المقدس حتى مات متأثرا بجراحه ، وأمر بتعذيب الكهنة ، وقام بتخريب مدينة عين شمس وحرقها من كل ناحية ، كما فعل ذلك بالمسلات .. وعم السخط مصر .

وتنبأ كهنة آمون بأن حكم الفرس لمصر لن يطول وأن حياة قائدهم قمبيز سوف تنتهى بكارثة ، واستشاط قمبيز غضباً عندما بلغته هذه النبوءة فقرر الانتقام من هؤلاء الكهنة بقتلهم جميعاً ، وحرق وتدمير معبدهم .

وسار قمبيز من طيبة على رأس جيش من خمسين ألف مقاتل ، وفى قول آخر تسعين ألف مقاتل ثم أقام فى الواحة الخارجة ، أما جيشه فقد عسكر فى السهل

المنبسط بين الخارجة " وواحة بيريز " وهى مايطلق عليها الآن (باريس) خطأ ، إذ أن اسمها مأخوذ عن اسم قائد الفرس بيريز الذى أقام فى هذه الواحة وسماها باسمه ، ثم مالبثت الاوامر أن صدرت الى بيريز بالتحرك الى سيوه لاحراق معبد الاله آمون ، والانتقام من الكهنة على نبوءتهم ، واتخذالفرس من أهل الخارجة أدلاء من قصاصى الاثر ليسيروا فى طليعة جيشه .

وضلل أدلاء الخارجة الفرس وقادوا الجيش كله الى بحر من الرمال ، وهبت عاصفة طاغية على الجيش وهو يأخذ راحته ، واستمرت العاصفة عدة أيام كان الجيش فى خلالها يدور حول نفسه داخل العاصفة حتى نفذت منه الاقوات وابتلعت معظمه الرمال ، ولم تهدأ العاصفة حتى كان الجيش كله فى بطن بحر من الرمال بين الخارجة وسيوه

عندما قدمت مصر
للعالم فن الكاريكاتور

* * *

كان قدماء المصريين هم أول من استخدم المبالغة فى رسم التقاطيع لتأكيد الشخصية المرسومة وسجلوا ذلك على أوراق البردى ، ويلاحظ أنها لم تكن تعتمد على تصوير الافراد والشخصيات وإنما كانت عبارة عن سخرية ضاحكة من الضعف البشرى وغير موجهة الى أشخاص بالذات .

وقد وجدت صورة فكاهية من رسم قدماء المصريين على ورق البردى ، وهى تمثل أسداً وغزالاً يلعبان الشطرنج ، وثعلباً يعزف على الناى وهو يرعى الماعز ، بينما القطة تقود الأوز !!

ومضى زمان طويل حتى جاء الايطاليون فجعلوا من الكاريكاتور لوناً من ألوان التسلية الشعبية الخفيفة وانتقل الى مختلف دول العالم .

وكان أول من حاول ادخال الكاريكاتور فى الصحافة المصرية هو " يعقوب صنوع " فقد كان يصدر ويحرر مجله نقدية هزلية تدعى " أبو نظارة " ، وأصدرها بالقاهرة عام ١٨٧٧ وهى أول صحيفة كاريكاتورية سياسية فى الوطن العربى ، وكان ينتقد فيها بشدة حكومة الخديو اسماعيل ، غير أن الحكومة ضاقت به ذرعاً فنفته الى الخارج حيث استقر بباريس وأخذ ينشر صحيفته تحت أسماء مستعارة مثل " أبوزمارة " ويرسل منها نسخاً الى بعض الشخصيات المعروفة فى مصر ، وقد حرمت الحكومة تداول هذه الصحيفة وصادرتها .

ثم بعث فن الكاريكاتور على يد الصحفى المصرى أحمد حافظ عفيفى فى مجلته التى أصدرها قبل الحرب العالمية الأولى " مجلة خيال الظل " وكانت الصفحات الملونة منها تطبع فى ايطاليا .

ومن أروع الرسوم الكاريكاتورية رسوم الفنان الاسبانى " جوان سانتيز " الــــذى

رسم فى صحيفة الكشكول ، وقد عاونه على النجاح إختلاطه بالأوساط المصرية والاجنبية فى مصر وسرعة خاطره وقوة خياله .. وحوالى عام ١٩٢٥ جاء الى مصر فنان كاريكاتيرى أرمنى يدعى " صاروخان " قدم رسومه الأولى فى مجلة " الجديد " التى كان يصدرها محمد المرصفى وأثبت استعداده لتفهم الحياة المصرية ، ثم ظهر فنان تركى الاصلى يسمى على رفقى فقدم لوناً من هذا الفن يمزج بين الزخرفة والتعبير .. وقد استطاع سانتيز وصاروخان وعلى رفقى أن ينشئوا مدارس للكاريكاتير المصرى تخرج فيها عدد كبير من الرسامين الكاريكاتيرين المعروفين ، وبرز منهم عدد كبير منهم رخا وعبد السميع وزهدى وجاهين وغيرهم .

فرعونيــــــــــات

* * *

عصور التاريخ المصرى :

خمسة عصور متميزة هى العصر الفرعونى ويبدأ من عام ٣٢٠٠ ق.م ويشمل حكم ثلاثين اسرة مالكة ، والعصر اليونانى الرومانى ويبدأ من ٣٣٢ ق.م والعصر الاسلامى الذى يبدأ بفتح العرب لمصر وانتشار الاسلام فيها من عام ٦٤١م ويشمل حكم عدة دول هى دولة الخلفاء الراشدين ، الاموية ، العباسية ، الطولونية ، العباسية الثانية ، الاخشيدية ، الفاطمية ، الايوبية ودولة المماليك وتبدأ من عام ١٢٥٠م وتنقسم الى دولة المماليك الاتراك والمماليك الجراكسة ، والعصر العثمانى من عام ١٥١٧م ، ثم العصر الحديث من تاريخ الحملة الفرنسية عام ١٧٩٨م حتى الآن .

قدماء المصريين يحرمون لحم الخنزير :

اعتبر قدماء المصريين الخنزير نجساً ، وحرموا أكل لحم تحريماً قاطعاً ، ويقول فى ذلك هيرودوت " والمصريون يعتبرون الخنزير نجساً ، ولذلك إذا مس مصرى خنزيراً أثناء مروره به ، ذهب فى الحال وألقى بنفسه فى النهر دون أن يخلع ملابسه ، كما أن رعاة الخنازير - ولو أنهم مصريون بمولدهم - لايدخلون ، دون سائر المصريين أى معبد من جميع معابد مصر ، ولايرضى مخلوق أن يزوج أحد هؤلاء الرعاة من إبنته " .

أول مشروع لاستصلاح الاراضى فى العالم :

كان فى مصر منذ حوالى ٥٠٠٠ عام عندما قرر الملك مينا مؤسس أول أسرة حاكمة فى مصر الفرعونية أن يبنى سداً من الحجارة على النيل ليتمكن من بناء مدينة منف فى منطقة السهل ، بحيث يشكل النيل حدود هذه المدينة أو خط الدفاع عنها .

وقد قسمت المناطق الزراعية بالقرب من النيل الى أحواض مسطحة تتصل بينها جسور من الطين والحجارة ، وكان إرتفاع هذه الجسور يصل الى بضعة أقدام ، وتقوم القنوات والاهوسة بتحويل ماء النيل ليروى الارض ، ويترسب الطمى عليها فتزداد خصوبة تلك الاراضى .

أقدم حجر فى تاريخ العالم :

هو حجر " بالرمو " وهو أقدم الوثائق التاريخية التى سجلت أسماء ملوك الفراعنة من الأسرة الثانية الى الأسرة الخامسة ، وتاريخ حكم كل ملك وما أنشىء فى أيامه من عمران .

وقد سمى الحجر باسم حجر " بالرمو " إذ يضم متحف بالرمو بصقلية اكبر أجزائه ، وتوزعت أجزائه الاخرى فى متاحف مختلفة منها لندن والقاهرة ، وإن كان فى المتحف المصرى أكثر اجزائه .

أقدم وثيقة طلاق فى العالم :

وجدها البروفسور فيشر بين لفائف برديات طيبة ، ويرجع تاريخها الى عصر بناة الاهرام ، وتقول الوثيقة :

" لقد هجرتك ولم تعد لى حقوق عليك كزوج ، ابحثى عن زوج غيرى ، لا أستطيع الوقوف الى جانبك فى أى منزل تذهبين اليه ، ولاحق لى عليك من اليوم فصاعداً باعتبارك زوجة لى وشريكة لحياتى .. اذهبى فى الحال بلا إبطاء أو تراخ .. زوجك المطلق آمون جوتر " وتحتها كتب المأنون توت اسمه ووقع معه أربعة شهود وختمها بختم التسجيل الرسمى .

أول قناة بين البحرين الاحمر والابيض :

سجل تاريخ مصر الفرعونى للملك سنوسرت الثالث أحد ملوك الاسرة الثانية عشرة العظام ، والذى حكم مصر من ١٨٨٧ الى ١٨٥٠ ق.م ، أنه أول من حفر القناه الثلاثية التى تربط البحر الابيض المتوسط (بحر الشمال الاخضر العظيم) بالبحر الاحمر (بحر اروترى) بحفر قناة تصل كل منهما بالبحيرات المرة ، وربط البحيرات فى نفس الوقت بنهر النيل عند مدينة منف عاصمة البلاد حتى يتمكن أسطوله الحربى وسفنه التجارية من الانتقال من نهر النيل ومدينة منف الى كل من موانى البحرين الابيض والاحمر .

أطباء بيطريين فراعنة :

عنى قدماء المصريين بالحيوانات وعلاجها ، وقد ورد بآثار بنى حسن مادل على هذه العناية ، وقد اكتشف أحد علماء الآثار عام ١٨٨٩ بناحية اللاهون بمديرية الفيوم ورقتين من أوراق البردى من عهد الاسرة الثانية عشرة ، ويرجع تاريخهما الى ألفين عام قبل الميلاد ، وقد وجد باحدى الورقتين تشخيص لمرض بثورين وعلاجهما ، وتشخيص كذلك لمرض بكلب مصاب بطفيليات باطنة وعلاجه .. مما يدل على وجود الاطباء البيطريين فى عهد الفراعنة .

قدماء المصريين والنظريات الرياضية :

كشفت بردية (برند) التى توجد بالمتحف البريطانى عن عمليات حسابية لقدماء المصريين تتضمن مجموعة نموذجية للعمليات الحسابية ، وفيها علاقات تشير الى الكسور الاعتيادية والعشر والتسع والثمن ، كما وجدت بردية اخرى تكشف عن مساحات المثلث ، كما عرفوا الآحاد والعشرات والمئات والألوف ومئات الألوف ، وعرفوا الضرب بالتكرار والقسمة ..
وفى الهندسة عرفوا مساحة المربع والمستطيل بضرب الطول X العرض ، وعرفوا الزاوية القائمة ومساحة الدائرة ونظرية استخراج مساحة المثلث .

لماذا أقام قدماء المصريين مدنهم شرق النيل فقط ؟

يلاحظ أن أغلب المدن المصرية أقيمت على الناحية الشرقية للنيل ، ويرجع ذلك الى عدة أسباب من أهمها أن قدماء المصريين قد عبدوا الشمس فى فترة من فترات تاريخهم ، وكانوا يعتقدون أن الشمس وهى رمز الحياة فى شروقها ، وترمز للموت فى غروبها ، ولذلك كانوا يدفنون موتاهم فى الغرب ، بينما يعيشون ويقيمون مدنهم فى

الشرق .. والدليل على ذلك أن أغلب الآثار الفرعونية مثل الاهرامات والكرنك ودندرة وهى مقابر كلها تقع على الضفة الغربية للنيل .

مكتبة الاسكندرية
تغير علاقة الأرض بالشمس

* * *

كانت مكتبة الاسكندرية أول مكتبة عالمية فى التاريخ .. وعلى الرغم من إنشاء مكتبات عديدة بعد ذلك فى مختلف أنحاء العالم إلا أن شهرة مكتبة الاسكندرية ظلت حتى يومنا هذا .. ومن المسلم به أنها كانت أعظم مكتبة فى التاريخ القديم على الاطلاق .

ولعل السبب وراء شهرة مكتبة الاسكندرية والاهتمام المستمر من جانب الباحثين بتاريخها هو أنها لم تكن مجرد مكتبة ، ولكنها كانت معلماً من معالم حضارة بأسرها ، كما كانت الاساس الذى ارتكزت علية مؤسسة للبحث العلمى فى التاريخ القديم وهو المجمع العلمى بالاسكندرية والذى عرف باسم " الموسيون " .. وحول هذا المجمع ازدهرت جامعة الاسكندرية القديمة طوال سبعة قرون احتلت الاسكندرية خلالها مكان الصدارة وحملت مشعل العلم فى العالم المتحضر آنذاك .

ويرجع تاريخ تأسيس مكتبة الاسكندرية الى بداية القرن الثالث قبل الميلاد عندما كلف بطليموس الاول - الشهير باسم بطليموس سوتر أى المنقذ - الذى تولى حكم مصر بعد الاسكندر الاكبر أحد مستشاريه " ديمتريوس الفاليرى " (السياسى الاثينى وتلميذ أرسطو) بتأسيس مجمع للبحث العلمى " الموسيون " (أى معبد ربات الفنون والعلوم) ومكتبة كبرى تضم كتب العالم آنذاك ، وأنفق المال لاجتذاب العلماء واقتناء الكتب من جميع الشعوب بالاضافة الى اقتناء المخطوطات الاصلية للكتب .

وقد حققت جهود البطالمة أهدافها وبلغ عدد الكتب التى أمكن جمعها مايزيد على نصف مليون كتاب ، ثم ارتفع الرقم الى ٧٠٠ر٠٠٠ كتاب .. ونظراً الى أنه لم يكن من اليسير وضع هذا العدد الهائل من الكتب فى مكان واحد ، فقد قسم الى مكتبتين رئيسيتين هما المكتبة الأم التى كانت ملحقة بالمجمع العلمى . ومكتبة اخرى كانت جزءاً من معبد السرابيوم ، وهكذا اصبحت مكتبة الاسكندرية بقسميها أكبر مكتبة فى العالم القديم .

وتجدر الاشارة الى أن الكتب التى اشتملت عليها المكتبة لم تكن تشبه كتب العصر الحالى بل كانت على هيئة ملفات أسطوانية عبارة عن شرائح طويلة من ورق البردى ملفوفة على أعواد الغاب ، وكانت كلها مخطوطة باليد لان الطباعة لم تكن قد اخترعت بعد .

وقد ارتبطت مكتبة الاسكندرية بأسماء عدد من أشهر العلماء ، فمنذ البداية كان هناك " اقليدس " الذى علم فيها مختلف فروع الهندسة ، وفيها دون كتابة الشهير " المبادىء " وكان معاصراً للفلكى الكبير " اريستاخوس " الذى كان أول من حسب المسافات بين الشمس والقمر ، وأول من قال بدوران الارض حول محورها وحول الشمس قبل أن يكتشفه كوبرنيكس .. وفيها أيضاً استطاع " اراتوستينيس " أن يقيس محيط الكرة الارضية دون أن يخطىء فى أكثر من خمسين ميلاً .. وتجدد علم الطب بالاسكندرية - منذ عهد بطليموس الاول - على يد كل من " هيروفيلوس " و" اراسستراتوس " فأسس الأول دراسات فى التشريح العلمى أما الثانى فقد اعتمد على الفسيولوجيا بوجه خاص ، وكانت أهم اكتشافاته متصلة بالدورة الدموية فهو الذى اعتبر القلب عامل حركة الدورة الدموية كلها ، وقام بدراسات للجهاز التنفسى والجهاز الهضمى .

وفى مكتبة الاسكندرية وضعت أسس علوم التصنيف ويرجع الفضل لأحد مديريها وهو " كاليماخ " الذى وضع كتابه المعروف " بيناكس " وفيه تم تدوين أسماء المؤلفين وعناوين المؤلفات الموجودة بالمكتبة ، ويعد هذا الكتاب أقدم عمل ببليوغرافى فى العالم .

وفى مكتبة الاسكندرية درس " أرشميدس " الذى اشتهر بأبحاثه عن الدوائر والكرات والاجسام الاسطوانية والميكانيكا ، وعاش بها ايضاً بطليموس الاسكندرى مؤسس علم الخرائط ، وهو العالم الذى تحكم فى الفكر الفلكى والجغرافى أكثر من ألف عام .

لقد بقيت مكتبة الاسكندرية أكثر من قرنين من الزمن مركزاً للحياة الثقافية للعالم ، ثم تعرضت للحريق والتدمير عام ٤٨ ق.م ، وكان المسئول الاول عن هذه الكارثة هو

يوليوس قيصر الذى وصل للاسكندرية لمساندة كليو باترا ، ونشبت معركة بحرية ، وأمر يوليوس قيصر باحراق السفن فى الميناء إلا أن النار امتدت بسرعة واشتعل حريق هائل أتلف دار صناعة السفن وما جاورها من المبانى ومنها مكتبة الاسكندرية .

منارة الاسكندرية
أول منارة فى العالم

* * *

تعد منارة الاسكندرية أو " منارة فاروس " أشهر منارة بحرية فى تاريخ العالم واحدى عجائب الدنيا السبع .. وقد أطلق اسمها على كل منارات العالم ، وعنها أخذت التسمية الفرنسية " فار " والتسمية الايطالية " فارو " واشتقت منها كلمتا " فنار " و "منار" .. وقد أقامها بطليموس الثانى عام ٢٧٩ ق.م بالطرف الشرقى من جزيرة فاروس .

وكان فى خطة البطالمة أن يجعلوا من الاسكندرية أهم وأوسع ميناء بحرى تجارى وحربى فى حوض البحر الأبيض المتوسط ، ولذلك تم تكليف المهندس " سوستراتوس " لبناء هذا المنار الذى لم يشهد العالم مثله من قبل ليكون أوضح دليل للعالم على المجد البحرى الذى تمثله مصر .

وأقيمت المنارة على صخرة فى البحر ، وبنيت من صخور متينة منحوتة صب بينها الرصاص حتى لايتسرب اليها ماء البحر وكانت مكونة من عدة طوابق تكون بناءاً ضخماً على شكل برج يرتفع نحو ١٢٤ مترا ، وكان الطابق الأول منها مربع الشكل ويرتفع نحو ٦٠ مترا ويتضمن ٤٠٠ حجرة ، وقد أثار عدد الحجرات الكثيرين حتى أن المقريزى قال " يقال ان كل من دخل المنارة اختبل وضل الطريق مما بها من الغرف العدة والطبقات والمحاشى " ..

أما الطابق الثانى فكان ثمانى الاضلاع ويرتفع بدوره نحو ٣٠ مترا ، أما الطابق الاعلى فكان اسطوانى الشكل ويرتفع نحو ١٥ مترا ومقاماً على أعمدة ضخمة من الجرانيت تحمل فيه بداخلها مجموعة من المرايا المحدبة التى كانت تعكس اللهب نوراً لهداية السفن فى أعالى البحر على بعد ثلاثين ميلاً ، وفوق القبة أقيم تمثال هائل من البرونز لإ له البحر " بوسيدون" يرتفع نحو سبعة أمتار .

ولسوء الحظ تكالبت الزلازل والظواهر الطبيعية القاسية وأعمال التخريب على هذا البناء الشامخ حيث انهار فى أعقاب زلزال فى القرن الرابع عشر الميلادى ولم يبق منه

سوى الاساس الحجرى الذى أقيمت عليه " قلعة قايتباى " فى منتصف القرن الخامس عشر الميلادى.

حصــن بابليــون
والعائلـــة المقدســـــة

* * *

كان فى الاصل قلعة أقامها الملك بختنصر (بمصر القديمة الآن) عندما غزا مصر .. وكان الحصن مقراً لاقوى رباطات الجيش الرومانى بمصر .. وهو من أهم وأضخم آثار الامبراطورية الرومانية فى مصر ، وتم بناء الحصن فى عهد الامبراطور الرومانى تراجان فى بداية القرن الثانى الميلادى على أنقاض القلعة القديمة ..

وقد أضيفت اليه مبان اخرى فى القرن الرابع الميلادى ، ومازالت بعض المبانى والابراج الاصلية قائمة حتى الآن وهى أبراج اسطوانية الشكل دائرية مفرغة .

وكان سمك أسوار الحصن ثمانية عشر قدما ، وكان محيط الاسوار على شكل مربع غير منتظم وبداخله مقياس للنيل ، حيث كانت مياه النيل فى ذلك الوقت تجرى تحت أسوار الحصن بحيث كانت ترسو السفن ، وكان ارتفاع الأسوار يبلغ ستين قدماً .. وكانت تزيد من قوة الحصن وخطره الحربى جزيرة الروضة التى كانت ذات حصون لانها تقع وسط النهر .. وكانت المنطقة الموجودة حول الحصن مزارع فسيحة .

ويوجد داخل أسوار هذا الحصن ٦ كنائس من أهم وأقدم الكنائس القبطية والاثرية فى العالم .. وأهم تلك الكنائس كنيسة ابى سرجة التى تقع وسط الحصن تقريبا ، وقد شيدت هذه الكنيسة فوق المغارة التى لجأت اليها العائلة المقدسة عندما هربت الى مصر من مؤامرات اليهود والرومان الوثنيين .

ويوجد داخل حصن بابليون الكنيسة المعلقة ، وسميت بهذا الاسم لأنها شيدت فوق أبراج حصن بابليون على ارتفاع ١٣ متراً فوق سطح الارض الاصلية لهذا الحصن ، وقد بنيت فى أواخر القرن الرابع الميلادى وهى أقدم كنيسة بنيت فى حصن بابليون ، وتعد أول كاتدرائية فى القاهرة .. وظلت مقراً للبابوية لمدة ٣٠٠ عام .. وأطلق عليها من قبل الكنيسة ذات السبعة مذابح والسبعة أحجبة ، وهى الكنيسة الوحيدة فى العالم التى يوجد بها هذا النظام .

وتوجد داخل الحصن كنيسة مارى جرجس .. والمتحف القبطى الذى جمع أندر تحف الفن القبطى ووثائق تاريخ المسيحية فى مصر ، وتم تأسيسه عام ١٩١٠ بعد نقل ماعثر عليه من الآثار القبطية من الكنائس والاديرة بمختلف أنحاء مصر ، وقد بنت الحكومه جناحاً جديداً للمتحف عام ١٩٣٧ .

وقد اشتهر حصن بابليون فى تاريخ فتح العرب لمصر ، فقد حاصره العرب عام ٦٤١ م بقيادة عمرو بن العاص بعد أن وافاه مدد خاص بقيادة الزبير بن العوام ، حتى قبل القائد الرومانى (المقوقس) الصلح إلا أن الامبراطور (هرقل) رفض الموافقة عليه وحاول القائد تيودور فض الحصار من الخارج ولكن استحال زحزحة العرب حتى تم تسليم الحصن فى ٦ / إبريل / ٦٤١ م .. وواصل العرب زحفهم الى الاسكندرية والصعيد ، ومازال يوجد بالحصن الباب الحديدى الذى يقال أن المقوقس حاكم مصر الرومانى خرج منه سراً لمفاوضة عمرو بن العاص .

وقصر الشمع هو الاسم الذى أطلقه العرب على حصن بابليون أو (باب اليوم) لما روى من أن الشموع كانت توقد على بابه فى رأس كل شهر إعلاما للناس بأن الشمس قد انتقلت من برج الى برج .

مصريـــــات

* * *

الواحة العظمى :

اسم كان يطلق على الواحات الخارجة وذلك لوفرة خيراتها ولينابيعها الغزيرة وغلالها التى كانت أغلى مايباع فى روما ، وقد استطاع الرومان زراعة نحو مليون فدان حوالى عام ٧٠ ميلادية .

وبلغت فى العصر الرومانى أوج إزدهارها ، فقد كانت مخزنا للحبوب والثمرات الخاصة بالامبراطور ، وكانت تمون مصر كلها بالقمح الى جانب تموين روما ، ثم بدأ الصراع الرهيب فى كل مكان من أرض مصر بين الحكومة الرومانية الوثنية وأقباط مصر ، واتخذت المقاومة الدينية صبغة سياسية ، ومن ثم عرفت مصر عصر الشهداء الذى تميز بالاضطهاد الدينى من جانب الرومان للمسيحية ، وفر المسيحيون الى الواحات بعيدا عن الاضطهاد فى داخل الوادى .

مقبرة لامثيل لها فى العالم :

مقبرة كوم الشقافة بالاسكندرية ، وهى لأسرة رومانية غير معروفة ، وهى مكونة من ثلاثة طوابق بعمق ثلاثين قدماً فى باطن الارض ، ومحاطة بسلالم حجرية (حلزونية) فى شكل دائرى حتى العمق لتصل بين الطوابق الثلاثة بعضها ببعض .

ويوجد بالمقبره ٣٦٥ فجوة محفورة فى الصخر لدفن الموتى ، وبها خمسون تابوتاً كانت مخصصة لدفن الاثرياء ، وبكل طابق قاعة كانت مجهزة لأهل الموتى الاحياء حيث كانوا يحضرون أوعية الطعام وقوارير النبيذ التى وجد منها عدد محطم ، ولكثرة ماوجد بالمنطقة من الشقاف المحطمة جاءت تسمية الحى بكوم الشقافة .

مصر فى أحاديث الرسول
صلى الله عليه وسلم

* * *

شرفت مصر بدعوة محمد صلى الله عليه وسلم الى الاسلام ، وقد كتب الى المقوقس والى الروم كتاباً يقول فيه " بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله ورسوله الى المقوقس عظيم القبط ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد فانى أدعوك بدعاية الاسلام فأسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فان توليت فعليك إثم كل القبط .. يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أربابا من دون الله ، فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون .

وقد رد المقوقس على كتاب الرسول رداً جميلاً وأرسل بعض الهدايا اليه .

وعن أبى ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستفتحون مصر وهى أرض يسمى فيها القيراط ، فاستوصوا بأهلها خيراً فان لهم ذمة ورحماً " .. والمراد بالرحم أنهم أخوال اسماعيل بن سيدنا ابراهيم الخليل عليهما السلام فقد كانت السيدة هاجر أم اسماعيل مصرية ، واسماعيل عليه السلام والد عرب الحجاز الذين منهم النبى صلى الله عليه وسلم ، كما يعد المصريون أخوال ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن أمه مارية كانت مصرية أهداها المقوقس حاكم مصر حين بعث برده على رسالة النبى .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله سيفتح عليكم بعدى مصر فاستوصوا بقبطها خيراً فان لكم منهم صهراً وذمة "

كما أوصى الرسول صلى الله عليه وسلم عند وفاته بأهل مصر قائلاً " الله الله فى قبط مصر ، فانكم ستظهرون عليهم ويكونون لكم عدة وأعوانا فى سبيل الله "

كما قال صلى الله عليه وسلم عن قبط مصر إنكم ستقدمون على قوم جعد رؤسهم فاستوصوا بهم خيراً فانهم قوة وبلاغ الى عدوكم بإذن الله "

وقال صلى الله عليه وسلم " إستوصوا بالقبط خيراً فانكم ستجدونهم نعم الاعوان على قتال عدوكم " .

وأخرج ابن عبد الحكم عن موسى بن أبى أيوب اليافعى عن رجل من المريد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرض فأغمى عليه ثم أفاق فقال : استوصوا بالأدم الجعد ثم أغمى عليه ثم أفاق فقال مثل ذلك فقال القوم : لو سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأدم الجعد ، فأفاق فسألوه ، فقال : قبط مصر فانهم أخوال وأصهار وهم أعوانكم على عدوكم وأعوانكم على دينكم ، فقالوا كيف يكونون أعواننا على ديننا يارسول الله فقال يكفونكم أعمال الدنيا وتتفرغون للعبادة فالراضى بما يؤتى اليهم كالفاعل بهم ، والكاره لما يؤتى اليهم من الظلم كالمستنزه عنهم " .

وأخرج ابن عبد الحكم عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جنداً كثيفاً فذلك خير أجناد الارض ، فقال له أبو بكر – رضى الله عنه – : ولم يارسول الله ؟ قال لانهم وأزواجهم فى رباط الى يوم القيامة " .

كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " الله الله فى أهل الذمة أهل المدرة السود السحم الجعاد فان لهم نسباً وصهراً " ذلك أن ثلاثة من الانبياء قد صاهروا المصريين ، ابراهيم عليه السلام تزوج هاجر وأنجب منها اسماعيل ، ويوسف عليه السلام ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج مارية وأنجب منها ابراهيم .

المصرية التي تزوجها الرسول

* * *

مارية التى ولدت بقرية (حفن) بصعيد مصر على الضفة الشرقية للنيل (بمركز ملوى محافظة المنيا حاليا) لأب قبطى .. وبين قصور المقوقس (جريج بن ميناء) حاكم مصر من قبل هرقل ملك الروم شبت هى وأختها سيرين كجاريتين من جوارى المقوقس.

وفى مستهل السنة السابعة للهجرة خرج من المدينة المنورة عدد من الصحابه موفدين من قبل النبى صلى الله عليه وسلم الى الملوك يدعونهم الى الاسلام .. ووصل الى مصر (حاطب بن أبى بلتعة اللخمى) فاستقبله المقوقس عظيم القبط فى القصر الملكى .. وقدم حاطب الكتاب الذى كان يحمله من الرسول وكان نصه " بسم الله الرحمن الرحيم " .. من محمد بن عبد الله الى المقوقس عظيم مصر .. سلام على من اتبع الهدى .. أما بعد ، فانى أدعوك بدعاية الاسلام ، أسلم تسلم ، يؤتك الله أجرك مرتين .. فإن توليت فانما عليك إثم القبط " يا أهل الكتاب ، تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ، ألا نعبد إلا الله ، ولانشرك به شيئا ، ولايتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون " .

وعلم المقوقس أن نبياً قد بعث بأرض العرب ، ورد المقوقس على كتاب محمد صلى الله عليه وسلم بقوله أنه يعلم أن نبياً سيظهر ، ولكنه كان يعتقد أن ظهوره سيكون بالشام ، ثم أمر بتجهيز الهدايا لترسل الى النبى وكان فيها ملابس وأدوات للزينة ، وعسل من بنها ، وحمار وبغلة بيضاء ، وطبيب من أطباء مصر .. وفى مقدمة كل هذا جاريتان من أعز وأجمل جوارى القصر هما مارية وسيرين يصحبهما خادم لهما يدعى مابور .

وسار الموكب فى اتجاه جزيرة العرب ، وقص حاطب لمارية وسيرين قصة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فمال قلباهما لأن تعتنقا الاسلام ، وأسلما بالفعل قبل أن يصلا الى الرسول .

واختار الرسول مارية ، ووهب اختها سيرين لشاعر المسلمين حسان بن ثابت .. وأنزل الرسول مارية بدار الحارثة بن النعمان بالقرب من مساكن زوجاته ، ولكنهن غرن منها فنقلها الى مكان يعرف بالعالية فى ضاحية من ضواحى المدينة .

وحملت مارية من الرسول صلى الله عليه وسلم ووضعت ابراهيم ، وجاء الى النبى مولاه أبو رافع يبشره فاكرمه ، وأكرم مولاته سلمى زوجة أبى رافع التى أشرفت على ولادة ابراهيم ، وتصدق على كل فقير ومسكين من أهل المدينة .. وعهد النبى بابنه الى مرضعة ، ودفع اليها عدداً من الماعز لترضعه لبنها ، وكان للرسول العزاء بعد أن تقدم به العمر وبعد أن لم ينجب من زوجاته جميعاً غير زوجته الأولى خديجة ، وكان السلوى له بعد أن مات جميع أولاده من خديجة ولم يبق له منهم غير ابنته فاطمة .

ولكن مارية والرسول لم ينعما بابراهيم طويلا ، فبعد سنة ونصف تقريبا مرض وتوفى ، وحزنا عليه حزناً شديداً .. وكسفت الشمس فى ذلك اليوم فقال المسلمون " ماكسفت الشمس إلا لموت ابراهيم ، وسمع النبى قولهم فقال : " إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله ، لاتخسفان لموت أحد ولا لحياته ، فاذا رأيتم ذلك فافزعوا الى ذكر الله بالصلاة ".

ولم يمض على ذلك وقت طويل حتى توفى الرسول بعد أن قال وهو يوصى المسلمين: استوصوا بالقبط خيراً ، فإن لهم ذمة ورحماً .. وماتت مارية بعد نحو خمس سنوات من وفاة النبى ودفنت بالبقيع .

الاسلام يدخل افريقيا
من باب مصر

* * *

بعد أن فتح عمرو بن العاص فلسطين طلب الى الخليفة عمر بن الخطاب أن يأذن له فى فتح مصر ، لما كان يعلمه عن خصبها وثروتها ومايجره فتحها من خير وبركة على الدولة الاسلامية ، وأهمية هذا الفتح من الناحية العسكرية لتأمين بلاد الشام من غزو الروم الذين كانوا يحيطون بالشام من الشمال ومن الجنوب ولكن عمر بن الخطاب تردد كثيرا قبل السماح لعمرو ، لما كان يخشاه على جيوش المسلمين من التوغل فى بلاد احتلها الروم منذ فترة بعيدة ، ولهم فيها الحصون والجنود ، يضاف الى ذلك عدم رغبته فى التوسع قبل أن تثبت قدم العرب فى الشام أو فى بلاد فارس .. ولكن أمام الحاح عمرو وتهوينه لأمر فتح مصر سمح عمر بن الخطاب له بالسير على رأس جيش عدته أربعة آلاف جندى .

وصل عمرو بن العاص من فلسطين الى العريش فى ١٢/١٢/٦٣٩م فاستولى عليها دون مقاومة ثم واصل السير حتى الفرما (شرق بحيرة المنزلة) وكانت تعتبر مفتاح مصر من ناحية الشرق ، وتبعد عن ساحل الروم (البحر المتوسط) بنحو ميل ونصف فحاصرها عمرو شهراً حتى سقطت فى يناير ٦٤٠م .. بعدئذ سار عمرو الى الجنوب الغربى حتى وصل الى مدينة القنطرة الحالية ، ولزم العرب جانب الصحراء متجهين الى ناحية مدينة الصالحية ، رغبة فى أن تكون الصحراء حصنهم الذى يلجأون اليه وقت الخطر ولكى يتجنبوا عبور القنوات وفروع النيل ، ومن ثم سار عمرو الى بلبيس فاستولى عليها بعد حصار دام شهراً ، ثم واصل سيره صوب حصن بابليون فمر فى طريقه إليه بقرية (أم دنين) وكانت قرية صغيرة على النيل يقع مكانها اليوم حديقة الأزبكية وكانت بها حامية قوية فتغلب عليها العرب رغم مقتل عدد كبير منهم ، ولذلك بعث عمرو الى الخليفة يستنجده ، وفى أثناء إنتظاره المدد عبر النيل من الضفة الشرقية الى الضفه الغربية جنوبى أم دنين فمر بمنف وسار حتى الفيوم ، وقد وصلته الاخبار بقدوم المدد عند عين شمس فعاد عمرو الى عين شمس واستعد للهجوم على حصن بابليون .

فى هذه الفترة كان الخوف قد تملك الناس وهاجر كثيرون الى الاسكندرية تاركين

أرضهم وبيوتهم ، وكان لابد لعمرو من أن يسير الى الاسكندرية وراء هذه الافواج الهاربة ، ولكن وقفت أمامه عقبتان أولهما أن الوقت كان صيفاً وعلى التحديد فى شهر اغسطس والنيل آخذ فى الفيضان والماء يعلو سريعاً ، والبلاد لايمكن السير فيها ، وثانيهما أن هناك روماً كثيرين فى حصن بابليون ولايستطيع عمرو أن يخلف وراءه الحصن وبه جنود كثيرون من الروم مما كان يشكل خطراً جسيماً يهدد ظهره عند تقدمه الى الاسكندرية .

ومما يذكر أن أصل حصن بابليون (مكانه مصر القديمة الآن) قلعة أقامها بختنصر عندما غزا مصر ، ولما جاء الامبراطور الرومانى " تراجان " أقام الحصن على أساس القلعة وجعل فيه قلعة منيعة قوية وذلك فى العام المتمم للمائة من الميلاد ، وكانت مياه النيل تجرى تحت أسوار الحصن بحيث ترسو السفن ، وكان إرتفاع أسواره يبلغ ستين قدما ، وكان الناظر من فوق الحصن وقت غزوه لايقف شىء دون بصره حتى يبلغ مدينة عين شمس ، وكان يزيد من قوة الحصن جزيرة الروضة التى كانت ذات حصون لأنها فى وسط النهر ، وقد استولى العرب عليها أثناء حصارهم للحصن .

عزم الروم على الدفاع عن الحصن ، ولما كان الوقت صيفاً والفيضان مرتفعاً والخندق المحيط بالحصن مليئا بالمياه ، وليس فى مقدور المسلمين مهاجمة الحصن ، فقد كان الروم يأملون أن يطول الحصار فتسنح الفرصة لوصول إمدادات من الاسكندرية ، وكان جند الحصن كلهم من الروم إلا قليلا من القبط كانوا فى خدمتهم ، ويبلغ عدد الجنود حوالى ستة آلاف جندى وكان به كثير من الزاد والذخائر ، وأخرج من الحصن عن طريق النهر عدد كبير من غير الجند من أهل مصر والاديرة المجاورة ليوسعوا على الجنود .

قرر عمرو محاصرة الحصن وكان يعلم أن الحصار سيطول ، وكان يرى أن الفيضان لن يدوم اكثر من شهرين يستطيع خلالهما مناوشة الروم بقصد إضعاف روحهم ، وكان مطمئناً الى أنه من الصعب وصول إمدادات الى الحصن لشدة التيار ، وأنه اذا عادت حالة النهر الى ماكانت عليه قبل الفيضان فإن إقتحام الحصن سيكون أمراً يسيراً .

مضى من الزمن شهر والحصار حول الحصن ، والعرب لاتهن لهم عزيمة ، وبدأ فيضان النيل يقل ومستوى المياه ينزل ، والمد الذى توقعه من بالحصن لم يصل ، ورأى القائد العام لقوات الروم وخليفة هرقل على مصر أن الموقف ليس فى صالحهم ، فرأى أن تجرى مفاوضات سرية وأن يتولاها المقوقس بنفسه ، فيعرض على العرب مقداراً من المال مقابل مغادرة البلاد ، واستقر الرأى على أن ينطلق المقوقس مع بعض أصحابه الى جزيرة الروضة سراً ، ويفاوضوا عمرو فيما اتفقوا عليه .

ومن جزيره الروضة بعثت رسالة الى عمرو تقول " إنكم قوماً قد ولجتم فى بلادنا ، وألححتم على قتالنا ، وطال مقامكم فى أرضنا ، وإنما أنتم عصبة يسيرة ، وقد أظلتكم الروم وجهزوا اليكم ، ومعهم من العدة والسلاح ، وقد أحاط بكم هذا النيل ، وإنما أنتم أسارى فى أيدينا ، فابعثوا إلينا رجالا منكم نسمع كلامهم فلعله أن يأتى الامر فيما بيننا وبينكم على ماتحبون وتحب ، وينقطع عنا وعنكم القتال قبل أن تغشاكم جموع الروم ، فلا ينفعنا الكلام ولانقدر عليه ، ولعلكم لن تندموا إن كان الامر مخالفا لطالبكم ورجائكم ".

وأنتظر المقوقس أن يعود رسله ومعهم رد عمرو ، ولكن عمرو حجز رسل المقوقس ليطلعهم على رجال المسلمين ، وعادوا بعد يومين ومعهم رد عمرو يقول فيه " ليس بينى وبينكم إلا إحدى ثلاث خصال ، إما دخلتم الاسلام فكنتم اخواننا وكان لكم ما لنا ، وإما أبيتم فأعطيتم الجزية عن يد وأنتم صاغرون ، وإما جاهدناكم بالصبر والقتال حتى يحكم الله بيننا وبينكم وهو خير الحاكمين " .

وسأل المقوقس رسله عن القوم فأجابه رئيسهم " رأينا قوماً الموت أحب الى أحدهم من الحياة ، والتواضع أحب الى أحدهم من الرفعة ، ليس لأحدهم فى الدنيا رغبة ولانهمة ، إنما جلوسهم على التراب وأكلهم على ركبهم ، وأميرهم كواحد منهم ، مايعرف رفيعهم من وضيعهم ولا السيد منهم من العبد ، وإذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم أحد ، يغسلون أطرافهم بالماء ويخشعون فى صلاتهم " .

ولم يجد المقوقس مايقوله بعد ما سمعه سوى قوله " والذى يحلف به لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها ، ومايقدر على قتالهم أحد ، ولئن لم نغتنم صلحهم اليوم وهم

محصورون بهذا النيل لم يجيبونا بعد اليوم إذا أمكنتهم الارض واستطاعوا الخروج من وضعهم " .. ويعث المقوقس الى عمرو يطلب من يفاوضهم ، ويعث اليه عمرو عشرة من المسلمين ، وحاول المقوقس إقناعهم بقبول مبلغ من المال وترك مصر ، ولم يجد رداً منهم إلا أن يختار إحدى ثلاث خصال كما قال عمرو .

ولما يئس المقوقس دعا أصحابه ونصحهم بقبول الصلح مع المسلمين وقال لهم " أما دخولكم فى غير دينكم فلا آمركم به ، وأما قتالهم فانا أعلم أنكم لن تقدروا عليهم ولن تصبروا صبرهم ، ولابد من الثالثة " ولكنهم رفضوا ، واختلف كبار الروم وطلبوا أن يهادنهم العرب شهراً ليروا فيه رأيهم ، ورفض عمرو طلبهم وأمهلهم ثلاثه أيام ، وعلم أهل الحصن بالمفاوضات ، وثاروا على المقوقس وأبوا كل شىء إلا القتال .. وفى اليوم التالى لانتهاء الهدنة هاجم الروم عمرو وجنوده على غرة ، إلا أن المسلمين استطاعوا تدارك الموقف ، وقاتلوا الروم قتالا شديداً عنيفاً وتكاثروا عليهم ، واضطروهم الى التقهقر والتراجع الى داخل الحصن بعد أن قتل منهم عدد كبير .

وعاد المقوقس الى قومه وطلب الاذعان لدفع الجزية ، وتم الصلح بين العرب والروم فى نوفمبر ٦٤١م على أن تبقى الجيوش حيث هى ، ويظل الحصن مع الروم ، وأن يفرض على جميع من بمصر أعلاها وأسفلها من القبط دينارين على كل نفس ممن بلغ منهم الحلم ، وليس على الشيخ الكبير ولاعلى الصغير الذى لم يبلغ الحلم ولا على النساء شىء ، وأن يوافق هرقل على هذا الصلح .. وأخذ المقوقس على عاتقه مهمة إقناع الامبراطور بالقبول ، ولكنه لم يستطع ، وبذلك انتهت الهدنة وعاد القتال .. وكان النيل يهبط سريعاً وتهبط معه المياه التى فى الخندق حول الحصن ، وتهبط معه ايضا مشاعر القوم فى النصر ، وآمالهم وشجاعتهم .. ولما فرغ الخندق من الماء تملك الروم الخوف والفزع ، وحين انتهى الشتاء كانت مناوشات عديدة قد وقعت بين العرب والروم.

طالت مدة حصار حصن بابليون وبلغت سبعة أشهر ، وضاق العرب بهذه الشهور الطويلة التى انقضت دون فتح الحصن ، وكان الزبير بن العوام أشد العرب حماسة ، وفى احدى الليالى تقدم على رأس كتيبة تحت جنح الليل ، واقترب من جدار الحصن ، ووضع سلماً على السور ، وعلاه دون أن يفطن اليه أحد بعد أن اتفق مع أصحابه أن

يرقوا السلم اليه وأن يجيبوه إذا سمعوا تكبيره ، وفعلاً صعد هو وأصحابه فوق السور وكبروا وأجاب المسلمون خارج الحصن تكبيرهم ، فلم يشك الروم فى أن العرب قد اقتحموا الحصن فهربوا ، واتجه الزبير الى باب الحصن ففتحه ، واندفع المسلمون الى داخله واستولوا علية وأسرع قائد الحصن يسأل عمرو الصلح وقبول التسليم على أن يأمن كل من هناك من الجند على أنفسهم ، وقبل عمرو الصلح على أن يغادر الجند الحصن خلال ثلاثة أيام ، وأما الحصن ومافيه من ذخائر وآلات حرب فيأخذه العرب غنيمة حرب ، وبسقوط حصن بابليون فقد الروم سيطرتهم على أكثر من نصف مصر .

سار عمرو بعد ذلك نحو الاسكندرية متتبعاً شاطىء الفرع الغربى للنيل ، وكانت تقع عليه سلسلة من الحصون فاستولى عليها جميعاً ، وحاصر الاسكندرية لمدة أربعة شهور ، وفى أثناء ذلك وصل المقوقس مبعوثاً من إمبراطور الروم قسطنطين بن هرقل لعقد الصلح مع العرب ، وانتهى الأمر بكتابة عقد الصلح وتتضمن شروطه أن يدفع كل من فرضت عليه الجزية دينارين كل سنة ، وأن تعقد هدنة مدتها أحد عشر شهراً تنتهى فى سبتمبر ٦٤٢م ، وأن يحتفظ العرب بمراكزهم مدة الهدنة وألا يباشروا أعمالا حربية ضد الاسكندرية كما يكف الجنود الروم عن كل عمل عدائى ، وألا يتعرض المسلمون للكنائس بسوء وألا يتدخلوا فى أمور المسيحيين ، وأن ترحل الحامية عن الاسكندرية بحراً بأموالهم وأمتعتهم ، وألا يحاول الروم استرداد مصر وأن يبقى اليهود بالاسكندرية ، وأن يبقى من الروم ١٥٠ جنديا و ٥٠ مدنياً كرهينة لتنفيذ المعاهدة .

وبالرغم من الشرط السادس وهو ألا يحاول الروم استرداد مصر فقد نقضوه ، وبعث قسطنطين بجيش كبير للاستيلاء على الاسكندرية إلا أن عمرو طارد الروم حتى أجلاهم عنها ، ولم يجد العرب بعد ذلك صعوبة فى إخضاع بقية مدن الوجهين البحرى والقبلى ، وبذلك خضعت البلاد نهائيا لحكم العرب . ثم انطلق الاسلام من مصر الى برقة ثم تونس ثم شمل شمال افريقيا حتى المحيط الاطلنطى ليعبر بعد ذلك الى الاندلس .

أول مدينة إسلامية فى افريقيا

* * *

بعد أن فتح عمرو بن العاص مصر عام ٢١هـ - ٦٤١ م ، أراد أن يتخذ الاسكندرية مركزاً لحكمه ، غير أن الخليفة عمر بن الخطاب منعه من ذلك حتى لايفصل ماء بينه وبين المسلمين وقال له " لاتجعل بينى وبينكم ماء ، متى أردت أن أركب إليكم راحلتى حتى أقدم عليكم قدمت " .. وعلى ذلك وقع إختيار عمرو بن العاص على السهل الشمالى لحصن بابليون ويحده جبل المقطم من الشرق والنيل من الغرب ، وكان يعسكر فيه بجنوده اثناء فتح الحصن ، ورأى عمرو أن هذا المكان يصلح لاقامة مدينته الجديدة " الفسطاط " .. ويذكر فى هذا المجال أن اختيار الفسطاط كان أفضل من الاسكندرية وذلك إرضاء للمصريين الذين كرهوا عمرو فيها لانها كانت ترمز الى ظلم الرومان واضطهادهم لهم ، بالاضافة الى توسط موقعها لمصر .

والفسطاط كلمة عربية تعنى " الخيمة " ذلك لان عمرو بن العاص عند فتح الحصن المعروف باسم قصر الشمع ، وبعد الاستيلاء عليه ضرب فسطاطه (خيمته) بالقرب منه ، فلما قصد التوجه الى الاسكندرية لفتحها أمر بنزع فسطاطه للرحيل فاذا بحمام قد أفرخ فيه فأمر بترك الفسطاط مكانه وسار الى الاسكندرية ثم عاد الى فسطاطه ونزل الناس من حوله ، ومن هنا سميت المدينة التى أنشئت بالفسطاط لتصبح أول مدينة اسلامية فى افريقيا وثالث مدينة شيدها المسلمون بعد البصرة والكوفة .. وهناك قصة أخرى تقول أن كلمة فسطاط محورة عن اللفظ اليونانى " فساطم " الذى يطلقه الرومان على معسكراتهم الحربية أو المدن الحصينة ، ونقل هذا اللفظ محوراً بمعرفة العرب بكلمة فسطاط .

وكان جامع عمرو بن العاص هو أول ما انشأ فى الفسطاط وقد تقاسمت القبائل منطقة الفسطاط فيما بينها وسميت كل منطقة باسم القبيلة التى أخذتها ، ولم يمض زمن طويل على تخطيط الفسطاط حتى صارت غاية فى العمارة ، واتخذ عمرو بن العاص الدار التى أقامها بالقرب من المسجد مقراً للحكم ، واتخذها الولاة من بعده سكناً للامارة وكانت أكثر دور الولاه شهرة دار عبد العزيز بن مروان التى بناها عام ٦٨٧ م ، وسماها " دار الذهب " .

وقد مرت الفسطاط بعصور من الازدهار ، وقد أعجب كل من دخلها من الرحالة بها وبهر بعمارتها ومساجدها وحماماتها وأسواقها ، وثراء أهلها واجمعوا على أن المدينة كانت تزخر بالمساجد الفاخرة والشوارع والحمامات واشهرها " حمام جنادة " الذى قيل أن رسم دخوله كان ٥٠٠ درهم فى يوم الجمعة .. وكانت أسواق الفسطاط تعج بالبضائع والتحف والحلى والذهب والحرير ، وقد اشترى " خماروية " من هذه الاسواق ماقيمته ٧٠٠ الف دينار لإبنته قطر الندى التى ذاع صيت زفافها عبر التاريخ .

وقد ظل اسم الفسطاط حتى القرن الثالث عشر الميلادى ، عندما بدأ يختفى وحل محله اسم مدينة مصر ، ثم عرفت بعد ذلك باسم مصر القديمة ، وقد احترقت مدينة الفسطاط عام ١١٦٩م بأمر الوزير شاور ليحول بذلك بين الفرنجة وبين الوصول اليها واستمرت النيران تأكل هذه المدينة أربعة وخمسين يوماً .

وفيما بعد أصبحت مدينة الفسطاط جزءاً من مدينة القاهرة التى تأسست عام ٩٦٩م واتسعت تدريجياً حتى شملت الفسطاط ضمن حدودها .

أول مسجد في افريقيا

* * *

جامع عمرو بن العاص بالفسطاط .. ذلك أنه فى عام ٢١ هـ (٦٤١ - ٦٤٢ م) حينما تم لعمرو بن العاص تحرير مصر من الرومان ، وأسس مدينة الفسطاط ، وبعد تطهير الاسكندرية من فلولهم ، أقام أحد قواده " قيسبه بن كلثوم " فى حديقة فى شمال حصن بابليون ، واتخذ عمرو داره على مقربة من هذا المكان من الناحية الشرقية.

وفى هذا الوقت بعث الخليفة عمر بن الخطاب الى حكام البلاد التى حررها الاسلام يأمرهم ببناء مساجد لاقامة صلاة الجمعة ، وقد اختار عمرو لمسجد الفسطاط مكانا يشرف على النيل هو مكان حديقة قيسبه ، وعرض عليه أن يعوضه عن ذلك فأبى أن يقبل وتبرع بالارض .

بنى عمرو جامعه بطول ٥٠ ذراعاً وفرش أرضه بالحصى وسقفه بسقف من الجريد حمل على ساريات من جذوع النخل دون أن يجعل له صحناً ، كما لم يجعل له مئذنة ولا محراباً مجوفاً ولامنبراً بالمعنى الصحيح ، وفتح للجامع فى كل من جوانبه الثلاثة الشرقى والبحرى والغربى بابين .. ولم يكن بالجامع زخرفة من الداخل أو الخارج .

وكان المسجد فى أول أمره يستخدم مكاناً للاجتماعات العامة ، علاوة على إقامة الشعائر الدينية فيه ، وكان الحاكم يقوم فيه بالوعظ ويصلى بالناس صلاة الجمعة ، فكان اجتماع المسلمين فى هذا اليوم فرصة لاعلان الآراء العامة ، وصار المسجد مكانا لتبادل الآراء فى الصالح العام .

وقد أدخلت على المسجد تعديلات كثيرة فى العصور التالية ، وازدادت مساحته ايضاً .. كما تعرض للعديد من الكوارث منها الحريق الذى شب فيه عام (٨٨٨م) والحريق الذى اشعله " شاور " عام ١١٦٩ م فى مدينة الفسطاط إجتناباً لوقوعها فى أيدى الفرنجة ، عندما أغار " أمورى" ملك أورشليم " بيت المقدس " على مصر ، واحترق المسجد ولم يبق منه سوى الحوائط وبعض العقود حيث استمرت النيران

مشتعلة فى الفسطاط مايقرب من أربعة وخمسين يوماً .. وفى عام ١٣٠٢ م حدث زلزال ألحق ببناء المسجد ضرراً بالغا .. وقد أعيد بناء المسجد أكثر من مرة حتى صار فى صورته الحالية .

عند جزيرة الروضة
بنى أول أسطول بحري إسلامى

* * *

وقد بنت مصر هذا الاسطول فى العقود الاولى من التاريخ الهجرى ، حيث كانت تصنع بمصر السفن الحربية لاسطول الدولة الاموية ، وكان الجزء الاكبر من هذه السفن يصنع فى " دور الصناعة " أو ترسانات عند جزيرة الروضة .. ثم تسير فى النيل الى البحر .. وبهذه السفن كسب المسلمون موقعة ذات الصوارى عام ٣٤هـ ، ٦٥٥ م وهى موقعة حاسمة انتزعت السيادة فيها على الجزء الشرقى من البحر المتوسط من البيزنطيين وأسلمتها للمسلمين عدة قرون .

وفى هذه المعركة كان الجانب المصرى من الاسطول تحت قيادة والى مصر عبد الله بن سعد ، وأقلعت من مصر مائتا سفينة وأقلع من الشام عدد غير معروف ، وكانت سفن الاسطول البيزنطى خمسمائة سفينة .. وتفصيل ذلك أن معاوية بن أبى سفيان الذى كان والياً على الشام فى عهد خلافة عمر بن الخطاب كان يشعر بالحاجة الى ضرورة وجود اسطول يشد أزره ، وقد ألح على عمر بن الخطاب فى غزو البحر ، وكتب اليه يستأذنه فى فتح قبرص ويقول " يا أمير المؤمنين ، إن بالشام قرية يسمع أهلها نباح كلاب الروم وصياح ديوكهم ، وهم تلقاء ساحل من سواحل حمص ، ولكن عمر لم يوافق حرصا على أرواح المسلمين .

فلما توفى عمر بن الخطاب استطاع معاوية أن يظفر بموافقة عثمان بن عفان ، على شن غارة تأديبية على قبرص ، وكان ذلك عام ٦٤٩م ، وفى السنة الثانية استولى المسلمون على ارواد ، وفى عام ٦٥٥ م عقد لواء النصر للعرب فى الموقعة البحرية الكبرى التى تسمى " ذات الصوارى " وذلك تجاه ساحل ليكيا وكان لهذا النصر البحرى أهمية بالغة ، إذ لم يمض زمن طويل حتى كان العرب يغزون صقلية ويهددون القسطنطينية نفسها .. وكان أن سيطر المسلمون على الجزء الشرقى من البحر المتوسط

ثم ساهم المصريون فى بسط سيطرة المسلمين على الجزء الاوسط من البحر المتوسط عندما انشأوا ميناء تونس ، فعندما استقر الامر للمسلمين فى شمال افريقيا ،

أرسل حاكم تونس الى عبد الله بن عبد الملك بن مروان كي يساعده فى إنشاء ميناء جديد للمسلمين بدلا من ميناء قرطاجنة الذى تهدم بسبب الحروب ، فارسلت مصر ألف بحار مصرى بعائلاتهم ، وانشأوا ميناء تونس .

أكبر مساجد مصر

* * *

جامع احمد بن طولون بالقاهرة ، وهو يعد واحداً من أكبر مساجد العالم الاسلامى إذ تبلغ مساحته مع الفضاء الذى يحيط به ستة أفدنة ونصف ، ويعتبر جامع احمد بن طولون أول مسجد قائم بمصر حتى الآن منذ إنشائه ، إذ أن مسجدى عمرو بن العاص والعسكر قد عفا عنهما الزمن ، فالأول أحدثت به تغييرات شتى أتت على المسجد الاصلى ، والثانى ضاعت معالمه ضمن ماضاع من مدينة العسكر ، أما مسجد أحمد بن طولون فلا يزال حتى اليوم محتفظاً بتفاصيله المعمارية .

وقد أتم أحمد بن طولون بناء جامعه عام ٨٧٨م ، وقد بنى على قطعة من الارض الصخرية عرفت قديماً باسم " جبل يشكر " وقيل إنه أراد أن يبنى بناءاً إذا احترقت مصر بقى وإن غرقت بقى ، وقد بناه على نظام بناء جامع سامراء تلك المدينة العراقية التى شب فيها .. وقد بنى بن طولون جامعه على دعائم بدلا من الاعمدة ، ويقال أنه طلب ذلك حتى لايأخذ أعمدة رخامية من الكنائس .

ويتميز هذا المسجد بمنارته الوحيدة من نوعها من مصر ذات السلم الخارجى ، وهى مبنية بالحجر المنحوت نحتاً رائعاً من الخارج ، وهى مكونة من أربع طبقات الاولى مربعة والثانية مستديرة والثالثة على شكل مثمن ، أما الرابعة فتعلوها طاقية تكون معها شكل مبخرة .

يتكون الجامع من شكل مربع تقريباً يبلغ طول ظلعه ٥ر١٦٢ X ٥ر١٦١ متراً ويتوسطه صحن مكشوف مربع ايضاً يبلغ طول ضلعه ٥ر٩٢ X ٨ر٩١م ، ويحيط بالجامع من الخارج من جميع الجهات عدا جهة القبلة أروقة غير مسقوفة ويحتوى المسجد على ٤٢ باباً .

العروس الاسطورة

* * *

قطر الندى .. واسمها أسماء بنت خمارويه ابن احمد بن طولون .. عاشت بالقطائع بقصر الامارة الذى بناه جدها أحمد بن طولون مؤسس الدولة الطولونية ثم وسعه أبوها خمارويه حين آلت اليه ولاية مصر .. وكان من أروع المبانى الاسلامية وكانت جدرانه موشاة بالذهب ومزخرفة بنقوش غائرة ، وكان يقع فى وسط حديقة كبيرة كانت تغرس زهورها فى أصص مزينة على أشكال الحروف والكلمات العربية ، وكان بها اشجار نادرة وبيوت للطيور وحديقة للحيوان ، وكان أكثر مايثير بها هو بركة الزئبق التى كانت فى أحد أجزاء القصر يتماوج عليها فراشه ، وقد وضع فوق قرب منفوخة وشد بحبال حريرية الى أعمدة من الفضة وعلى هذا الفراش كان ينام الملك ليطرد الارق ، وقد عثر على آثار هذه البركة .

وقد لمع اسم قطر الندى واختارها الخليفة المعتضد العباسى زوجاً له عام ٨٩٤م وكانت مصر من الولايات التابعة له ، ولذلك غالى خمارويه فى إرضاء الخليفة بتجهيزها ، وساعده على ذلك حالة مصر فى ذلك الوقت فقد كانت تستند الى بيت مال ثرى للغاية.

ولاتزال قصة هذا الزواج مضرب الامثال ، فلقد أمهرها الخليفة بمليون درهم عدا التحف والجواهر الثمينة وغيرها ، وكلف جهازها خمارويه مليون دينار ، وكان من بين جهازها دكة من أربع قطع من الذهب مشبوك فى كل طرف قرط معلق فيه حبة من الجواهر لاتقدر بثمن ، ومائه (هاون) من الذهب يدق فيها العود والطيب .

وأمر خمارويه أن يبنى لابنته على رأس كل مرحلة من مراحل المسافة بين القطائع فى مصر وبغداد فى العراق قصر تنزل فيه ، حتى أصبحت هذه القصور وكأنها مدينة واحدة تمتد من شاطىء النيل لشاطىء دجلة ، أعدت فيها المخادع وعلقت الستائر وهيأت الموائد والخدم والجوارى حتى تستمتع العروس بكل ماتحتاج اليه من وسائل الراحة وكأنها فى قصر أبيها .

١٩ مدينة فى العالم تحمل اسم القاهــرة

* * *

يوجد ١٩ مدينة فى مختلف أنحاء العالم تحمل اسم القاهرة منها ١٣ فى الولايات المتحدة الامريكية و ٢ فى كندا و ٢ فى ايطاليا ، وواحدة فى فرنسا ، عدا القاهرة الاولى عاصمة مصر .

وتعود قصة القاهرة الى أكثر من ألف عام مضت ، ففى يوم ٧ شعبان ٣٥٨ هـ - ٦ يوليو ٩٦٩ م ، وبعد أن أتم جوهر الصقلى قائد جيوش الفاطميين فتح مصر شرع فى بناء مدينة جديدة لتكون معسكراً لجنده ، ولتصبح عاصمة الدولة الفاطمية بعد انتقال الخليفة الفاطمى اليها من المهدية فى تونس .

وترجع تسمية القاهرة بهذا الاسم الى أن المدينة كلها كانت قد أحيطت بالحبال ، وعلقت عليها أجراس كثيرة ، وطلب جوهر الصقلى من المنجمين أن يستطلعوا نجوم السماء ، وعندما يبزغ نجم سعيد تدق جميع الاجراس فى وقت واحد ليوضع أساس المدينة فى هذه اللحظة تفاؤلا بمستقبل سعيد ومرموق لها .. غير أنه حدث مالم يكن فى الحسبان حيث حط أحد الطيور على الحبال فدقت الاجراس ، ووضع العمال الاساس على الفور ، وطلب القائد من المنجمين معرفة النجم الموجود فى ذلك الوقت فكان أن ظهر الكوكب القاهر (المريخ الآن) ولما رفع الامر للخليفة المعز عند قدومه الى مصر وافق على أن تنسب المدينة لكوكب القاهر ، ومن هنا أطلق اسم القاهرة ، وأضيف اسم المعزية اليها نسبه للمعز لدين الله الفاطمى .

ولكن البعض يشكك فى صحة قصة قرع الاجراس ، ويروى أن تلك المدينة الجديدة التى أنشأها جوهر سميت بالمنصورية أول الامر تيمناً باسم المنصور بالله الخليفة الفاطمى ، وحين قدم المعز لدين الله الى مصر عام ٩٧٢ م سميت القاهرة ، وقيل أن سبب هذه التسمية أن المعز لدين الله خطب فى الجيش أثناء تأهبه لفتح مصر حيث قال لجوهر " لتدخلن فى خرابات بن طولون وتبنى مدينة تقهر الدنيا " ولهذا السبب عند قدوم المعز الى مصر أطلق على المدينة الجديدة " القاهرة " .

وتم تخطيط القاهرة بحيث يتوسطها قصر الخليفة ويكون هذا القصر مركزها ، وقد أراد المعز أن يجعل القاهرة مدينة الخاصة ، وأن تبقى الفسطاط مدينة العامة ، فأحيطت القاهرة بسور مستطيل الشكل غير منتظم الاضلاع ، طول الضلع الممتد من الشرق الى الغرب ١١٠٠م وطول الضلع الممتد من الشمال الى الجنوب ١٢٠٠م وقد بلغت مساحة القاهرة فى عهد المعز حوالى ٤٠٠ فدان ، وجعل للسور ثمانية أبواب أهمها بوابة الفتوح الواقعة فى منتصف الضلع الشمالى من السور ، وبوابة زويلة الواقعة فى منتصف الضلع الجنوبى ، وكان يصل مابين البوابتين الطريق الرئيسى الذى اطلق عليه (مابين القصرين) وهذا الطريق كان يقسم القاهرة الى قسمين متساويين تقريبا ، ثم قسمت القاهرة الى حارات كل منها نسب الى قوم أو قبيلة كانت فى صحبة جوهر الصقلى .

وقد بنى الفاطميون فى القاهرة قصوراً كثيرة داخل المدينة وخارجها ، وأسوة بجامع عمرو بن العاص فى الفسطاط وجامع بن طولون فى القطائع أنشأ جوهر الجامع الازهر فى القاهرة ، وانتهى من بنائه عام ٩٧٢ م.

وفى عهد المماليك بلغت القاهرة شأنا كبيراً من الناحيتين العمرانية والادبية وأصبحت محط أنظار العالم كله ، خاصه بعد أن بنى حولها جميعا سوراً عظيماً عام ١١٧٦ م .

وقد تعرضت القاهرة لغزوات كثيرة ، وعلى الرغم من ذلك احتفظت بطابعها الشرقى الاسلامى على مر الزمن ، فقد هاجمها الصليبيون فى القرن الثانى عشر ، وحكم فيها المماليك من القرن الثالث عشر الى القرن السادس عشر ، ثم أعقبهم الاتراك العثمانيون من ١٥١٧ - ١٧٩٨م ، ثم الفرنسيون ١٧٩٨ - ١٨٠١ م ، ثم البريطانيون ١٨٨٢ - ١٩٣٦ م حيث اجلوا عنها الى أن تم جلاؤهم عن مصر كلها فى ١٨ يونيو ١٩٥٦ .

وتعد القاهرة أكبر مدينة فى افريقيا والعالم العربى ، وإحدى أكبر مدن العالم .

أسوار القاهـرة

* * *

عندما أقام جوهر الصقلي القاهرة أحاطها بسور من اللبن يرسم مستطيلاً غير منتظم الاضلاع ، وكان مبنياً من كتل ضخمة من اللبن ، وكان عرض الجدران يزيد قليلا عن مترين ، وكان غرض جوهر من إقامة هذا السور حول المدينة حمايتها من هجمات أعداء الفاطميين وخاصة القرامطة وأعوانهم من الاخشيدين .

وقد فتح جوهر الصقلي ثمانية أبواب في السور وجعل في كل ضلع من اضلاعه بابين :

ففي الضلع الشمالي يوجد باب الفتوح ، وكان يقع بالقرب من الركن الجنوبي الغربي لمسجد الحاكم ، وباب النصر وكان يقع عند إمتداد شارع بين السيارج وإلتقائه بشارع باب النصر .

وفي الضلع الشرقي كان يوجد باب البرقية ، وكان موقعه تحت تلال البرقية المقابلة لشارع الدراسة ، وينسب الى جماعة من الجنود أتوا من برقة مع جيش جوهر في حملته لفتح مصر ، وباب القراطين الذى كان يقع بالقرب من باب المحروق الحالي في نهاية درب المحروق بقسم الجمالية ، ويقول المقريزي أن الباب المحروق عرف بهذا الاسم لان المماليك أحرقوه عام ٦٥٢ هـ عندما علموا بقتل أميرهم أقطاى ، وكانوا قد حاولوا الخروج منه ليلا ، وكان مغلقاً كما هي العادة في ذلك الوقت فأوقدوا فيه النار حتى سقط من الحريق ، وخرجوا منه ومنذ ذلك الحين عرف باسم الباب المحروق .

وفي الضلع الغربي كان يوجد بابان هما باب سعادة وينسب الى سعادة بن حيان غلام المعز لدين الله وأحد قواده ، وباب القنطرة وكان يقع على مدخل شارع أمير الجيوش الجواني ، وقد عرف بهذا الاسم لأن جوهراً بنى هناك قنطرة فوق الخليج المصري لكي يمر فوقها الجيش الى ميناء المقس لرد غارات القرامطة .

وفي الضلع الجنوبي كان يوجد بابا زويلة وهما نسبة الى قبيلة من البربر بشمال

افريقيا انضم جنودها الى جيش جوهر عندما حضر لفتح مصر ، وكان موضع البابين يقع عند مسجد بن البناء وهو الذى يعرف باسم زاوية العقادين بجوار سبيل العقادين بشارع المعز لدين الله ، ويسماها العامة زاويه سام بن نوح وقد بنى المسجد المذكور الحاكم بأمر الله ، وقد أزيل بابا زويلة الاصليان وبنى بدر الجمالى بدلا منهما باب زويلة الكبير القائم الى اليوم ويسميه العامة بوابة المتولى حيث كان يجلس فى مدخله "حسبة القاهرة " أى متولى تحصيل ضريبة الدخول الى القاهرة .

وكانت أهم البوابات فى عهد جوهر بوابة الفتوح فى منتصف الأسوار الشمالية وبوابة زويلة فى منتصف الاسوار الجنوبية ، وكان يصل بينهما طريق رئيسى يطلق عليه اسم (مابين القصرين) .

وقد إندثرت بعض أسوار القاهرة وبواباتها ، ويقى منها ثلاث هى باب زويلة والنصر والفتوح ، وقد أعاد بناؤها بدر الجمالى أمير الجيوش بين عامى ١٠٨٧م - ١٠٩٢م ، وكانت بوابة النصر أول بوابة أقامها بدر الجمالى ، وعليها نقش كتابى منحوت على الحجارة يسجل تلك السنة .

وقد قام صلاح الدين الايوبى بترميم أسوار القاهرة ، وحاول أن يجعل على القاهرة والفسطاط والقلعة سوراً واحداً ، وزاد بعض القطع فى سور القاهرة ، فزاد القطعة التى من باب القنطرة الى باب الشعرية ومن باب الشعرية الى باب البحر ، كما زاد قطعة مما يلى باب النصر الى باب البرقية والى درب بطوط والى خارج باب الوزير ليتصل بسور القلعة .. وقد توفى صلاح الدين الايوبى قبل أن يكتمل بناء السور .

وقد أشار كتاب ورحالة اوربيون من القرنين ١٨ ، ١٩ الى أن هذه البوابات لم يروا نظائر لها فى أى مكان إبداعا وتكاملا ورسوخاً ، ولا أقدم منها عمراً .

أقدم جامعة دينية فى العالم

* * *

عندما أسس جوهر الصقلى قائد المعز لدين الله الفاطمى مدينة القاهرة عـــــام (٣٥٨هـ - ٩٦٩م) بنى الجامع الازهر ، واستغرق بنائه حوالى سنتين ، وأقيمت فيه لأول مرة الصلاة فى (٧ رمضان ٣٦١ هـ - ٢٢ يونيو ٩٧٢م) واكتسب هذا المسجد شهرة واسعة على مر العصور ، وأصبح أشهر مسجد فى العالم الاسلامى ، وأقدم جامعة تدرس فيها العلوم الدينية والعقلية .

وقد أختلف المؤرخون حول السبب فى اطلاق اسم الازهر على هذا المسجد ، ففريق منهم يقول أن قصوراً زاهرة كانت تحيط بالمسجد عندما أنشئت مدينة القاهرة ومن ثم سمى بالازهر ، وذهب فريق ثان الى أن سبب تسميته هذا الاسم هو التفاؤل بما يكون له من مكانة سامية بازدهار العلوم فيه ، وفريق ثالث يقرر أنه سمى بالازهر نسبة الى فاطمة الزهراء ابنة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام إشادة بذكرها لأن الفاطميين ينتسبون اليها ، ويبدو أن هذا الرأى الاخير هو الاصح .

وقد بدأ الازهر يكتسب الطابع العلمى بعد ثلاثة أعوام ونصف عام من إنشائه ففى رمضان ٣٦٥هـ - اكتوبر ٩٧٥ م ، وفى عهد الخليفة المعز لدين الله جلس قاضى القضاه أبو الحسن على بن النعمان القيروانى بالجامع الازهر ، وقرأ كتاباً يعد مصدراً من مصادر الفقه الشيعى هو كتاب " الاختصار " الذى وضعه والده أبو حنيفه النعمان ، وقد القى البحث فى جمع حافل من العلماء الذين كتبت أسماؤهم احتفالا بهذه المناسبة ، وكان المحاضر من أقطاب الشيعة وهو أول من لقب بقاضى القضاة فى مصر ، وكانت هذه أول حلقة للدرس بالجامع الازهر ثم توالت حلقات بنى النعمان بالازهر ، وكانت حلقاته دينية ذات أهداف سياسية .

وفى بداية عهد الخليفة العزيز بالله خطى الازهر خطوة هامة فى الدراسات الجامعية ، إذ جلس يعقوب بن كلس وزير المعز ثم العزيز وقرأ كتابا ألفه فى الفقه الشيعى وسماه (الرسالة العزيزية) ثم تطورت الدراسة بالازهر على يد ابن كلس إذ عين سبعة وثلاثين فقيهاً للقراءة والدرس ، ورتبت لهم الدولة مرتبات شهرية ثابتة وانشأت لهم داراً للسكن بجوار الازهر .

وكان الازهر فى العصر الفاطمى عنصراً هاماً من عناصر الحياة الفكرية ، وكانت تعقد فيه الى جانب الحلقات الدراسية مجالس الحكمة للنساء ، وكان له الطابع الرسمى ففيه كان جلوس القاضى فى أيام معينة ، وفيه كان مركز المحتسب العام ، وظل الازهر يؤدى هذا الدور فى ظل الدولة الفاطمية قرابة قرنين من الزمان .

وقد أصبح الازهر منذ أن تهاوت مراكز الثقافة الاسلامية سواء فى بغداد او فى الاندلس فى أواخر القرن التاسع الهجرى مركز الاشعاع الفكرى فى العالم الاسلامى وأعظم مركز للدراسات الاسلامية والعربية .

وكانت حلقات العلم التى عقدت بالازهر منذ البداية تتسم بكثير من سمات الحياة الجامعية كالمناقشات العلمية الحرة التى كانت طابع هذه الحلقات ، والاجازات الدراسية والفخرية ونظام المعيدين والاساتذة الزائرين وغيرها من مظاهر الحياة العلمية التى عرفها الازهر منذ قرن وكانت أساسا للنظم والتقاليد الجامعية التى عرفت بعد ذلك فى الشرق وفى الغرب ، ومن ثم اعتبر الازهر أقدم جامعة دينية فى العالم .

وفى عهد الايوبيين لم يفقد الأزهر صفته الجامعية برغم تعطيل صفته كمسجد جامع وإبطال صلاة الجمعة فيه حوالى مائة عام ، وإنما سارت الدراسة به على المنهج الذى كانت تسير عليه فى عهد الفاطميين وغلبت عليها الصبغة الدينية واللغوية ، وعلى امتداد عصر المماليك (١٢٥٠ - ١٥١٧ م) اتسعت رسالة الازهر العلمية تجاه العالم الاسلامى ، فقد شهد هذا العصر إنكماشين خطيرين على خريطة العالم الاسلامى نتيجة الزحف المغولى فى وسط آسيا وتقلص الحكم الاسلامى فى الاندلس ، وكان الازهر هو الموئل الطبيعى لعلماء الاقطار الذين اضطروا الى ترك أوطانهم ، وبهم استطاع الأزهر أن يتقدم فى رسالته العلمية حتى وصل بهذه الصفوة من علماء المسلمين الى ذروة مجده العلمى فى القرنين الثامن والتاسع الهجريين ١٤ ، ١٥ الميلاديين .

وتجدر الاشارة الى دور الازهر فى مجال دراسة ونشر العلوم الطبيعية بمختلف فروعها المعروفة ، فقد اتجه بعض العلماء الى دراسة الطب والرياضة والفلك والهندسة والجغرافيا والتاريخ ، وظلوا يحرصون على هذه العلوم حتى فى أشد عهود التدهور والجمود السياسى والفكرى .

وفى ظل الدولة العثمانية ذات الطابع الدينى فى سياستها مضى الازهر يؤدى رسالته فى المجالين الدينى والتعليمى ، وكان يتمتع باستقلال مالى عن الحكومة بفضل حصيلة الاوقاف مما اتاح للعلماء حرية مطلقة فى اختيار الدراسات والبحوث والكتب التى تستخدم فى التعليم بالازهر ، وبذلك كانت الحرية بأوسع معانيها هى الطابع الذى ميز الأزهر أثناء الحكم العثمانى مما اضفى عليه شخصية مستقلة لها كيانها واحترامها وجعل منه مركزاً اسلامياً عربياً قائدا للفكر الاسلامى ، يجتذب اليه كبار العلماء الذين تصدروا الحلقات الدراسية به كما اجتذب الازهر كثيراً من طلاب العلم من مختلف أنحاء العالم الاسلامى .. ومما هو جدير بالذكر أن العثمانيين لم يعينوا أى عالم عثمانى فى منصب شيخ الازهر طوال الحكم العثمانى ، بل تركوا هذا المنصب الرفيع يشغله العلماء المصريون .

وعندما تعرضت مصر للغزو الفرنسى ١٧٩٨م ، نظر بونابرت اليه على اساس انه أشهر جامعة فى العالم الاسلامى ، وقرر فى مذكراته التى كتبها فى منفاه بجزيرة سانت هيلانة (أن الازهر يقابل جامعة السربون فى باريس) ونظر الى علماء الازهر نظرة إجلال واحترام على اساس أن لهم صفتين الاولى انهم الصفوة الممتازة من الطبقة المستنيرة فى البلاد والثانية أنهم زعماء الشعب .. وفى اليوم الاول لدخوله القاهرة كون بونابرت ديواناً لحكم العاصمة من تسعة أعضاء جميعهم من كبار شيوخ الازهر برئاسة الشيخ عبد الله الشرقاوى شيخ الازهر ، وكان تشكيل الديوان على هذا النحو دليلا على أهمية الجامع الازهر ومكانة علمائه واعترافاً بزعامته .

ومع ذلك كان الجامع الازهر ملتقى المعارضين للاحتلال الفرنسى ومركزاً للثورة ، ولذلك فقد تألفت لجنة من رجاله لتحريكها برئاسة الشيخ محمد السادات .. وعندما اندلعت ثورة القاهرة ضد الفرنسيين رأى شيخ الازهر وكبار العلماء أن استمرار الدراسة متعذر فى مثل هذا الجو وأن من الافضل إغلاق الجامع نهائيا ، وكانت هذه هى أول مرة فى تاريخ الازهر الحافل عبر العصور يغلق فيها الجامع الازهر .. ولما تم اجلاء الفرنسيين عن مصر بعد احتلال دام ثلاثة اعوام عادت الحياة الى الازهر وفتحت ابوابه واستقبل طلابه وعلماءه .

ولما تولى محمد على حكم مصر عام ١٨٠٥م واتجه الى إقامة الدوله الحديثة بدأ اتجاهه الجديد بالإعتماد على الازهر ، فقد كان أعضاء البعثات العلمية التى أوفدها

محمد على الى اوربا من رجال الازهر ، وكان نتيجة ذلك أن قامت النهضة العلمية الحديثة فى مصر على يد هذه الطليعة من الازهريين .

ولما قامت الثورة العرابية كان كثير من زعمائها المفكرين من علماء الازهر وطلابه ، وكان زعيم الثورة العرابية ممن تلقوا العلم فى الازهر ، وبرز من صفوف الازهر فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين رجال تزعموا الحياه السياسية والفكرية فى مصر مثل محمد عبده والمنفلوطى وسعد زغلول الذى قاد ثورة ١٩١٩ ضد الاحتلال الانجليزى ، وقد قام أساتذة الازهر وطلابه باذكاء روح الثورة ، وكان أبرز ماحدث فى هذا الدور اجتماع العلماء المسلمين والقساوسة الاقباط فى أروقة الازهر ، وكان المسلمون والاقباط يتناوبون الخطابة من منبر الازهر .

ومن الجدير بالذكر أن أول قانون نظامى للازهر صدر عام ١٨٧٢م لرسم كيفية الحصول على الشهادة العالمية وحدد موادها ، وفى عام ١٩٣٠ صدر القانون الثانى الذى ينظم الدراسة فى الازهر معاهده وكلياته ، وفى ١٩٦١ صدر قانون تطوير الازهر وبمقتضاه قامت فى رحابه جامعة الازهر .. وقد كان الازهر هو واضع اللبنة الاولى للاسكان الطلابى فى العالم حيث استمر طوال العصور المختلفة معهداً يأتيه الطلاب من كل صوب من أنحاء العالم الاسلامى ، وكان لكل طائفة " رواق " يعرفون به فى الجامع الازهر ، وبمرور الأيام اصبحت لاتفى بالغرض فأنشأت الحكومة المصرية عام ١٩٥٩ مدينة ناصر للبعوث الاسلامية لتستقبل الوافدين من دول آسيا وافريقيا واوربا وامريكا .

كما يذكر أن الشيخ محمد عبد الله الخراشى هو أول شيوخ الازهر .. وقد ولد بقرية " أبو خراش " بشبراخيت بمحافظة البحيرة عام ١٦٠١ م ، وتخرج على يديه علماء كثيرون جاوزوا المائة من أعلام عصره وقد تولى بعضهم مشيخة الازهر ، وكان متواضعا يذهب الى السوق ويحمل حاجياته بنفسه ، وكان واسع الثقافة خاصة فيما يتعلق بعلوم التفسير والفقه على مذهب الامام مالك .. وقد توفى عام ١٦٩٠م .. وقبلـه

لم تكن مشيخة الازهر منصباً رسمياً بل كان السلاطين والامراء يشرفون على الازهر ويديرون شئونه .

مصر تهدى العالم لعبة التنس

* * *

يقول المؤرخ مالكولم وايتمان الانجليزى أن اسم لعبة التنس مأخوذ من اسم مدينة مصرية اسمها (تنيس) كانت مشهورة بصناعة قماش خاص ، وعندما جاء الصليبيون نزل بعضهم فى هذه المدينة ووجدوا أطفالها يلعبون رياضة يستعملون فيها كرة قماشية مصنوعة فى مدينة تنيس ، ونقلوا الكرة القماشية الى أوربا وسموها تنس بول أى كرة مدينة تنيس كما نقل اسم المضرب من المصريين وسمى (راهات) وهى تعنى بالعربية لحف النخيل .

ويعد الاتحاد المصرى للتنس من أقدم الاتحادات فى العالم حيث تأسس عام ١٩٢٣ ، ورغم ذلك فقد بدأ التنس فى مصر قبل هذا التاريخ بسنوات فبدأت بطولة مصر الدولية عام ١٩٠٧ وهى بذلك تعتبر أقدم البطولات العالمية فى الفردى بعد البطولات الأربع الكبرى وهى ويمبلدون بانجلترا التى تأسست عام ١٨٧٧ ، وفلا شينج ميدو بامريكا ١٨٨١ ، وورلان جاروس بفرنسا ١٨٩١ ، واستراليا ١٩٠٥ .. وعبر تاريخها الطويل لم تتوقف بطولة مصر الدولية سوى ثلاث مرات فقط الاولى فى الفترة من ١٩١٥ الى ١٩١٨ بسبب الحرب العالمية الاولى ، والثانية من ١٩٤٠الى ١٩٤٥ بسبب الحرب العالمية الثانية ، والثالثة عام ٨٦ بسبب أحداث الامن المركزى والتى أدت الى إلغاءها بعد دورها التمهيدى .. وقد حصل لاعبو مصر على بطولة مصر الدولية أربع مرات عبر تاريخها وحصل عليها عدلى الشافعى ١٩٤٦ واسماعيل الشافعى اعوام ٦٩ ، ٧٣ ، ٧٤ ..

ويعد اسماعيل الشافعى أبرز لاعبى التنس فى مصر الذى استطاع أن يهزم البطل السويدى الاسطورة بيورن بورج فى بطولة ويمبلدون للناشئين وأن يبقى لفترة طويلة بين أفضل عشرة لاعبين فى العالم .. وهو أول عربى يفوز ببطولة ويمبلدون للناشئين ..

أما أول بطولة للفرق فى العالم وهى بطولة كأس ديفيز الذى تأسس عام ١٩٠٠ فقد بدأ اشتراك مصر فيها عام ١٩٢٩ وحققت مصر عام ٨٥ أفضل إنجازاتها فى البطولة حيث وصلت الى الدور قبل النهائى بعد فوزها على المجر ..

قلعـــة الجبــــــل

* * *

هى القلعة التى بناها صلاح الدين الايوبى فى الطرف الشمالى من جبل المقطم لتكون مقراً لحكومته ومعقلاً لجيشه الكبير ، ونقطة دفاعية يصد منها غارات المعتدين على مصر .. ويذكر انه سبق لملوك مصر فى العصر الفرعونى وفى العصر الرومانى وفى العصر الاسلامى أن أقاموا فوق هذه الصخرة وفوق مايقابلها من جبل المقطم تحصينات قوية للدفاع عن المنطقة التى تحيط بها .

وقد بدء فى بناء القلعة عام ١١٧٦م ، وتوفى صلاح الدين قبل اتمام البناء ، وتمت فى عهد الملك الكامل عام ١٢٠٨م .. وقد عهد صلاح الدين ببناء تلك القلعة الى وزيره بهاء الدين قراقوش الذى اشتهر بالشدة والصرامة ، ولم يبق من منشآت صلاح الدين بالقلعة سوى بعض أجزاء السور والابواب نظراً للتعديلات الكثيرة التى أدخلت عليها .

وكان لهذه القلعة سور وأبراج وثلاثة أبواب ، وصارت القلعة منذ أن تم بناؤها مقراً للدواوين السلطانية ودور الحكومة .. وكانت تشتمل على كثير من القصور والمساجد والمدارس والاسواق والحمامات ، وكان بها دار الوزراء وديوان الانشاء وديوان الجيش ودار النيابة وبيت المال وخزانة السلطان الخاصة والدور السلطانية ، والجب والابراج التى كان يحبس بها الامراء والمماليك الخارجون على السلطان .

غير أن القلعة لم تظل على وضعها الذى كانت عليه فى عهد الدولة الايوبية ، فقد أدخلت عليها تغييرات فى عهد المماليك وفى أيام محمد على حتى أخذت شكلها الحالى الذى نراه عليها الآن .. فقد أصلح جانباً كبيراً من سورها وأبراجها وأبوابها وأنشأ جامع محمد على وقصر الجوهرة ودار المحفوظات المقابل للباب الجديد الذى أنشىء عام ١٨٢٥م .

وأقيم بالقلعة قصر ضخم يسمى بقصر الحريم ويشرف على جبل المقطم والحطابة ، ويرجع عهده الى عام ١٨٢٧م حيث أقيم لتسكنه نساء محمد على ، ويتألف هذا القصر من ثلاثة أجنحة يشغل المتحف الحربى الآن الجناح الاوسط ومعظم الجناح الشرقى .

وقد اتخذت القلعة مقراً للملك وأقام بها ملوك مصر حتى عصر الخديو اسماعيل ، ثم نقل مقر الملك الى عابدين منذ عام ١٨٧٤م ، وفى عام ١٨٨٢م احتل الانجليز القلعة وأصبحت تقيم بها حامية من جنودهم .

وكان قصر الجوهرة بالقلعة والذى يعتبر تحفة فنية رائعة هو المقر الرسمى للحكومة منذ إنشائه عام ١٨١١م ومكاناً لاستقبال السفراء الاجانب ، ويعتبر أقدم قصر رسمى لحكام مصر السابقين .

مصر تكسو الكعبة المشرفة
حتى عام ١٩٦٢

* * *

حتى عام ١٩٦٢ م كانت كسوة الكعبة المشرفة ومحملها من أهم معالم رحلة الحج المصرية منذ بدء رحلات الحج .. وكانت السلطانة شجرة الدر أول ملكة مصرية كست الكعبة المشرفة ، وذلك عندما ذهبت لأداء فريضة الحج عام ١٢٥٠م وهو العام الذى بدأ فيه الاحتفال بالمحمل السلطانى ، وتولت مصر منذ ذلك الحين الصرف على تكاليف تطريز الكسوة السنوية للكعبة حتى عام ١٩٦٢ م حيث أنشأت المملكة العربية السعودية مصنعاً خاصاً لذلك .

وكسوة الكعبة المشرفة كما تؤكد الدراسات التاريخية ، كانت من أهم الاعمال التى قام بها المصريون حتى قبل الاسلام وقبل الفتح الاسلامى لمصر ، نظراً لشهرة مصر فى صناعة النسيج الذى عرف عبر التاريخ بالنسيج (القبطى) أى المصرى ، ويطلق عليه دائما نسيج (القبطيات) وهو نسيج مشهور ، بل مستمر فى شهرته حتى الآن تحت مسميات اخرى ، وقد يستغربها البعض ، لان طريقة النسيج المصرية القديمة والمتوارثة عن الفراعنة هى التى أخذها الفرنسيون ونفذوا بها نوعين شهيرين من النسيج هما (الجوبلان) و (الابيسون) .

وقد بدأ تنفيذ كسوة الكعبة بعد محمل شجرة الدر فى قصر السلطان وأشهرهم قصر السلطان الناصر محمد بن قلاوون فى القلعة ، ثم انتقلت ورشة تطريز الكسوة بعد ذلك الى بيت أيوب جاويش بجوار مسجد السيدة زينب ثم انتقلت الى حارة المقاصيص ، وكان لها وقف عبارة عن أراضى ثلاث قرى هى بيسوس وسندبس وأبى الغيط للصرف على الكسوة ، حتى جاء محمد على ، وحل الوقف ، وأمر أن تتولى الحكومة الانفاق على تنفيذ الكسوة ونقل تصنيعها الى درب الخرنفش بباب الشعرية فى قصر أحد الامراء من أقاربه ، وأنشأ قاعات للقصبجية الذين يقومون بحياكة وتطريز الكسوة ، وورشاً لسحب خيوط الذهب والفضة المستخدمة فى الزينة ، وقد نظم العمل فى دار الكسوة على مدى أحد عشر شهراً تبدأ من عيد الاضحى وتنتهى ببداية إحتفالات المحمل .

وفور إنتهاء تطريز الكسوة واتمام استعدادها تخرج فى محمل بهيج ينتظره الناس ، وقيل أن بعض الاعيان كانوا يستأجرون منازل على مساراته لايدخلونها إلا يوم المحمل لمشاهدته ويتركونها فى باقى العام .

ويدور محمل الكسوة فى القاهرة مرتين الاولى بعد منتصف شهر رجب ، ويكون دورانه فى يوم الاثنين أو الخميس ، ويظل المحمل فى ليلة الدوران داخل باب النصر بالقرب من باب جامع الحاكم ، وكان هو الباب الرسمى للدخول والخروج من القاهرة ويحمل فى الصباح ليسير تحت القلعة ، ثم يتجه الى الفسطاط فى مصر القديمة ، ثم يعود الى القلعة مرة أخرى ليحمل الى جامع الحاكم ليبقى هناك حتى شهر شوال .

والدورة الثانية تكون فى نصف شهر شوال ليقوم بنفس الدورة ، ولكنه يعود من القلعة الى باب النصر دون الذهاب الى الفسطاط ، ومن باب النصر الى الريدانية (العباسية) ليأخذ طريق السفر للحجاز .. وقد استبدل فى فترات تاريخية حديثة مسجد الامام الحسين لبقاء المحمل بدلا من جامع الحاكم ليعرض خلال هذه الفترة على الناس .

المعركة التى أنقذت العالم من الدمار

* * *

فى النصف الاول من القرن الثالث عشر خرجت من قلب القارة الآسيوية جيوش ضخمة من التتار الذين نجح جنكيز خان فى توحيد قبائلهم بعد حرب متواصلة ، ومن ثم انطلقت تلك الموجات البشرية ، المخربة خارج حدودها واكتسحت ببشاعة ماصادف طريقها ، ودمرت وخربت وقتلت مئات الالوف من البشر .. وغزوا تركستان وماوراء النهر وإيران ، وسقطت بغداد فى أيديهم واتخذوا طريقهم الى حلب واحتلوها عام ١٢٦٠م ، وأسرعت دمشق وغيرها الى الاستسلام لهولاكو ، وبذلك خضعت سوريا لسيطرة التتار ولم يبق خارجاً عن حكمهم فى الجانب الشرقى العربى إلا مصر والحجاز واليمن .

فى هذه الفترة كانت الدولة الايوبية قد انتهت ، ودخلت مصر فى حوزة مماليك هذه الدولة الذين سموا بالمماليك البحرية ، وكان أول هؤلاء السلطان عز الدين أيبك التركمانى الذى تولى حكم مصر عام ١٢٥٠م ، وتزوج شجرة الدر ، ولما قتل تولى الملك بعده ابنه على ولقب بالملك المنصور ، وهو صبى لايزيد عمره على ١١ سنة فقام بأمر الدولة الأمير سيف الدين قطز ، وقد وقعت فى عام ١٢٥٨م كارثة سقوط بغداد فى يد التتار ، وزالت الخلافة العربية ، فخلع قطز الملك الصغير وتولى هو الملك عام ١٢٥٩م ولقب بالملك المظفر .

وقد واجه قطز منذ بدء حكمه تهديد التتار لمصر ، اذ أنهم بعد أن استولوا على بغداد وقتلوا الخليفة المستعصم استولوا على سوريا بأسرها ، وتقدموا نحو غزة يخربون وينهبون ويدمرون كل مايقع فى طريقهم .

وأرسل هولاكو رسله الى قطز يحملون انذاراً له بالخضوع والتسليم فى خطاب شديد اللهجة جاء فيه " يعلم الملك المظفر قطز وسائر أمراء دولته وأهل مملكته بالديار المصرية وما حولها من الاعمال ، أنا نحن جند الله فى أرضه ، خلقنا من سخطه ، وسلطنا على من حل به غضبه ، فلكم بجميع البلاد معتبر ، وعن عزمنا مزدجر ،

فاتعظوا بغيركم واسلموا إلينا أمركم ، قبل أن ينكشف الغطاء فتندموا ويعود عليكم الخطأ .. فنحن لانرحم من بكى ولانرق لمن شكا ، وقد سمعتم أننا قد فتحنا البلاد وطهرنا الارض من الفساد وقتلنا معظم العباد ، فعليكم بالهرب وعلينا الطلب ، فأى أرض تؤويكم وأى طريق تنجيكم وأى بلاد تحميكم .. فما لكم من سيوفنا خلاص ولامن مهابتنا مناص .. سيوفنا صواعق وعددنا كالرمال ، فالحصون لدينا لاتمنع والعساكر لقتالنا لاتنفع ودعاؤكم علينا لايسمع .. فقد أنصفناكم إذ راسلناكم وأيقظناكم إذ حذرناكم " .

وكان رد قطز أن قطع رءوس رسل هولاكو وعلقها على باب زويلة ، وجمع جيش مصر وزحف الى العريش ثم بلغ حدود فلسطين قبل أن يجمع التتار قواتهم ، وكان يعكسر معظمها فى سهل البقاع بين جبال لبنان ودمشق بقيادة قائدهم الكبيــــــــر " كتبغا نوين " .

وارتفعت الروح المعنوية عندما تمكن الظاهر بيبرس (وكان فى ذلك الوقت أحد قواد قطز) بطليعة الجيش من طرد حامية المغول من غزة .. وزحفت الجيوش المصرية حتى وصلت وعسكرت بالقرب من شرق عكا .

وفى عين جالوت التى تقع بوادى جالوت غرب بحيرة طبرية المطلة على وادى نهر الاردن التقى جيشا مصر والمغول يوم الجمعة ٣ سبتمبر ١٢٦٠م .. أقبل كتبغا معتمدا على قوته ، وكان قطز قد عبأ الجيش فى كمين ، ثم امتطى جواده وثبت مع نفر قليل من شجعان الفرسان ، وقابل كتبغا مع عدة آلاف من الفرسان ، وقذف التتار سهامهم وحملوا على المصريين فتراجع قطز ، وتعقبه التتار ، وعندما بلغوا الكمين انقض المصريون من ثلاث جهات على جنود المغول ، وقاتلوهم قتالا مستميتاً من الفجر حتى منتصف الليل ، ثم تعثرت المقاومة على جيش المغول ولحقت بهم الهزيمة آخر الامر ، وظل كتبغا يكافح بشدة الى أن كبا جواده فأسر وحمل مكبلاً الى قطز ، وحكم عليه بالموت .

وسرعان ما أخلى التتار دمشق وحلب وغيرهما من المدن السورية ، ولانوا فاريــــن

معتصمين بقمم الجبال ، وطاردهم المصريون وأفنوا أعداداً كبيرة منهم ، وهرب من سلم منهم الى الشرق ، ولم تكن تلك الهزيمة هى الاخيرة للمغول على يد المصريين بل لقد اصطدمت بهم جحافل المماليك فى معارك شتى وهزمتهم .

إن موقعه عين جالوت أنقذت العالم المتحضر كله من الدمار ، إذ كانت أول هزيمة تحل بالمغول لأول مرة فى تاريخهم ، مما كان سببا فى زوال ذلك الاعتقاد الخاطىء بأن التتار لايقهرون ، ولم تقم لهم بعد هذه المعركة قائمة .. ولو انتصر التتار فى ذلك اليوم لفعلوا بمصر كما فعلوا فى البلاد الاخرى ، ولتغير التاريخ .

وقد قدم الى مصر فى أوائل عصر السلطان الظاهر بيبرس طائفة من التتار واعتنقوا الدين الاسلامى ، وازداد عددهم فى عهد السلطان العادل ، واتخذوا حى الحسينية مقراً لهم .

خان الخليلـى

* * *

يقع الى جوار المكان الذى كان يشغله القصر الشرقى الكبير الذى أنشأه " جوهر القائد " وهو يشغل المكان الذى أعد فيه جوهر القائد المقبرة التى انشأها لتضم رفات سلاطين الفاطميين وأسلاف المعز وخلفائه ، وسميت " تربة الزعفران " .

وقد سمى بخان الخليلى نسبة الى الامير جهاركس الخليلى ، الذى نبش قبور المقبرة وجمع عظامها وألقاها على التلال خارج القاهرة بدعوى أن الفاطميين كانوا كفاراً لايستحقون الاحترام .. وبالرغم من هذا الاعتداء على رفات الموتى وعدم احترام مافى القبور ، فانه وقف الخان وغيره من العقارات وجعل ريعها خبزا يوزع على فقراء مكة المكرمة ، وفى عام ١٤٠٤ م استبدل الخبز نقوداً .

ومما يذكر أن هذا الامير قتل بدمشق عام ١٣٨٩م وتركت جثته عارية فى الفضاء تنهشها الوحوش .

وفى عام ١٥١١ م هدم السلطان الغورى خان الخليلى ، وأنشأ مكانه محلات ووكالات يتم الوصول اليها من ثلاث بوابات ، إثنتان متقابلتان وتنتهيان من أعلى بمقرنصات وزخارف غاية فى الابداع ، والثالثة فى الطرف الغربى المؤدى الى المشهد الحسينى .

ويتمتع خان الخليلى بشهرة سياحية عالمية ، ويقصده السائحون من جميع أنحاء العالم ، لاقتناء مايباع فيه من تحف ذهبية ونحاسية وأقمشة شرقية ومصنوعات شرقية من العاج والصدف والرخام .

إسلاميات

* * *

المصريون والبيت العتيق :

ساهم المصريون كثيرا بالنسبه للبيت العتيق ، ذلك أن هاجر هى أم اسماعيل الذى اشترك مع ابراهيم عليهما السلام فى بنائه ، وفى عهد الظاهر بيبرس قامت عليه مصر ، وانفقت مالاً جزيلاً بل أن السلطان بيبرس بنى بيديه مع البنائين ، ثم تصدع البناء أيام الاتراك العثمانيين فقام المصريون على بنائه أيضا ، وأرسل والى مصر كل مايلزم لهذا البناء ، وبعث بالبنائين وأدوات البناء ، ثم أعيد بناؤه أيام محمد على على أيدى المصريين .

وحتى فى هذه المرة الاخيرة التى قامت المملكة العربية السعودية فيها ببناء الحرم ، قام البناء على تصميم وضعه مصريون ورسم القاهرة ، ونفذ على أيدى مهندسين وبنائين مصريين .

مدفع رمضان :

عند غروب أول يوم من رمضان عام ٨٦٥ هـ أراد السلطان المملوكى (خشقدم) أن يجرب مدفعاً جديداً وصل اليه ، وقد صادف إطلاق المدفع وقت المغرب بالضبط ، فكان سرور الناس عظيماً ، حيث ظنوا أن السلطان تعمد إطلاق المدفع لتنبيه الصائمين الى أن موعد الافطار قد حان ، فخرجت جموع أهالى القاهرة الى مقر الحكم ، لشكر السلطان على هذه البدعة الحسنة التى استحدثها فلما رأى السلطان مدى سرورهم قرر المضى فى إطلاق المدفع كل يوم إيذاناً بالافطار ، كما زاد على ذلك مدفعى السحور والامساك .

وكالة الغورى :

تعتبر أكمل وكالة اثرية احتفظت بالكثير من تفاصيلها فهى تتكون من فناء فسيح تحيط به مخازن تشغل الدور الارضى منها ، تعلوها بيوت صغيرة تشغل الادوار

العلوية ، وكانت معدة لنزول التجار القادمين بتجارتهم الى مصر ، وكانت غرف الوكالة حتى عهد قريب مملوكة للأهالى ، ولما ساء وضعها اخلتها مصلحة الآثار ونزعت ملكيتها ، وشرعت فى تنظيمها ويشغل غرفها الآن فنانون تشكيليون ، كما أن بها مركزاً لاحياء الحرف التقليدية .

أول دولة عربية عرفت الصحافة

* * *

تعتبر مصر أول بلد عربى عرف الصحافة ، فعندما جاءت الحملة الفرنسية الى مصر عام ١٧٩٨م أحضرت معها مطبعتين واحدة بحروف لاتينية والثانية بحروف عربية ، وأصدرت صحيفتين فرنسيتين هما " لوكورييه دى ليجبت " أى " بريد مصر " وصدر العدد الاول منها فى ٢٩ أغسطس ١٧٩٨ ، وكانت هذه الصحيفة شبه رسمية ، تصدر لجنود الحملة الفرنسية وتتضمن مواداً اعلامية تعمل على التخفيف من وحشة إغتراب الجنود ، ورفع روحهم المعنوية والثانية صحيفة " لاديكاد ايجيبسين " اى " العشرية المصرية " لان علماء الحملة كانوا يعتزمون إصدارها كل عشرة ايام ، وقد تخصصت فى معالجة المواد العلمية والادبية والقانونية دون السياسية ، وكان فى نيتهم اصدار صحيفة عربية باسم " التنبيه " ولكن تحرج موقفهم فى مصر حال دون ذلك .

ولما رحلت الحملة أخذت معها المطابع والحروف ، وظلت مصر دون مطابع حتى عام ١٨١٩ حين أسس محمد على والى مصر مطبعة بولاق ، وفى عام ١٨٢٧ أصدر محمد على أمره باصدار " جرنال الخديو " وقد كان فى الواقع يهدف الى إصدار نشرة خاصة لاطلاعه هو نفسه ونفر من خاصته على شئون البلاد وماليتها ، ولكنه لم يلبث أن لمس حاجة الشعب الى الاطلاع على أعمال الحكومة فأمر بتوسيع نطاق جرنال الخديو .. الذى تحول الى صحيفة الوقائع المصرية وهى الجريدة الرسمية الاولى فى مصر والبلاد العربية ، وقد صدر العدد الاول منها فى نهاية ١٨٢٨ ، وكانت تصدر بالعربية والتركية فى البداية ثم اقتصرت على العربية بعد ذلك .

وأول صحيفة يصدرها فرد فى مصر كانت صحيفة فرنسية اسمها " لومونيتور إجيبسيان " أى " الرائد المصرى " أصدرها رجل فرنسى " كامى تورل " عام ١٨٣٣ بتشجيع من محمد على الذى جعلها جهازاً من أجهزة الدعاية له .. أما أول صحيفة يصدرها مواطن مصرى فكانت " وادى النيل " وأصدرها عبد الله ابو السعود عام ١٨٦٧ .

وفى عام ١٨٦٥ أصدر د. محمد على البقلى باشا وابراهيم الدسوقى مجلة "يعسوب" وهى أول مجلة طبية فى الوطن العربى ، وصدرت فى السنة نفسها " الجريدة

العسكرية المصرية " حيث لم تستطع الوقائع المصرية وحدها أن تنفرد بنشر التفاصيل التى تتصل بهذا الجيش .

وتوالى بعد ذلك اصدار الصحف والمجلات وأبرزها " روضة المدارس " عام ١٨٧٠ وكان يديرها رفاعة رافع الطهطاوى ، وكان لروضة المدارس طابعها الثقافى المتميز ، فقد كانت صحيفة ديوان المدارس ، وكانت توزع على التلاميذ مجانا ، كما كانت محفلاً لكل كتاب العصر وعلمائه .

وفى عام ١٨٧٦ أصدر اللبنانيان سليم وبشارة تكلا جريدة الاهرام فى الاسكندرية ثم نقلت عام ١٨٩٨ الى القاهرة حيث بلغت فى فترة قصيرة من الزمن شأناً بعيداً من التقدم والانتشار وكانت اسبوعية ثم أصبحت يومية ، وكانت أول صحيفة عربية تستخدم آلات الجمع السطرى العربى ..

وأول صحيفة كاريكاتورية فى العالم العربى هى " أبو نظارة " ليعقوب صنوع وصدرت عام ١٨٧٧ ، وقد صادرت الحكومة جريدته لغلوه فى النقد والتجريح ضد رجال الدول والسياسيين الاجانب ونفته الى باريس ، وهناك استأنف إصدارها تحت أسماء " أبو زمارة " و" أبو صفارة " و" الحاوى " وذلك لتفلت من الرقابة .

وفى عام ١٨٨١ صدر أول قانون للمطبوعات فى مصر ، وكان أول تشريع يحدد واجباتها ويقيد حقوقها ، وقد اشتمل على ٢٣ مادة كان أهمها إيداع مبلغ (١٠٠ جنيه) مقابل الحصول على الترخيص ، وكان من حق الحكومة الامتناع عن اعطاء الترخيص أو نزع الترخيص فى أى وقت تشاء كذلك حرمت ورود الصحف من الخارج .

وبدأت الصحافة بعد الاحتلال البريطانى لمصر مرحلة جديدة حيث رأت سلطات الاحتلال ألا تقف دون حرية الصحافة ، فألغت العمل بقانون المطبوعات حيث كان الانجليز فى أمان بعد النكسة التى أصابت الثورة العرابية وإحساس المصريين بالاحباط . ولما اشتدت الحركة الوطنية مرة اخرى أحيت قانون المطبوعات وحالت دون دخول مجلة العروة الوثقى التى يصدرها جمال الدين الافغانى ومحمد عبده فى باريس عام ١٨٨٤ .

وفى عام ١٨٨٦ صدرت فى اسيوط أول صحيفة محلية فى مصر وهى صحيفة "النزهة" وأصدرها جورجى خياط وخليل ابراهيم ويوسف تادرس وهى نبذه نصف شهرية ثم تحولت بعد ذلك الى اسبوعية .

وظهرت فى هذه الفترة صحف تدافع عن حقوق الباب العالى فى مصر ، وصحف تدافع عن مصالح فرنسا فيها وأخرى تدافع عن الانجليز ، غير أن الوطنيين لم يلبثوا أن انشأوا صحيفة المؤيد عام ١٨٨٩م وكان صاحبها الشيخ على يوسف ، وكان لها مراسلون فى عدد من عواصم الشرق والغرب وكانت أول صحيفة فى مصر تستخدم طابعة روتاتيف (دوارة) وذلك عام ١٩٠٦ ... وفى عام ١٨٩٢ وبعد أن عاد عبد الله النديم الى مصر أصدر مجلته الاسبوعية "الاستاذ" وتم نفيه من مصر فنزح الى يافا ، بعد أن اغلق صحيفته وودع قراءه .. وفى عام ١٩٠٠ أصدر مصطفى كامل " اللواء " .

ولما انتهت الحرب العالمية الاولى وتفجرت ثورة ١٩١٩ صدرت الصحف الحزبية فكان لحزب الاتحاد الموالى للسراى صحيفة الاتحاد ولحزب الوفد عدة صحف أهمها " البلاغ " "وكوكب الشرق " " والجهاد " " وروز اليوسف " " والمصرى " ، ولحزب الاحرار الدستوريين "السياسة" وعندما انشق أحمد ماهر ومحمود فهمى النقراشى عن الوفد وكونا الهيئة السعدية أصدرا صحيفة الدستور " والاساس " وأصدر الحزب الوطنى " العلم المصرى " والدفاع الوطنى" وأصدر حزب الشعب " صحيفة الشعب " وجماعة مصر الفتاة " الصرخة " ولما تحولت الى حزب أصدرت صحيفة "مصر الفتاة " وأصدر الاخوان المسلمون جريدة " الاخوان المسلمين " وأصدرت الكتلة الوفدية "الكتلة".

وفى أعقاب الحرب العالمية الثانية كانت صحف قديمة قد اختفت وظهرت صحف جديدة كان أبرزها " أخبار اليوم " لمصطفى أمين وعلى أمين عام ١٩٤٤ ، وبعد ثورة ١٩٥٢ توقفت صحف كثيرة عن الصدور لالغاء الاحزاب ، وأصدرت الثورة بعض الصحف والمجلات منها الجمهورية ومجلة التحرير .. وتمهيدا للقوانين الاشتراكية التى صدرت فى يوليو ١٩٦١ صدر فى ٢٤ مايو ١٩٦٠ قانون تنظيم الصحافة نقلت بمقتضاه ملكية دور صحف " الاهرام " " والهلال " وروز اليوسف ، "وأخبار اليوم " الى الاتحاد القومى الذى حل محله بعد ذلك الاتحاد الاشتراكى .

ولما صدر قانون الاحزاب عام ١٩٧٣ وقامت الاحزاب التى سمح القانون بقيامها أصدرت صحفا أسبوعية وكان اهمها " مايو " عن الحزب الوطنى الديمقراطى " "والاحرار" عن حزب الاحرار " والاهالى " عن حزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى " والشعب " عن حزب العمل الاشتراكى " والوفد " عن حزب الوفد الجديد .

الحجر الذى وضع أساس علم الآثار المصرية

* * *

حجر رشيد .. ففى أثناء الحملة الفرنسية على مصر وفى اغسطس ١٧٩٩م عثر الضابط الفرنسى " بيير فرانسوا بوشارد " بالصدفة على حجر من البازلت فى حائط لقلعة جوليان برشيد عندما كان جنود الحملة يحفرون الخنادق بالقرب من مصب نهر النيل برشيد .. ولذلك عرف بحجر رشيد .. ويبلغ ارتفاعه ١١٣سم وعرضه ٧٥ سم وسمكه ٢٧ سم .

وكان الغرض من الحجر أن يكون وثيقة عامة وأثرا يسجل عليه الكهنة المصريون الشكر لبطليموس لانه عمل على إراحتهم من الضرائب وكان ذلك عام ١٩٦ ق.م ويحتوى الحجر على ثلاث كتابات ، هى الهيروغليفية للكهنة والديموطيقية للعامة والاغريقية للاغريق الموجودين فى مصر (كان الاغريق يحكمون مصر فى ذلك الوقت) .. ثم سقط الحجر ودفن بين الاطلال حتى تم اكتشافه .

وترجع أهمية حجر رشيد الى أنه كان الأداة التى استطاع بها جين شامبليون فى عام ١٨٢٢ أن يحل رموز الكتابة المصرية مما وضع الاساس للعلم المعروف " بعلم الآثار المصرية " وفتح مجالا واسعا للبحث فى هذا الميدان ، وكانت الطريقة التى تمكن بها شامبليون من حل رموز الكتابة المصرية القديمة هى أنه اكتشف أن الاسمين بطليموس وكليو باترا مكتوبان بالاحرف الهيروغليفية والحروف الاغريقية على الاثر نفسه ، فاستطاع بذلك تحديد أصوات اثنى عشر رمزاً من الرموز المستعملة فى كتابة هذين الاسمين ، وأثبت أنها حروف هجائية ، وحينئذ تمكن شامبليون من قراءة عدة أسماء أخرى من أسماء الملوك والملكات ، ولم يكن ليستطيع قبل ان يصل الى هذه المرحلة الاستفادة من حجر رشيد الذى مكنه من زيادة عدد مايعرفه من الرموز الهيروغليفية ومن معرفة معانى الكلمات ، وقبل أن يموت عام ١٨٣٢ كان قد وضع مؤلفاً صغيرا فى قواعد الهيروغليفية وأعد معجماً صغيراً فى هذا المجال .. ويوجد حجر رشيد الآن فى المتحف البريطانى بمدينة لندن .

محمد على
وحلم مصرى الملامح

* * *

مهما قيل فى شخص محمد على ومهما قيل فى عصره ، فإن محمد على هو الذى أدخل مصر والبلاد العربية فى العصور الحديثة ، انشأ دولة وحكومة ثابتة مستقلة شملت معظم الدول العربية ، وأنشأ من مايشبه العدم جيشاً ضخماً حديث العدة والإعداد وبنى أسطولا قوياً واجه الدول الكبرى وحقق إنتصارات باهرة ، وأصلح الادارة والاقتصاد وضاعف الاراضى المزروعة أكثر من مرتين وشيد المستشفيات وشق الترع ، وأدخل مصر والعرب فى عصر التصنيع .

تولى محمد على حكم مصر عام ١٨٠٥م ، ووجد أن إصلاح أمور الدولة يبدأ بإصلاح الجيش ، وجاءت الفرصة عام ١٨٢٠ بعد أن فرق الجيش القديم فى أماكن بعيدة ، وكانت الخطوة الاولى افتتاح المدرسة الحربية فى أسوان التى زودها محمد على بالضباط والمعلمين ممن تشبعوا بالنظام العسكرى الجديد ، وتم إعداد ألف ضابط فى هذه الكلية خلال ثلاث سنوات شكلوا النواة الاولى للجيش المصرى الحديث .

ثم انطلق محمد على فى مشروعه فانشأ المستشفى العسكرى الاول ثم مدرسة الطب ثم المدرسة الحربية للمشاة ثم مدرسة أركان الحرب بالخانكة ، وقد دعم محمد على تدريب جيشه بإرسال فرقه الى ميادين القتال المختلفة فى الجزيرة العربية والسودان وبلاد اليونان ، وفى مطلع ١٨٢٤ كان قد أنشأ معسكرا كبيراً للجيش فى الخانكة كان يضم مايقرب من ٢٥ ألف من الجنود النظاميين ، وأرسل عدداً من المصريين الى أوربا لإكمال دراستهم الحربية ليحلوا محل المدربين الاجانب ، وتوسع فى إنشاء المدارس العسكرية وترجمة الانظمة العسكرية الفرنسية الى اللغة العربية ، وكانت كافة تنظيمات الجيش المصرى مماثلة لجيش نابليون تماماً .

ثم أنشأ أول الترسانات العسكرية فى القلعة لتزويد الجيش بالاسلحة ، ثم انشأ الى جانبها مصانع أخرى ، مثل مصنع البنادق فى الحوض المرصود ومصنع البارود بجزيره الروضة ، وفى عام ١٨٣٩ بلغ التعداد العام للجيش المصرى مايقرب من ربع مليون جندى وهو رقم عظيم للغاية بالقياس الى جيوش الدول العظمى فى ذلك الزمان .

وقد اهتم محمد على بالاسطول البحرى فبدأ فى تشكيل نواته عام ١٨١٠ عندما أنشأ ترسانة بولاق ، وظل يعتمد على شراء بعض السفن الحربية من أوربا حتى حدثت موقعة نافارين الشهيرة ، وقرر محمد على بعدها تشييد أسطول جديد بأيد مصرية حتى لايكون أسطوله رهن الإرادة الاوربية ، فبدأ العمل فى إنشاء ترسانة الاسكندرية عام ١٨٢٩ وماهى إلا سنوات حتى كان لمصر اسطول بحرى قوى وكانت ترسانة الاسكندرية واحدة من أعظم المنشآت الحربية.

ورأى محمد على أن بناء الجيش الحديث لايكون دون اقتصاد قوى فانشأ عدة مصانع لصب الحديد وغيره من المعادن ، ومصانع لجميع أنواع الاقمشة ، وتطورت فى عهده صناعة الغزل والنسيج تطوراً ملحوظاً ، وبعد أن كانت لوازم المصانع تستورد من الخارج أصبحت تصنع محلياً ، وأدخلت الآلات البخارية فى المصانع ، وأرسل بعثات من العمال الفنيين للاطلاع على أحوال الصناعة فى أوربا واكتساب المهارات ، ولتطوير صناعة الحرير عنيت الدولة بغرس أشجار التوت وتطوير مصانع الصباغة والالوان .. واهتمت الدولة بتطوير صناعة سبك الحديد وألواح النحاس والمواد الغذائية ، والعناية بزراعة قصب السكر وتصنيعه .

ومع ازدهار الصناعة اتسع نطاق التجارة وازداد حجم الصادرات ولاسيما من القطن ، وقد وفر ذلك الاعتمادات اللازمة لتطوير الصناعة وبناء الدولة ، وقد ساعد الاسطول التجارى الذى انشأته السلطات المصرية الى جانب الاسطول الحربى فى توسيع رقعة التجارة حتى بلغ مجملها خمسة ملايين جنيه سنوياً ، وقد اقتضى ذلك تطهير البحر الاحمر وجميع خطوط المواصلات البحرية من القراصنة ، كما اقتضى ذلك العناية بالطرق الداخلية ، وكان من نتائج ازدهار الصناعة والتجارة أن قامت الحكومة ببناء القناطر وشق الطرق وتشييد المستشفيات وبناء المدارس وإنشاء الخطوط التلغرافية وتنظيم البريد وإنشاء دار المحفوظات لحفظ الوثائق .

وكان محمد على قد بدأ فى السنة التالية لتوليه السلطة إصلاحاته الزراعية ، فقام بشق العديد من الترع التى أحيت الكثير من الاراضى الزراعية وسهلت المواصلات وزادت مساحة الاراضى المزروعة من مليون فدان عام ١٨٢١ الى ٣ مليون فدان عام ١٨٣٣ ، وكان القطن المعروف فى مصر من النوع الردىء ، فشجع على زراعة نوع من القطن النادر طويل التيلة فأحدث بذلك إنقلاباً فى ميدان زراعة القطن .

وقد أدرك محمد على أن تأسيس الدولة الحديثة لايتم إلا عبر التعليم ، وكانت الخطوة الاولى استقدام المدرسين الاجانب وإرسال البعثات الى الخارج من أجل إعداد كوادر من المتعلمين تعليماً عالياً ، وقد بدأ محمد على باختيار بعض المتخرجين من الازهر لإمداد المدارس العالية ، وقد أصبح الكثيرون منهم فى غضون سنوات قليلة أساتذة بارزين ، وانشأ محمد على مدرستين للهندسة فى القلعة وبولاق ومدرسة للطب فى أبى زعبل حيث يوجد المستشفى العسكرى وألحق بها حديقة لزرع النباتات لاستخراج العقاقير منها ، ثم قسمت الدراسة فيها الى قسمين لتخريج الاطباء والصيادلة ، ثم انشأ مدرسة القابلات والولادة ، كما انشأ مستشفى خاصاً للنساء .

كما أنشأ محمد على مدرسة الترجمة (الالسن فيما بعد) عام ١٨٣٦ وكان لها شأن كبير فى النهضة الفكرية بالعالم العربى ، كما أنشأ مدرسة المعادن فى مصر القديمة ومدرسة المحاسبة بالسيدة زينب ثم مدرسة الفنون الى جانب مدرسة الزراعة بنبروه أولا ثم بشبرا بعد ذلك ، ومدرسة الطب البيطرى برشيد ، ثم فى أبى زعبل ثم فى شبرا وأنشأ مطبعة بولاق لتمد هذه المدارس بما تحتاجه من كتب ومؤلفات .

لقد أراد محمد على أن يقيم دولة عربية مستقلة تضم كافة الدول العربية وتكون نواتها مصر ، وكاد أن يحقق ماأراد لولا تدخل الدول الاوربية ، فقد استطاع تحقيق ماعجزت عنه الدولة العثمانية وأخمد الحركة الوهابية ، وبسط نفوذه على سائر أنحاء الجزيرة العربية ، ووصلت الجيوش المصرية الى اليمن والخليج العربى ثم بدأ تدخل بريطانيا ، كما ضم السودان ، وقاد حملته الى بلاده المورة فى اليونان لاخماد ثورة اندلعت هناك لولا تدخل الدول الاوربية التى حطمت الاسطول المصرى عام ١٨٢٧ ، واستطاعت الجيوش المصرية بعد ذلك أن تبسط سيطرتها على الشام وأصبح الطريق مفتوحاً الى الاستانة مما أذهل الدول الاوربية التى تدخلت كالعادة ، وضغطت بريطانيا وفرنسا عليه لقبول صلح كوتاهية ١٨٣٣ وأعطى محمد على بمقتضاه حكم بلاد الشام وابنه ابراهيم حكم (أطنه) على ألا يكون لهما الحق فى توريثهما من بعدهما .

وهكذا قامت بفضل جيش مصر الحديث دولة عربية تمتد من أطنه شمالا الى غندكرو بالسودان جنوباً ومن الخليج العربى شرقاً الى برقة غرباً ، ولم يبق سوى العراق التى حاول محمد على ضمها لولا دسائس الانجليز ..... وعندما استأنف

السلطان العثمانى الحرب ضد محمد على عام ١٨٣٩ وحلت الهزائم الفادحة بجيوشه وأصبح الامر لمحمد على لامحالة ، عملت انجلترا على تأليب الدول ضد مصر وعقد إتفاق فى لندن عام ١٨٤٠ ونص على أن يعرض السلطان على محمد على أن يكون له حكم مصر حكماً وراثياً وولاية عكا طول حياته ، وأن يكون لولاة مصر حقوق فى إدارة البلاد تحت سيادة الدولة العثمانية ، وإذا لم يقبل محمد على هذه الشروط فى عشرة أيام يحرم من ولاية عكا ، فاذا لم يقبل فللسطان الحق فى إتخاذ أى طريق تشير به عليه مصالحه الخاصة ومصالح حلفائه ، وتعهدت الدول الاوربية بمساعدة السلطان فعليا ضد محمد على .. وكان هذا الاتفاق كارثة على مصر وعادت الدول العربية بعد ١٨٤٠ الى ماكانت عليه من الانقسام .

أول مطبعة في مصر

* * *

مطبعة بولاق .. ذلك أن الحملة الفرنسية بعد أن رحلت عن مصر عام ١٨٠١ أخذت معها مطابعها ، وظلت مصر بلا مطابع حتى ١٨١٩ حين أسس محمد على والى مصر مطبعة بولاق ، وطبعت فى البداية قاموساً عربياً ايطالياً ، وفى عام ١٨٢٨ طبعت جريدة الوقائع المصرية ... وقد تأسس بعدها عدد من المطابع الصغيرة منها مطبعة مدرسة الطب بأبى زعبل ، ومطبعة الطوبجية (المدفعية) بطرة ، ومطبعة ديوان الجهادية ومطبعة ديوان الخديوى ومطبعة القلعة وغيرها .

وقد مرت فترة من الركود بمطبعة بولاق ، وفى ٧ اكتوبر ١٨٦٢ أهداها سعيد باشا لعبد الرحمن رشدى بك الذى بدأ تجديدها ، ولما تولى اسماعيل حكم مصر اشتراها من صاحبها لحساب الدائره السنية وجلب لها محركاً بخارياً وهو أول محرك بخارى يستخدم فى مطبعة مصرية ، كما أضيفت لها طابعة للطبع بالالوان وقامت فى تلك الفترة بطبع الطوابع الاولى للبريد المصرى ، واستحقت مطبوعات بولاق الميدالية الفضية فى معرض باريس الذى اقيم عام ١٨٦٧ .. وفى عام ١٨٧٤ تم طبع أول كتاب باللغة الايطالية بمطبعة بولاق وهو " النخبة الترجمانية فى اللغة التليانية " ، وفى يونيو ١٨٨٠ انتقلت ملكية المطبعة الى الحكومة المصرية.

ويلاحظ أن الافراد المصريين لم ينشئوا مطابع قبل ١٨٣٧ عندما بدأوا التعرف على الاهمية التجارية لها ، أما الاجانب فقد انشأوا مطبعة فى الاسكندرية حوالى عام ١٨٢٤ .

وعرفت القاهرة أول مطبعة أفرنجية عام ١٨٤٢ وهى مطبعة " ميلونى " ، وفى عام ١٨٦٠ أسس " أنطون موريس " بالاسكندرية مطبعة جلب لها أول طابعة اتوماتيكية عرفتها مصر .. وفى عام ١٨٦٧ أسس " بناسون " بالاسكندرية أول مطبعة حجرية فنية اجنبية بمصر .

وفى عام ١٨٦٦ أنشئت أول مطبعة لطبع صحيفة هى مطبعة وادى النيل التى انشئت اساساً لطبع صحيفة وادى النيل ، وقد طبعت هذه المطبعة الى جانب ذلك بعض

الكتب منها كتاب " القراءة والكتابة للعميان " وهو أول كتاب من نوعه يصدر فى مصر والبلاد العربية .

وفى عام ١٨٧٢ أنشئت مطبعة أركان حرب الجيش المصرى بالقلعة وهى من أوائل المطابع فى الشرق العربى التى طبعت بالالوان .

وفى عام ١٨٩٨ أنشئت مطبعة مصلحة المساحة وهى أول مطبعة فى مصر تقتنى طابعة اوفست ، وقد نالت مطبوعاتها الدبلوم والميدالية الذهبية فى المعرض الدولى الذى أقيم فى مدينة " لييج " ببلجيكا عام ١٩٣٠ .

و كانت مطبعة المعهد الفرنسى للآثار الشرقية التى بدأت نشاطها فى عام ١٨٩٨ هى أول مطبعة فى مصر استخدمت الحروف الهيروغليفية .

وفى عام ١٩٠٦ اشترى الشيخ على يوسف صاحب جريدة المؤيد لجريدته أول مطبعة دائرية (روتاتيف) فى الشرق العربى .. وكانت مطبعة الهلال أول دار صحيفة ادخلت طباعـــــة (الروتغرافور) اى الطباعة الغائرة .

هذا الرجل دوّن تاريخ مصر

* * *

هو عبد الرحمن حسن الجبرتى (١٧٥٤-١٨٣٥) .. أرسله والده وهو طفل الى مدرسة السنانية القريبة من منزلهم بالصنادقية ليحفظ فيها القرآن الكريم ، وأتم حفظه فى سن الحادية عشرة ، ثم التحق برواق الشام بالازهر ليتعلم أصول الدين على مذهب الحنفية ، وتزوج الجبرتى فى الرابعة عشرة من عمره ، وبعد موت أبيه ورث عنه ثروة ضخمة مادية وأدبية .

وكان الجبرتى يعمل فى ديوان القضايا حين دخل الفرنسيون مصر ، وقد اختاره الجنرال مينو آخر قواد الحملة الفرنسية عضواً فى الديوان الثالث الذى انشأه هذا القائد ، ومن أهم مؤلفات الجبرتى كتابه " عجائب الآثار فى التراجم والاخبار " أرخ فيه الاحداث يوماً بيوم ، ولقد وقعت أجل الاحداث فى عصره من قبيل دخول الفرنسيين مصر الى فترة كبيرة من عهد حكم محمد على ، فدون فى تاريخه كل ماجد فيها فى تلك الفترة حسب مارآه وماسمعه ، وأعقب كل سنة بتراجم من مات فيها من الأمراء وكبار العلماء والاعيان ، وقد ترجم هذا الكتاب الى الفرنسية .

وعند الجبرتى دون المؤرخين جميعا نشعر أننا نعيش فى بيئة مصرية خالصة ، نجد الاسماء والاماكن والعطفات والدروب التى لانزال نرى كثيراً منها ، وهو ياخذنا دائما كى نعيش بين هذه الاماكن ونشهد بأعيننا وعواطفنا هذه الوقائع والاحداث ، كما نجد التعبيرات المصرية الخالصة والامثال المصرية البحتة التى خلفتها البيئة المصرية ، وتفاصيل كثير من ثورات شعب مصر فى وجه حكام مصر الظالمين ، وهو لم يسجل مواقف المكافحين من سادة القوم وزعمائهم فحسب بل سجل مواقف لأولاد البلد فى القاهرة والاقاليم .

وقد نال كتاب عجائب الآثار فى التراجم والاخبار تقديرا كبيرا من الباحثين والعلماء ، فقد ترجم قسم منه الى اللغة التركية بأمر من السلطان سليم الثالث وهو القسم الخاص بالحملة الفرنسية . وقد ترجم الكتاب كله الى الفرنسية فى تسعة أجزاء.

كان الجبرتى يدين بولاء واحد ، هو ولاء لمصر وحدها وهذا سر مانجده من مظاهر التناقض فى تدوينه لأحداث عصره وتسجيله سير العظماء من رجاله ، فهو تارة يبدو صديقا مدافعاً عن المماليك يمدحهم ويذكر مآثرهم واخلاقهم وصفاتهم باكبار وتعظيم ، وتارة يسخط على أعمالهم وأخلاقهم وصفاتهم ، وهو على كراهيته القوية الواضحة المتأصلة لمحمد على يسجل له بعض ما أقدم عليه من عمل صالح كان يرى فيه الجبرتى منفعة لمصر ، وهو على صدق تدينه وايمانه يمدح فى مناسبات كثيرة الفرنسيين وقائدهم ، ولكن هذا تناقضا ظاهراً فقط فقد كان الجبرتى يعيش الاحداث والرجال بمقاييس الصدق والحقيقة والخير ، فهو يمدح للمماليك مايصنعون من خير ويذم لهم مايقترفون من شر ، وذلك حاله مع الفرنسيين .

وقد أصيب الجبرتى بمحنة قاسية فى آخر حياته ، ففى فجر أحد الأيام كان ولده خليل عائدا من قصر محمد على فى شبرا - حيث كان يعمل فلكيا - خرج عليه جماعة وأخذوا يضربونه حتى قضوا عليه وخنقوه ثم ربطوه بحمار ، فلما أصبح الصبح عرفه الناس ووجدوا على صدره دفاتر مكتوبة وأسطرلاباً لرصد النجوم ، وقد قيل أن رجال محمد على هم الذين قتلوه للخلاف الموجود بين محمد على والجبرتى .. ولقد تحطمت حياة الجبرتى بموت ابنه على هذه الصورة ، وكان قد فرغ منذ شهور من تهذيب كتابه الخالد وانشغل بعدها فى تدوين كتاب عن أحداث " الثورة اليونانية " كما وضع كتاب "مظهر التقديس فى ذهاب دولة الفرنسيس" وترجم الى الفرنسية والتركية .

وترك الجبرتى القراءة والكتابة والتأليف ، وعاش فى حزن وصمت حتى ذهب بصره ثم توفى .

وقد بقى تاريخ الجبرتى بالعربية محجوباً أو ممنوعاً حتى أذن الخديو توفيق بطبعه ، فطبع لاول مرة بالمطبعة الاميرية عام ١٨٨٠م .

أول خط سكك حديدية فى الشرق

* * *

كانت مصر هى أول دولة فى الشرق تعد خطاً لسكة حديد وبدىء فى انشائه عام ١٨٢٥ م وتم افتتاحه عام ١٨٥٤ وهو الخط بين القاهرة والاسكندرية ثم مد الى طنطا عام ١٨٥٥ حتى تم توصيله الى القاهرة فى عام ١٨٥٦ واشرف على اقامته الانجليزى روبرت ستيفنسن ابن جورج ستيفنسن مخترع القاطرة البخارية .. وما أن تم مد هذا الخط حتى بدىء فى مد خط جديد من القاهرة الى ميناء السويس عبر الصحراء وتم افتتاحه لحركة النقل فى نوفمبر ١٨٥٨ وبذلك اكتملت الحلقة التى ربطت بين البحر الاحمر والبحر المتوسط . وسهلت الاتصال بين الشرق والغرب .

أما الوجه القبلى فقد بدىء فى مد شبكة الخطوط الحديدية اليه فى عام ١٨٦٧ م حيث وصلت الى ملوى فى عام ١٨٧٠ تم توالى مد باقى الخطوط .. أما خط حلوان فقد أنشىء بين عامى ١٨٧٠ و ١٨٧٢ وقد قامت الحكومة فى عام ١٩٥٦ بكهربة الخط وانشاء خط اضافى له فى سفح الجبل الشرقى ليخصص لسير قطارات البضائع التى تخدم المصانع المنشأة بالقرب من حلوان .

وفى ٨٧/٩/٢٧ تم افتتاح اول مترو أنفاق بافريقيا والعالم العربى وهو مترو الانفاق بالقاهرة الذى يمتد من حلوان الى رمسيس فى مرحلته الاولى .

ومما يذكر أن أول خط حديدى فى العالم قد مد بين مدينتى ستوكتن ودارلنجتن بانجلترا عام ١٨٢٥ ، واشرف على إقامته جورج ستيفنسن الذى اطلق على قاطرته البخارية اسم " الروكت " وكانت سرعتها ٣٥ ميلا فى الساعة وهى محفوظة الآن فى متحف لندن لوسائل النقل .

وفى متحف السكك الحديدية بميدان رمسيس بالقاهرة الذى أفتتح عام ١٩٣٣ يوجد نماذج عديدة تبين تطور النقل والسكك الحديدية فى مصر والعالم من فجر التاريخ وخاصة عند قدماء المصريين ، فهناك نموذج مجسم يبين كيف كان الفراعنة ينقلون تمثالا يزن ستين طناً على زحافة بنظام هندسى بديع ، ونماذج تبين وسائل المواصلات

والنقل فى عهد الاغريق والرومان ، واقسام أخرى تعرض مجموعة كبيرة من النماذج تشرح تطورات القاطرات الاولى فى العالم ومصر ، ومن بينها نموذج لأول فكرة للقاطرات التى ظهرت عام ١٧٨٣ ، وأخرى لأول قاطرة سارت بمصر عام ١٨٥٤ ، كما يوجد نماذج وصور للمحطات القديمة والحديثة وأنواع كبارى السكك الحديدية وتطورها وتاريخها .

أول مجلس نيابي في مصر

* * *

مجلس شورى النواب الذى اجتمع لأول مرة فى ٢٢ اكتوبر ١٨٦٦ فى فترة حكم الخديوى اسماعيل ، ويبدو أن هدف اسماعيل من وراء إنشاء هذا المجلس كان تحقيق المزيد من السيطرة على كبار الاعيان الذين تكون منهم المجلس وكسب تأييدهم السياسى ودعمهم المالي له ، وتحسين صورة عهده أمام المحافل الاوربية والبنوك التى كان يقترض منها .

وتالف المجلس من ٧٥ عضواً ينتخبون لمدة ٣ أعوام ، ويكون الانتخاب حسب تعداد السكان فى كل منطقة ، وتتمثل الهيئة الناخبة فى مشايخ البلاد وعمدها فى المديريات ، والأعيان فى القاهرة والاسكندرية ودمياط ، ولم يكن يمثل هذه المدن الثلاث الكبرى سوى ستة أعضاء ، وهكذا سيطرت عناصر من كبار ملاك الارض على المجلس ولم يكن للصناع أو التجار أو المتعلمين وجود يذكر فيه ..

ويشترط فى النائب أن يكون مصرياً ممن يتصفون بالرشد والكمال ، لايقل عمره عن ٢٥ سنة ، ولاتكون قد صدرت ضده أحكام جنائية أو طرد من وظائف الحكومة أو حكم عليه بالافلاس وألا يكون من الفقراء المحتاجين ، أو من موظفى الحكومة والعسكريين ، كما وضع شرط معرفة القراءة والكتابة على أن يطلق بالنسبة للناخبين بعد ٣٠ سنة مراعاة لظروف انتشار الامية فى البلاد ، ويتمتع أعضاء المجلس بالحصانة الجنائية أثناء دورة إنعقاده إلا إذا ارتكب أحدهم جريمة القتل ، ويعقد المجلس دورته لمدة شهرين كل سنة من منتصف ديسمبر الى منتصف فبراير ، ويكون اختيار رئيس ووكيل المجلس من حق الخديوى .

وكان المجلس لايناقش سوى المسائل التى تعرضها الحكومة عليه ، كذلك فإن سلطة المجلس استشارية وليست قطعية ، ومن ثم فان مايصدر عنه هو بمثابة توصيات ليست ملزمة للخديوى وانما ترفع له وهو يمتلك سلطة إصدار القرار .

وفى ١٧ مايو ١٨٧٩ تقدم محمد شريف باشا بمشروع اللائحة الاساسية التى تعد

أول مشروع دستور نيابى برلمانى فى مصر ، وفى ٢ يوليو قدم الى المجلس مشروع اللائحة الانتخابية .

وحسب مشروع اللائحة الاساسية فقد كان للمجلس الذى تكون من ١٢٠ عضواً سلطة البرلمانات الحديثة مثل اقرار حق الميزانية والقوانين واعتبار النظارة (الوزارة) مسئولة أمامه ، وحق النواب فى توجيه الاسئلة والاستجوابات الى النظار (الوزراء) ، كما أعطى المجلس حق انتخاب رئيسه ووكيله وحق الحكم فى صحة انتخاب نوابه دون تدخل أى جهة اخرى .

أما النائب فهو يمثل الامة بأسرها وليس دائرته الانتخابية فقط ، ومنع الجمع بين النيابة والنظارة والنائب حر فى إبداء رأيه ويتمتع بالحصانة البرلمانية .. وأعطيت اللائحة للخديوى الحق فى حل المجلس والدعوة الى انتخابات جديدة فى حالة الخلاف بين المجلس والنظارة ورفض الاخيرة الاستقالة .

ولكن هذا التطور سرعان ما أوقف نتيجة للتدخل الاوربى واصدار السلطان فرماناً بخلع الخديوى اسماعيل وتنصيب الامير توفيق بدلا منه فى ٢٦ يونيو ١٨٧٩ ، وقام الخديوى بفض مجلس شورى النواب وعطل الحياة النيابية مايزيد على عامين ، ورفض التصديق على اللائحة الاساسية ، ثم رضخ لذلك فى النهاية بعد تصاعد حركة أحمد عرابى فى ٩ سبتمبر ١٨٨١ ودعا لانتخاب أعضاء مجلس شورى النواب تبعاً لأحكام اللائحة الاساسية .

وبعد الاحتلال الانجليزى لمصر أقامت سلطة الاحتلال نظاماً للحكم يضمن مصالحها فصدر القانون النظامى فى أول مايو ١٨٨٣ والذى يعد نكسة فى التطور الدستورى لمصر .. ونص على تعدد المجالس وهى مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية ، ولايمكن القول بأن ذلك يعد أخذا بنظام المجلسين ، فهذا يفترض اختلاف طريقة تكوين كل مجلس بينما كان الوضع أن مجلس شورى القوانين يدخل بكامل هيئته فى تكوين المجلس الأخر كما أن رئيس الاول هو رئيس الثانى ، بالاضافة الى الطبيعة الاستشارية للمجلس فى الغالب .

وفى أول يوليو ١٩١٣ صدر قانون نظامى جديد يسمح بتمثيل متوسطى ملاك الاراضى الزراعية ، والغى مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية ، وأنشئت الجمعية التشريعية التى لم تختلف كثيرا عن التنظيمات السابقة من حيث مقوماتها وأسسها وطبيعتها الاستشارية .. وكانت الجمعية تتكون من ٨٣ عضواً تعين الحكومة منهم سبعة عشر لتمثيل الأقليات والمصالح ويكون من بينهم الرئيس وأحد الوكيلين ، وهكذا ادخل القانون تمثيل الطوائف التى قصد بها تمثيل الاقليات الدينية والمصالح الاقتصادية والطائفية مما يكرس الفروق الدينية والاجتماعية ، وعقدت الجمعية التشريعية دورتها الاولى فى ٢٢ يناير ١٩١٤ .

وقد نص دستور ١٩٢٣ على أن الاختصاص التشريعى فى يد البرلمان - أى مجلسى النواب والشيوخ - والملك بحيث لايصدر قانون إلا اذا أقره البرلمان وصدق عليه الملك .

وتكون البرلمان - حسب المذكرة التفسيرية للدستور - من مجلسين تحوطاً من امكانية استبداد البرلمان إذا كان مكوناً من مجلس واحد ، وتلافياً للخطأ والتسرع إذ يقوم كل من المجلسين بمراجعة أعمال الآخر وتصحيح الاخطاء ، ولكن المذكرة لم تشر الى حقيقة أن مجلس الشيوخ كان أقل ديمقراطية فى تكوينه واكثر تعبيراً عن الطبقات الثرية فى المجتمع ، كما تميز بأن للملك حق تعيين خمسى أعضائه ولذلك يرى البعض أن السبب الاساسى لاتباع نظام المجلسين هو إحداث التوازن بين الاتجاهات الديمقراطية والشعبية للنواب . والاتجاهات الاستبدادية للقصر والطبقات التى رأت فى الحركة الشعبية خطراً على مصالحها .. وبخصوص العلاقة بين المجلسين فلا يصدر قانون الا بموافقة المجلسين وفى حالة الخلاف بينهما يسقط القانون باستثناء الميزانية فيعقد اجتماع مشترك للمجلسين فى هيئة مؤتمر ويؤخذ التصويت بالاغلبية المطلقة .

ولكل منهما حق اقتراح القوانين باستثناء حق اقتراح إنشاء الضرائب أو زيادتها فقد قصر على الملك ومجلس النواب ، كذلك فان مناقشة الميزانية يجب أن تبدأ فى مجلس النواب ، وهو الذى يستطيع سحب الثقة بالوزارة .. ولايجوز الجمع بين عضوية المجلسين كما لايجوز الجمع بين عضوية أى منهما وتولى الوظائف العامة ، ولم يحدد الدستور عدد أعضاء المجلسين ولكن ربط بين عدد الاعضاء وعدد سكان البلاد ، فعضو مجلس الشيوخ المنتخب ينوب عن ١٨٠ الفاً من السكان وعضو مجلس النواب ينوب عن ٦٠ الفاً .

عندما مات مائة ألف مصرى
من أجل قناة السويس

* * *

إن فكرة شق قناة تربط البحر المتوسط بالبحر الاحمر فكرة قديمة .. وكانت تعود الى الحياة بين الحين والحين ، ولكن اتساع التجارة بين أوربا والهند والشرق الاقصى حفز الناس على التفكير فى طريق أقصر ، حيث كانت السفن المتجهة من أوروبا الى الهند تدور حول افريقيا ، وكان من الطبيعى أن يكون الانجليز هم أول من يفكروا فى حفر قناة السويس بسبب اتساع تجارتهم ، ولكن الفرنسيين هم الذين سبقوا الى العمل رغبة فى ترسيخ أقدامهم فى الشرق ، فعندما غزا نابليون مصر عام ١٧٩٨م قام باجراء مسح للمنطقة إلا أنه صرف النظر عندما اكتشف وجود فرق قدره ١٠ أمتار فى المنسوب بين البحر المتوسط والبحر الاحمر ، مما جعل الامر يبدو مستحيلا ولكن تبين بعد ذلك أن هذا الاكتشاف كان خاطئا .

وفى ٧ نوفمبر ١٨٥٤ استطاع الفرنسى فرديناند ديلسبس - الذى كان يعمل قنصلا مساعداً لحكومته فى الاسكندرية - أن يتقرب من الامير محمد سعيد الذى تولى عرش مصر ، فاتصل به وعرض عليه مشروع حفر قناة السويس التى تمتد من ميناء بور سعيد فى البحر المتوسط الى ميناء السويس فى خليج السويس المؤدى الى البحر الاحمر ... وتمكن فى ٣٠ ديسمبر ١٨٥٤ من أن يحصل على امتياز حفر القناة.

وفى ١٨٥٦ تكونت الشركة العالمية لقناة السويس البحرية وساهمت فيها مصر وتركيا وفرنسا واخذت مصر ٤٤٪ من الاسهم ، ووقع الاختيار بين عديد من التصميمات على التصميم الذى أعده مهندس ايطالى لامع يسمى " لويجى نيجريللى ".

وقد تعهدت الحكومة للشركة بتقديم العمال بالسخرة .. وفى ٢٥ ابريل ١٨٥٩ بدأ العمال المصريون يحفرون القناة دون أن يتقاضوا أجراً ، وكان يرسل منهم لهذا العمل ستون ألف كل شهر ، فى وقت لم يكن يزيد فيه مجموع سكان مصر كلها على أربعة ملايين نسمة ، ومات من هؤلاء العمال تحت الانهيارات الرملية مايزيد على المائة ألف دون دفع أى تعويض عنهم ، ووضعت البلاد تحت تصرف الشركة جميع وسائل النقل

البرى والنهرى تستخدمها دون أن تدفع اجراً ، وقامت الجهود المصرية فى كل من ترسانة القاهرة والاسكندرية باعداد المشروعات اللازمة لإكمال حفر القناة .

ولمصر يعود الفضل الاول فى تمويل عمليات حفر القناة ، فقد بدأت الشركة برأس مال لايتجاوز ٥ر١ مليونا من الجنيهات ، ولكن تكاليف حفر القناة وصلت الى مايزيد على ١٦ مليون جنيه ، فتحملت مصر الفرق كاملا ، ثم لم تستطع الشركة الحصول على تمويل خارجى ببيع أسهمها فى الاسواق الدولية ، فاشترت الحكومة المصرية هذه الاسهم ، ثم تدخلت مرة أخرى لمساعدة الشركة حين توقف العمل بها قبل افتتاحها بستة أشهر عندما دفعت مصر ٥ر١ مليون جنيه ، ولم تكتف الشركة بذلك بل تحت ستار بعض المحاولات من جانب حكام مصر لتعديل جانب من الشروط المهينة فى عقد الالتزام تقاضت الشركة من مصر حوالى ٥ر٣ مليون جنيه مقابل إلغاء السخرة واسترداد بعض الاراضى الصحراوية الزائدة عن حاجة القناة .. ولولا هذه الجهود المصرية ما امكن لمشروع قناة السويس أن يشق طريقه .

وفى ١٧ نوفمبر ١٨٦٩ أقيم احتفال أسطورى بمناسبة إنتهاء أعمال حفر قناة السويس ، حيث غادر ميناء بور سعيد أسطول مؤلف من ٢٠ سفينة يتقدمه اليخت الامبراطورى الفرنسى " إيجل " الذى أقل فرديناند ديلسبس والامبراطورة أوجينى زوجة نابليون الثالث ، وقد سار الاسطول يتهادى فى القناة حتى نهايتها حيث وصل الى السويس ثم اقيمت الحفلات أثر هذا الافتتاح .

وبعد أن رفضت بريطانيا فى البداية المساهمة فى شركة قناة السويس ، إلا انها تراجعت بعد أن وضحت أهميتها بل أن الملكة فيكتوريا كرمت ديلسبس ومنحته وسام "نجمة الهند " واخذت تتحين الفرصة حتى واتتها بعد وقوع مصر فى الديون ، واشترت حصة مصر فى الشركة عام ١٨٧٥ بـ ٤ مليون جنيه ، وأصبحت تملك اغلبية الاسهم ، ومنحت الشركة حق إدارة القناة ٩٩ سنة ثم احتلت بريطانيا مصر .

وفى ٢٦ يوليو ١٩٥٦ تم تأميم شركة قناة السويس بعد أن أنسحبت الولايات المتحدة وبريطانيا من مشروع تمويل السد العالى ورفض البنك الدولى تمويله ، وفى ذلك الوقت كان دخل مصر من القناة مليون جنيه فى حين كان مجموع دخل القناة ٣٥ مليون جنيه .. وعلى الرغم من إعلان مصر بانها ستمنح الدول المالكة التعويض

المناسب ، إلا أن انجلترا وفرنسا واسرائيل قامت بشن العدوان الثلاثى على مصر فى ٣٠ اكتوبر ١٩٥٦ فى محاولة لاستعادة الصفة الدولية السابقة للقناة ولكنهم لم يلبثوا أن أذعنوا للأمر الواقع .. وفى عام ١٩٦٧ نتيجة للعدوان الاسرائيلى على مصر اقفلت قناة السويس وظلت كذلك حتى افتتاحها للملاحة فى ٥ يونيو ١٩٧٥ بعد انتصار مصر فى حرب ٦ اكتوبر ١٩٧٣ .. لتعود أقرب شريان ملاحى يربط الشرق بالغرب .

أول من نادى بتعليم المرأة

* * *

رفاعة رافع الطهطاوى (١٨٠١ - ١٨٧٣) .. ولد فى طهطا فى صعيد مصر ، وتنقل بين مدن الصعيد ، وحفظ شيئاً من القرآن الكريم ، وبعد وفاة والده أرسلته والدته الى القاهرة حيث التحق بالأزهر وتلقى العلم من شيوخه ، وظل فى الأزهر ثمانية أعوام ، ولما تخرج فيه اشتغل بالتدريس فى الجامع ، وكان فى هذه الفترة يسافر الى بلده حيث يلقى بعض الدروس على الطلاب .

وفى عام ١٨٢٤ م عين رفاعة الطهطاوى إماما وواعظاً فى الجيش ، وفى عام ١٨٢٦ اختير إماما لتلاميذ البعثة المصرية المسافرة الى باريس ، فاشتغل بتعلم اللغة الفرنسية وآدابها ، وانصرف الى الترجمة فنقل عدداً من الكتب الادبية والتاريخية والجغرافية والرياضية والعسكرية ، وسجل رحلته فى كتاب " تخليص الابريز فى تلخيص باريز " وفيها رسم صوراً من حياته فى باريس والحياة الاجتماعية فى فرنسا فى القرن التاسع عشر .

وقد اصيب رفاعة بضعف فى عينه اليسرى أثناء اقامته فى باريس نتيجة للمذاكرة والتحصيل ، حتى نصحه الطبيب بعدم القراءة ليلاً ، ولكنه لم يمتثل لأوامره حتى لايعوق ذلك تقدمه .

وعاد رفاعة الطهطاوى الى مصر عام ١٨٣١ ، وعين مترجماً فى مدرسة الطب بأبى زعبل ، وكان يرأسها كلوت بك ، وبعد عامين نقل الى مدرسة التوبجية مترجماً ، وعندما أنشئت مدرسة الالسن عين مديراً لها وأستاذاً بها ، ثم ألحق بالمدرسة قلم الترجمة ، وقد بلغ عدد الكتب التى ترجمها خريجوا المدرسة حوالى ألفى كتاب ، وكان لحركة الترجمة هذه أبعد الاثر فى النهضة الفكرية فى القرن التاسع عشر .

ولما تولى عباس الاول الحكم كان الطهطاوى قد أقدم على ترجمة " دستور فرنسا " ونشره مفسراً ماجاء فيه من بنود عن " حقوق العوام " ، وبوشاية من بعض المشايخ المتعصبين أوغروا صدر عباس على رفاعة الطهطاوى ، وكان دليلهم هذا الكتاب ، وهدفهم إبعاده عن التعليم خوفا على طرق تدريسهم التقليدية من المدرسة التربويـــة

الحديثة التى كان يبشر بها فى مدرسة الالسن التى مالبث أن أغلقها عباس هى الاخرى فيما أغلق من مؤسسات كثيرة ، وإذا بعباس ينتزعه من مدرسة الالسن ويختار له نظارة أول مدرسة ابتدائية مصرية فى الخرطوم .

وبعد وفاة عباس الاول وتولى سعيد بسبعة أيام فقط صدر أمر بالغاء مدرسة الخرطوم ، وعاد رفاعة الى مصر وعين وكيلا للمدرسة الحربية ثم ناظراً لها فمديراً لمدرسة الهندسة ومدرسة العمارة مع الاحتفاظ بقلم الترجمة ، ولكن هذه المدارس جميعاً لم تلبث أن ألغيت فظل رفاعة الطهطاوى بلا منصب حتى عهد اسماعيل ، وإعادة قلم الترجمة من جديد فعين عضواً فى " قومسيون المدارس " وهو المجلس الاعلى الذى كان يشرف على التعليم والحركة التربوية .

وقد قام رفاعة الطهطاوى بجهود كثيرة فى ميدان الصحافة ، فعمل على تنظيم جريدة الوقائع المصرية ، وهى أول صحيفة عربية فى مصر والعالم العربى ، كما قام بالاشراف على مجلة " روضة المدارس " وباشر تحريرها إبنه على بك فهمى .

ولاحظ رفاعة الطهطاوى أن كتب النحو المستخدمة فى المدارس جارية على الاسلوب العتيق ولاتصلح للعصر الحديث ، فوضع كتاباً جديداً اسماه " التحفة المكتبية فى القواعد والاحكام والاصول النحوية بطريقة مرضية " وحاول فى هذا الكتاب أن يبسط القواعد النحوية ويخلصها من الشوائب والتعقيدات وعرضها على شكل جداول حتى يتمكن الطلبة من حفظها .

كما ألف رفاعة كتاباً فى تعليم المرأة أطلق عليه " المرشد الامين للبنات والبنين ، وقد يكون ظهور مثل هذا الكتاب اليوم حدثاً عادياً ، أما ظهوره عام ١٨٧٢ فقد كان حدثا غير عادى ، إذ تناول فكرة تعليم المرأة بالتحليل والتفصيل وضرب الامثلة من التاريخ فى وضوح وجلاء ، وروى أخبار كثير من النساء الشهيرات ، وكتب فصلا بعنوان " تشريك البنات مع الصبيان فى التعلم والتعليم وكسب العرفان " جاء فيه " ينبغى صرف الهمة فى تعليم البنات والصبيان معاً لحسن معاشرة الازواج ، فتتعلم البنات القراءة والكتابة والحساب ونحو ذلك .. فان هذا مما يزيدهن أدبا وعقلا ويجعلهن

بالمعارف أهلا فيعظمن فى قلوبهم ، ويعظم مقامهن لزوال مافيهن من سخافة العقل والطيش "

بهذه الروح كان رفاعة الطهطاوى أول من دعا الى تعليم المرأة ، والتحرر من قيود الجهل والخروج الى نور المعرفة .

أول سلام وطني مصرى

* * *

اهتم المؤرخون للدولة المصرية القديمة بالحديث عن الموسيقى فى قصور الملوك الفراعنة ، ولكنهم لم يتحدثوا عن الموسيقى الرسمية أو اللحن الذى يعزف عند قدوم الملك لإحدى الاحتفالات الرسمية وربما كان ذلك لعدم وجود لغة تكتب بها الموسيقى فى ذلك الوقت .

وكان أول سلام وطنى مصرى حفظت لنا ألحانه المتميزة هو السلام الوطنى الذى بدأ عزفه فى عهد الخديو اسماعيل وظل هو السلام الوطنى حتى ١٩٦٠ .. ولم تحفظ كتب التاريخ الموسيقى الطريقة التى اصبحت بها هذه الموسيقى سلاماً وطنيا ، ويقول البعض أن الموسيقى الايطالى " فيردى " كتب ألحان هذا السلام ، وعزف للمرة الاولى عام ١٨٧٢ ، ويقول البعض الآخر أن الحان هذا السلام ليست إلا المقدمة الموسيقية (الكانتاتا) التى قدمت لأول مرة فى افتتاح دار الاوبرا وعزفت للمرة الاولى عام ١٨٦٩ .

وفى سنة ١٩٦٠ صدر القرار الجمهورى بإتخاذ سلام وطنى جديد وهو المؤسس على لحن كمال الطويل لنشيد " والله زمان ياسلاحى " للسيدة ام كلثوم ، ولم يكن هناك كلمات مصاحبة للحن لذا كان يطلق عليه السلام الجمهورى .. وفى عام ١٩٧٤ صدر قرار جمهورى بالاكتفاء بعزف الجزء الاول منه فقط ، إلا أنه اجرى تعديل آخر عام ١٩٧٥ بالعودة لعزفه بالكامل كما كان .

وفى عام ١٩٧٩ صدر قرار جمهورى بتعديل السلام الجمهورى لجمهورية مصر العربية الى اللحن الخالد لفنان الشعب سيد درويش " بلادى بلادى " والذى أعاد توزيعه الموسيقار محمد عبد الوهاب ، ثم صدر فى ديسمبر ١٩٨٢ قرار جمهورى بمراعاة أن تصاحب كلمات المقطع الاول من نشيد بلادى بلادى " النوتة الموسيقية فى جميع الاحتفالات الشعبية والوطنية ، وأن يقتصر السلام الوطنى على عزف النوتة بغير نشيد فى حالة استقبال الرؤساء والوفود الاجنبية ، وفى غير ذلك من الاحوال التى تقتضى عزفه مع السلام الوطنى لدولة أجنبية .

قصر عابدين

* * *

كان في الاصل قصراً صغيراً تملكه " حسن شاه خاتون " أرملة محمد بك عابدين أحد أمراء المماليك ، وقد أوقفته واشتراه الخديو اسماعيل من أصحاب الاستحقاق فى الوقف مقابل ١٨٠ فدانا بعزبة برحكيم بالدقهلية ، وعدت بذلك حجة شرعية باسم الخديو شخصياً ، وقد بناه الخديو بمبالغ وصلت فى ذلك الوقت الى حوالى ٧٠٠ ألف جنيه بخلاف نفقات تأثيثه بأفخر الاثاث والتحف بما لايقدر بثمن .

وقد بدأ العمل في بناء قصر عابدين عام ١٨٦٣ م وافتتح عام ١٨٧٤م وظل منذ ذلك الحين المقر الرسمى للدولة بدلاً من قصر الجوهرة بالقلعة .. وأقيم على مساحة قدرها ٢٤ فداناً تشغل الحديقة منها ١٩ فداناً ، وتبلغ مساحة القصر نفسه خمسة أفدنة .

وقد أقام الخديو اسماعيل فى أحد جوانب القصر ثكنات الحرس الخديوى ، ثم فتح شارع عابدين وشارع عبد العزيز وجعلهما من الطرق المؤدية الى القصر وخطط منطقة عابدين كلها وردم ماكان حولها من برك مثل بركة الناصرية وبركة السقايين وبركة الفوالة ، ثم أدخلت تعديلات بعد ذلك حيث هدم حى الفوالة الذى يقع خلف بنك مصر ، وانشىء حى أرض شريف مكان سراى محمد شريف باشا رئيس وزراء مصر الاسبق

وكان الحى الرئيسى فى عابدين حينذاك هو شارع البلاقسة ومايحيط به ويتفرع عنه من حارات ، وكان حى الشيخ عبد الله فى ذلك الوقت جبانة أزيلت ولم يبق من معالمها غير مسجد الشيخ عبد الله وضريح الشيخ ريحان ومدفن عماد الدين صاحب الشارع الشهير المجاور لضريحه ، وقد كان عماد الدين هو الخادم الخاص لصلاح الدين الايوبى .

أول وزارة في مصر

* * *

نظارة نوبار باشا التى تشكلت فى ١٨٧٨/٨/٢٨م .. ويذكر انه كان مسموحاً فقط للسلطان العثمانى فى تركيا باطلاق اسم الوزارة فى تركيا ، أما فى البلاد التابعة فهى مجرد نظارة .. ويرجع سبب تشكيل هذه النظارة الى أنه نظرا لتدهور الاوضاع الاقتصادية فى عهد اسماعيل واستمرار الضغط الاوربى لضمان الانتظام فى سداد الديون ، أوصت لجنة التحقيق العليا وهى لجنة أوربية فى يناير ١٨٧٨ ببحث أسباب العجز فى الايرادات واقتراح أوجه العلاج ، بتغيير نظام الحكم وبضرورة نزول الخديو عن سلطته المطلقة ، وكان مبعث هذا الاقتراح رغبة انجلترا فى زيادة قبضتها وسيطرتها على مصر .. وبالفعل تكونت نظارة نوبار باشا وقد شكلها من رياض باشا للداخلية وراتب باشا للجهادية وعلى باشا مبارك للاوقاف والمعارف العمومية ، واحتفظ لنفسه بوزارتين هما الخارجية والحقانية (العدل) ، وبعد مرور شهر أصدر الخديو مرسوما بتعيين مستر ريفرس ويلسون الانجليزى ناظرا للمالية ومسيو دى بليز الفرنسى ناظراً للاشغال العمومية ، وهنا يتضح أن إنشاء نظام الوزراة فى مصر لم يكن دعماً للحركة الدستورية بل تكريساً للنفوذ الاجنبى بمعنى أنه حد من سلطة الخديو من أجل مصلحة القوى الاجنبية .

وكان من القرارات التى اتخذتها هذه النظارة تسريح ٢٦٠٠ ضابط مما أشعل المعارضة لها فى خارج وداخل مجلس شورى النواب ، وقام الضباط بمظاهرة فى ١٨/فبراير / ١٨٧٩ مما أدى الى إعفاء الوزارة فى ١٨٧٩/٢/٢٣ .

ومن الجدير بالذكر أن نوبار باشا لم يكن مصرياً ، بل كان أرمنيا ولد فى أزمير عام ١٨٢٤ ، وتعلم فى فرنسا وسويسرا ، ثم جاء الى مصر وعمل بالترجمة ، ثم سكرتيرا خاصا لابراهيم باشا ، ثم سكرتيرا لعباس باشا ، ثم مديرا للسكة الحديد فى عهد سعيد ، ثم رسولا لاسماعيل فى أوروبا لحل المشكلات (الممثل الشخصى) وكان صاحب فكرة المحاكم المختلطة ، وعندما تقرر انشاء الحكومات تم اختياره أول رئيس للحكومة المصرية .

وفى ١٨٧٩/٤/٧ كلف محمد شريف باشا بتأليف أول نظارة مصرية خالصة تكون

مسئولة أمام مجلس شورى النواب تحت ضغط من جميع القوى السياسية في مصر ، وهو الضغط الذى تبلور فى لائحة وطنية فى نفس الشهر وطالب بتشكيل وزارة مصرية بلا أجانب .

ويرجع أصل الوزارة الى مجموعة الدواوين التى أنشأها محمد على ، وعدل فى تكوينها عدة مرات ، وكانت تتكون أساسا من مجموعة من الموظفين ، وفى البداية أنشأ محمد على الديوان العالى والذى سمى احيانا بالديوان الخديوى أو ديوان الوالى أو ديوان المعاونة ومقره القلعة ، وتكون من عدد من كبار الموظفين ورأسه نائب الوالى ليقوم بالتداول فى شئون الحكم قبل التنفيذ ، كما أوجد الوالى لكل مجال من مجالات الحكم ديوانا مثل ديوان الجهادية وديوان البحرية وديوان الاشغال وديوان المدارس وديوان التجارة وكانت بمثابة فروع من الديوان العالى .

وفى عام ١٨٣٤ انشىء المجلس العالى ويتكون من نظام الدواوين وعدد من كبار الموظفين واثنين من العلماء يختارهم شيخ الجامع الازهر واثنين من التجار يختارهم كبير تجار العاصمة ، واثنين من ذوى المعرفة بالحسابات ، كما يضم اثنين من الاعيان عن كل مديرية ، ومدة عضوية المجلس سنة ، وأكد محمد على على ضرورة إستماع رئيس المجلس الى الآراء المختلفة وألا يتحدث قبل الاعضاء حتى لا يتأثروا برأيه وأن تكون المناقشة جادة وفى اطار حر.

وفى عام ١٨٣٧ أصدر محمد على القانون الاساسى (السياستنامة) وأشار فيه الى أن النظام الامثل لمصر يتطلب تركيز السلطات فى يد الحاكم ، وأن تكون جميع المصالح المتعلقة بالامور الداخلية مرجعها الى ديوان واحد ، وحدد اختصاصات الحكم فى سبعة دواوين عرفت باسم دواوين العموم ، وفى عام ١٨٤٧ استكمل البناء الحكومى بانشاء ثلاثة مجالس اخرى .

وكانت الدواوين أجهزة فنية معاونة ذات صفة استشارية ، ولم يكن لها سلطة اتخاذ القرار التى ركزت فى يد الوالى ، واستمر هذا الوضع أساساً فى الفترة التى تلت محمد على باستثناء بعض التعديلات التنظيمية ، فقام عباس باشا باعادة تكوين المجلس الخصوصى ، كما أعاد سعيد باشا تنظيم الدواوين فى أربعة فقط .

وأول وزارة تألفت فى ظل الاحتلال الانجليزى كانت تحت رئاسة محمد شريف باشا (أغسطس ١٨٨٢-يناير ١٨٨٤) وكانت هى النظارة التى تلقت التبليغ الانجليزى الشهير ومؤداه أن على النظارة والمديرين المصريين ضرورة اتباع نصائح ممثلى حكومة جلالة الملكة أو التخلى عن مناصبهم ، حتى قدمت النظارة استقالتها نتيجة الخلاف مع الانجليز حول موضوع إخلاء السودان .

ومع إعلان الحماية الانجليزية على مصر عام ١٩١٤ تغير اسم النظارة الى الوزارة دون أن يترتب على ذلك تغير فى الاختصاصات .. ولم يكن تغير الاسم مسألة شكلية بل حمل معنى قطع العلاقة مع الدولة العثمانية ، فقد كان سبب عدم لجوء مصر الى تسمية الوزارة راجعاً الى شيوع تسمية الوزارة العثمانية ولم يكن من المقبول أن يستخدم التابع والمتبوع نفس الاسم .

وأول وزارة سياسية فى تاريخ مصر هى وزارة عدلى يكن باشا (مارس ١٩٢١ - ديسمبر ١٩٢١) فالوزارة خلال فترتى الاحتلال والحماية لم يكن لها وجود سياسى او ارادة سياسية مستقلة ، وانما ارتبطت دائما بالخديو أو سلطة الاحتلال ، ولكن نتيجة تصاعد الحركة الوطنية واعتراف انجلترا بمبدأ القبول بانهاء الحماية تغيرت طبيعة الوزارة لان هدفها أصبح إجراء المفاوضات مع الانجليز لتحديد شكل العلاقة بين البلدين .

وأطول وزارة فى التاريخ المصرى هى وزارة مصطفى فهمى باشا (نوفمبر ١٨٩٥ - نوفمبر ١٩٠٨) وكانت أطول الوزارات عمراً وأكثرها إذعانا لرغبات الانجليز وأشدها ممالاة لهم ، ومع بداية عهد الوفاق بين الخديو وسلطة الاحتلال ١٩٠٧-١٩١١ استقال مصطفى فهمى ، واختار الخديو بطرس باشا غالى رئيسا للحكومة فى نوفمبر ١٩٠٨ .. وأقصر الوزارات عمراً فى التاريخ المصرى هى وزارة احمد نجيب الهلالى الثانية (٢٢ يوليو ١٩٥٢ - ٢٤ يوليو ١٩٥٢) وهى آخر وزارات مصر قبل الثورة .

كان يوماً " حامي حمى الديار المصرية "

* * *

أحمد عرابى .. ولد فى ٣١ مارس ١٨٤١ بقرية " هرية رزنة " على مقربة من الزقازيق بمديرية الشرقية ، كان أبوه شيخ البلد ، تعلم أحمد عرابى مبادىء القراءة والكتابة فى كتاب القرية ، وتدرب على الكتابة والاعمال الحسابية على يدى صراف البلدة نحو خمس سنوات ، ثم أرسله أبوه الى الجامع الازهر عام ١٨٤٩ ومكث فيه أربع سنوات ، ورجع الى بلدته قبل أن يتم دراسته .

وعندما بلغ الرابعة عشرة من عمره انتظم فى سلك الجندية وتدرج فى الجيش حتى وصل الى رتبة القائمقام عام ١٨٦٠ وكان أول مصرى يصل الى هذه الرتبة .. ثم فصل أحمد عرابى فى عملية لانقاص الجيش ثم عاد مرة أخرى اليه .. وفى عهد الخديو اسماعيل شهد احمد عرابي ظلم رؤساء الجيش الشراكسة والاتراك ومحاباة صغار الضباط الشراكسة لانهم من مماليك أو أبناء مماليك العائلة الخديوية ، ومنذ ذلك الحين بدأ يبث فى نفوس الضباط الوطنيين فكرة الاتحاد والمطالبة بحقوقهم ، وفى يونيو ١٨٧٩ رقى عرابى الى رتبة أميرالاى وعين على آلاى المشاه الرابع الذى كان مركزه القاهرة ، ويعرف بآلاى العباسية وظل يشغل هذا المنصب حتى شبت الثورة العرابية – التى نسبت اليه – عام ١٨٨١ .

وكانت أول بادرة للثورة العرابية الشكوى التى قدمها أحمد عرابى وعبد العال حلمى وعلى فهمى باسم الضباط المصريين الى رياض باشا للمطالبة بعزل عثمان رفقى الشركسى ناظر الحربية والذى كان يتحيز للضباط الشراكسة والاتراك ، وبدلا من فحص الشكوى قرر مجلس النظار فى ٣١ يناير ١٨٨١ محاكمة الضباط الثلاثة امام مجلس عسكرى وأصدر ناظر الحربية أمراً بالقبض عليهم وسجنهم فى ثكنات قصر النيل ، ولم يكد يتم القبض حتى هجم الآلاى الاول (وكان مقره بقشلاق عابدين) واقتحم الجنود الديوان وأطلق سراح الضباط الثلاثة ، وسار الجميع الى قشلاق الآلاى الاول بعابدين ، وهناك انضم اليهم آلاى طره ، وكان من نتيجة احتشاد الجنود بأسلحتهم على هذا الوجه أن أذعن الخديو لمطالب عرابى فعزل عثمان رفقى واسندت نظارة الحربية الى محمود سامى البارودى عضو الحزب الوطنى ، وصديق الضباط (الفلاحين) وأكبر شعراء القرن التاسع عشر فى العالم العربى .

ولكن الخديو مالبث أن غضب على البارودى فقدم استقالته ، وشددت الحكومة قبضتها على الضباط وحرمت عليهم الاجتماعات ، وكان لحادثة قصر النيل فى أول فبراير ١٨٨١ أثرها البالغ فى الامة التى وجدت فى عرابى ضالتها المنشودة ، ووجدت رجلا تكمن قوته فى إخلاصه وجرأته وبلاغته الخطابية وتدينه وتعبيره عن أمال الامة وآلامها ، وأخذ عرابى يجمع التوقيعات لعريضة شاملة تهدف الى زيادة عدد الجيش ، وإعادة الحياة النيابية واسقاط نظارة رياض .

وفى ٩ سبتمبر ١٨٨١ توجه عرابى على رأس الجيش فى مظاهرة عسكرية انضمت اليها جموع الشعب التى وفدت من الاقاليم لمناصرة عرابى ، وذلك لعرض مطالب الجيش على الخديو ، وقال عرابى كلمته المشهورة وهو ممتطيا صهوة جواده " لقد خلقنا الله احراراً ، ولم يخلقنا تراثاً وعقاراً ، فو الله الذى لا اله الا هو إننا لن نورث ولن نستعبد بعد اليوم " وأمام الضغط أذعن الخديو ، وسقطت نظارة رياض ، وعهدت النظارة الى محمد شريف باشا وتم اجراء انتخابات عامة وأطلقت الحريات وأعيد المنفيون الى البلاد ، وحين بلغ المد الثورى غايته تنكر الخديو للحكم الدستورى ، وكان أن سقطت نظارة شريف ، وأجبر الخديو على اختيار البارودى رئيسا للنظارة التى عرفت فيما بعد بنظارة الثورة وتولى فيها عرابى نظارة الحربية فى ٤ يناير ١٨٨٢ .

وحينذاك تدخل الاستعمار ممثلا فى انجلترا وفرنسا للقضاء على هذا النصر السياسى للامة مما دفع الدولتان الى الاتفاق على التدخل المسلح فى شئون البلاد بدعوى إنقاذ عرش الخديوى ، وقامت الدولتان فى ١٩ مايو ١٨٨٢ بمظاهرة بحرية فى ميناء الاسكندرية وفى ١١ يونيو ١٨٨٢ حدثت مذبحة الاسكندرية عقب أن قتل رجل مالطى من رعايا بريطانيا أحد المصريين ، وقد أدت هذه المذبحة الى ازدياد إلتفاف الشعب حول عرابى .

وعمل عرابى على تقوية الاستحكامات فى الاسكندرية والقاهرة ومنطقة قناة السويس ، وفى ١١/يوليو /١٨٨٢ ضرب الاسطول البريطانى الاسكندرية بمدافعه التى اخذت تشيع الدمار وتحصد الارواح وأصابت العديد من المنازل ، وقد دافعت الحاميات دفاع المستميت وتفانى الاهالى فى الدفاع عن المدينة رغم أن الحرب كانت حرب مدافع وسفن ، وقد أدرك الثوار بقيادة عرابى أن الانجليز لابد محتلون الاسكندرية بعد أن

دكوا حصونها فقرر الانسحاب منها للمقاومة فى الداخل .. وفى هذا الوقت دبر أعوان الخديو مؤامرة إحراق الاسكندرية ، وحاولوا إلصاق الجريمة بعرابى بينما كان الرجل يتراجع بجيوشه الى كفر الدوار ليحمى البلاد من تقدم جيوش الغزو .

وعسكر عرابى فى كنج عثمان بالقرب من كفر الدوار ، وفى ٢٠ / يوليو / ١٨٨٢ أصدر الخديو أمراً بعزل عرابى من نظارة الحربية ، واحتل الانجليز مدينة السويس فى ٢/ اغسطس ، وفى ٥/ اغسطس ١٨٨٢ حدثت موقعة الرمل ، وفى ٧ / اغسطس حدثت موقعة عزبة خورشيد ، وانتصر المصريون فى الموقعتين ، وفى ٢٠/اغسطس / ١٨٨٢ احتل الانجليز بور سعيد والقنطرة والاسماعيلية وتم للانجليز احتلال القناة بعد خيانة ديلسبس الذى سمح للانجليز باستخدامها بعد أن تعهد لعرابى بألا يفعل ذلك ، وكان عرابى بناء على هذا التعهد قد رفض أن يردم القناة .

وفى ٢٣ أغسطس ١٨٨٢ احتل الانجليز نفيشة وكان الثوار يرابطون بها ، وفى ٢٥ أغسطس استولوا على " المسخوطة " ثم " المحسمة " فانتقل عرابى بجيشه الي معسكر التل الكبير ، ثم حدثت موقعة القصاصين الاولى فى ٢٨ اغسطس والثانية ٩ سبتمبر ١٨٨٢ وهى التى هزم فيها الجيش المصرى نتيجة لخيانة الامير الاى على يوسف خنفس ، وفى ١٣ سبتمبر ١٨٨٢ حدثت موقعة التل الكبير واستبسل الجيش المصرى وكاد ينتصر لولا عوامل الخيانة ، وفى ظهر هذا اليوم رجع عرابى الى القاهرة ، ثم احتلت جيوش المعتدين مدينة بلبيس فى ١٣ سبتمبر ، واحتلت القاهرة فى ١٤ سبتمبر ، وتمت هزيمة الثورة العرابية بدخول الخديو توفيق الى القاهرة فى حماية جيوش الاحتلال .

واعتقل احمد عرابى وزعماء الثورة العرابية ، وحوكموا أمام محكمة عسكرية بتهمة عصيان الخديو ، وكانت محاكمة عرابى فى ٣ ديسمبر ١٨٨٢ ، وصدر الحكم باعدامه ثم تلاه صدور الحكم بابدال الاعدام بالنفى المؤبد ، ثم حوكم زملاء عرابى الستة وهم محمود سامى البارودى ومحمود فهمى ويعقوب سامى وعبد العال حلمى وعلى فهمى الديب وطلبة عصمت ، وحكم عليهم جميعا بالاعدام ثم عدل الحكم الى النفى المؤبد ، وأصدر الخديو أمراً فى ١٤ ديسمبر بمصادرة أملاك الزعماء السبعة المحكوم عليـــهم

ورحلوا عن أرض الوطن فى ٢٨ ديسمبر ١٨٨٢ حيث أقلتهم الباخرة الى سيلان ، ووصلوا الى ميناء كولمبو فى ٩ يناير ١٨٨٣ وقاسوا آلام النفى والاغتراب .

وبعد تسعة عشر عاماً من النفى أصدر الخديو عباس حلمى الثانى عفوه عن احمد عرابى فرجع فى أول أكتوبر ١٩٠١ ، وأودع احمد عرابى فى بيته العتيق بالمنيرة لايغادره ، وفى مساء ٢١ سبتمبر ١٩١١ لفظ عرابى آخر انفاسه ولم يكن بمنزله مايكفى لتجهيزه ودفنه .. وخرجت جنازته فى صمت ومن خلفها اولاده واهله لانه لم يكن مسموحاً لاحد بان يسير فى جنازته ، ولكن مصر كلها كانت تئن لوفاة من كان يوماً "حامى حمى الديار المصرية" .

محمد عبده
يؤسس أول صحيفة عربية فى أوربا

* * *

عاش فى الفترة بين (١٨٤٩ – ١٩٠٥) ، ولد بقرية " محلة نصر " بالغربية من أبوين متوسطى الحال ، وتعلم القراءة والكتابة بمنزل والديه دون أن يذهب الى كتاب القرية ، وبعد أن جاوز العاشرة من عمره وأتم حفظ القرآن الكريم ، ذهب الى الجامع الاحمدى فى طنطا ليتم تجويد القرآن ودراسة قواعد اللغة العربية ، غير أن منهج التعليم بالجامع الاحمدى كان وعراً وشاقاً حتى كاد الصبى يصاب باليأس ويشتغل بالزراعة لولا أن التقى بأحد أخوال ابيه (الشيخ درويش) فاستطاع أن يوجهه توجيهاً سليماً .

ثم التحق بالازهر عام ١٨٦٦ حيث قضى حوالى ثلاث سنوات ولم يجنى فائدة تذكر من الدروس ، ولما لبث أن انصرف عن العلوم الازهرية وتطلعت نفسه الى علوم جديدة .

وكان من حسن حظه أن التقى بجمال الدين الافغانى ، واستطاع بفضل معاونته أن يقبل على الحياة العامة ، وأخذ يبذل جهده للتحرر من سلطان العرف السائد والتقاليد الموروثة ، وأخذ يقرأ ماينقل الى العربية من ثمرات الثقافة الغربية .

وفى عام ١٨٧٧ تقدم لامتحان العالمية فى الازهر وظفر بالشهادة رغم الشكوك التى حامت حول اسمه لاتصاله بجمال الدين الافغانى ، ولكتابته الفصول التى يدعو فيها الى التجديد وترك الجمود والتقليد ، وأصبح من حق محمد عبده أن يقوم بالتعليم فى الأزهر ، فاخذ يلقى فيه دروساً فى التوحيد والمنطق والاخلاق ، ثم عين مدرساً للتاريخ فى دار العلوم ومدرساً للغة العربية فى مدرسة الالسن ، واستمر حتى تولى الخديو توفيق ، فأمر بنفى جمال الدين الافغانى من مصر وعزل محمد عبده من دار العلوم .

ولكن رياض باشا أراد إصلاح جريدة الوقائع المصرية وكانت لسان الحكومة الرسمى ، فعين محمد عبده محرراً بها ثم رئيساً لتحريرها وكان يرى أن غايته رفع مستوى الامة فى تدرج وأناة وتطور ، وكان يرى أن ذلك يتم إذا سلك قادتها سبيل التثقيف والتربية ونشر التعليم لاسبيل تقليد الغرب من غير فهم ولا إدراك عميق أو التمسك بظواهر المدنية المادية مع الغفلة عن صميم المدنية الروحية الصحيحة .

وفى أثناء ثورة أحمد عرابى اشترك فيها محمد عبده حتى صار أحد القيادات المدبرة لشئون الحكومة الوطنية ، وبعد فشل الثورة اتهم محمد عبده بالتآمر مع رجال الثورة فحكم عليه بالسجن ثم بالنفى ثلاث سنوات فاختار سوريا منفى له ورحل اليها فى عام ١٨٨٣ ، ولكن إقامته لم تطل فيها إذ دعاه الافغانى الى اللحاق به فى باريس ووصل اليها عام ١٨٨٤ وهناك عمل مع استاذه على تأسيس جمعية وصحيفة باسم " العروة الوثقى " التى كانت أول صحيفة عربية ظهرت فى أوربا ، وكانت تدعو لتقوية أواصر الجامعة العربية ودفع عدوان الغرب عن الشرق بوجه عام ومكافحة التسلط الاجنبى والطغيان الداخلى وانقاذ مصر من الاحتلال البريطانى بوجه خاص ، وحال الانجليز دون توزيع هذه الصحيفة فى البلاد العربية واضطر الى مغادرة باريس عام ١٨٨٥ الى بيروت حيث عهد إليه بالتدريس فألقى فيها دروسه المشهورة فى " علم الكلام " التى كانت اصلا لرسالته عن الله وصفاته وأعماله وهى " رساله التوحيد " ، كما ألف جمعية دينية سرية كان من أهدافها التقريب بين الاديان الكبرى وانضم اليها القس " اسحاق تيلر " راعى الكنيسة الانجليزية الذى نشر فى لندن عدة مقالات عن الاسلام ، ويبدو أن نشاط محمد عبده فى هذه الجمعية فسر فى تركيا تفسيراً سياسياً يناقض مصالح الخلافة العثمانية مما دفع السلطان عبد الحميد الى السعى لدى الحكومة البريطانية لاصدار العفو عنه ودعوته الى مغادرة سوريا .

وعاد الى مصر عام ١٨٨٨ فعين قاضياً بالمحاكم الشرعية ثم مستشاراً فى محكمة الاستئناف ثم عين عضواً بمجلس إدارة الازهر ، ووضع مشروعه الاصلاحى المشهور لإصلاح الازهر ، ولكنه لم يستطع تنفيذه لكثرة ما وضع فى طريقه من عقبات .

وما لبث أن عين مفتياً للديار المصرية عام ١٨٩٩ واشهر الفتاوى التى أصدرها ثلاث ، الاولى تبيح للمسلمين إدخار اموالهم واخذ الفوائد والارباح عليها ، والثانية تبيح لهم أن ياكلوا من ذبائح غير المسلمين عند الضرورة ، والثالثة تبيح لهم أن يلبسوا زى غير زيهم التقليدى تيسيراً لهم فى امور معاشهم ، وقد سببت هذه الفتاوى كثيراً من المجادلات ، وجلبت عليه ضروباً من التشهير لم تكن الدوافع اليها دينية خالصة فى أكثر الاحيان .

عملاق الأدب العربى

* * *

" ما أجدر هذا أن يكون كاتبا بعد " .. قالها الامام محمد عبده عندما زار المدرسة التى التحق بها عباس محمود العقاد تلميذاً صغيراً ، وكان من عادة أستاذ الانشاء بالمدرسة أن يعرض كراسات موضوعات الانشاء للعقاد على كبار الزوار ، وأثنى الاستاذ الامام على التلميذ الصغير ، وصدقت نبوته .

ولد الشاعر الاديب عباس محمود العقاد فى أول يوليو ١٨٨٩ باسوان ، ولم ينل الا الشهادة الابتدائية التى مكنته من العمل فى احدى الوظائف الصغيرة بالدولة ، غير أنه برم بالوظيفة الرتيبة فاستقال واشتغل بالتدريس مدة ما ، ثم بدأ يكتب فى جريدة الدستور ثم فى غيرها من الصحف حتى أصبح عميداً لكتاب حزب الوفد الذى انشأة سعد زغلول ، بل أصبح عميداً لكتاب الصحف بمقالاته الدقيقة الفذة واسلوبه اللاذع .

وقد تميزت كتب العقاد – وهى نحو مائة كتاب وديوان شعر – بالعمق والدراسة الاصيلة ، وقد تاثر تاثراً شديداً بفلاسفة القرن التاسع عشر ، وعرفهم عن طريق قراءات فى اللغة الانجليزية التى أتقنها إتقاناً تاما .. ومن أهم المزايا التى حققت هذه المكانة للعقاد تمسكه بكرامته وبرأيه وباحساسه بان الحاجة الى لقمة العيش لاتعنى أن يدوس هذه الكرامة ، ولهذا عاش متواضعا يسير على قدميه ، ويركب المترو من ضاحية مصر الجديدة إما الى مقر عمله فى احدى الصحف او الى واحدة من مكتبات القاهرة يجمع منها أحدث ماوصل اليها من الكتب .

وكان معتداً بنفسه جريئاً فى الحق الامر الذى أدى به الى السجن فى عهد الملك فؤاد حين أعلن فى مجلس النواب أن الشعب على استعداد لتحطيم أكبر رأس تقف دون الامانى واستقلال وحرية البلاد .

وكان له فى صباح يوم الجمعة من كل أسبوع ندوة فى منزله بمصر الجديدة يجلس اليه فيها مجموعات من الشباب والشيوخ يستمعون اليه ويناقشونه فى الآراء المختلفة ، ولم يكن يتردد مطلقاً فى أن يعلن رأيه صراحة لانه كان يرى انه صاحب رسالة .

وفى عام ١٩١٦ ظهر الجزء الاول من ديوان العقاد الذى أسماه فى الطبعات التالية " يقظة الصباح " وقد امتازت قصائد هذا الديوان بما يسمى بالوحدة العضوية ، فكانت القصيدة تقوم على موضوع واحد تتناوله من شتى نواحيه فى وحدة سلسة وترابط منطقى .

وفى عام ١٩٢١ ظهر الجزء الاول والثانى من كتاب " الديوان " واشترك معه فى تحريره المازنى ، وهاجم العقاد فى كتاب الديوان شعر شوقى هجوماً عنيفاً ، ونقده نقداً مريراً رداً على هجوم شوقى عليه .. وكان العقاد مولعاً بالتجديد والابداع ، وقد دفعه هذا الولع الى الاسهام فى خلق مدرسة شعرية جديدة هى مدرسة شعراء الديوان التى تعد أساساً للأدب الرومانسى فى الادب العربى .. وقد هاجم العقاد طيلة حياته الشعر الحر وثار على الابتذال والعامية والسوقية .

وقد صدر للعقاد فى حياته عدة دواوين منها الجزء الاول من ديوانه حى الاربعين ١٩١٦ ، هدية الكروان ١٩٣٣ - عابر سبيل ١٩٣٧ - أعاصير مغرب - بعد الاعاصير ١٩٥٠ ، كما خلف العقاد ثروة كبيرة من المؤلفات فى الأدب والنقد والدفاع عن الاسلام وتحليل عبقرياته ومن كتبه " ابن الرومى " و " مراجعات " و " مطالعات " و " الفصول " و " ساعات بين الكتب " و " شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى " و " النازية والاديان " و " فى بيتى " .

توفى فى مارس ١٩٦٤ ودفن فى اسوان مسقط رأسه .. ومن شعره :-

سلينى كيف كنت وكيف صـــــرت   وقولى ما صنعت وما صنعت
قدرت على الحوادث بعـــــد لأى   وهانذا كأنـــى ماقـــــــدرت

سيد درويش

* * *

" احفظوا اسم هذا الشاب ، واذكروا أنى فخور به ، معتز بفنه ، ولتعلمن نبأه بعد حين " .. كلمات قالها سلامة حجازى وهو يقدم سيد درويش على مسرح (عباس) لأول مرة .

بالموسيقار الكبير سيد درويش يبدأ عهد جديد لتاريخنا الفنى الغنائى والمسرحى ، فقد نهض سيد درويش بالموسيقى ، وبعد أن تركها عبده الحامولى عربية خالصة ، جاء سيد درويش وجعلها عربية واقعية مما يجعلك تحس بنبضات من يلقيها .

ولد سيد درويش بكوم الدكة بالاسكندرية فى ١٧ مارس ١٨٩٢ لأب يعمل نجارا ويملك حانوتاً صغيراً للتجارة البسيطة ، وينتمى بكل كيانه ومشاعره الى طائفة النجارين ، ونشأ سيد درويش موسيقياً بطبيعته منذ أن بدأ يحفظ القرآن الكريم سواء فى مدرسة (شمس المدارس) بكوم الدكة أو بالمعهد الدينى بالاسكندرية .

وعندما توفى أبوه وهو فى السابعة استطاع سيد درويش أن يقوم بأعباء أسرته عن طريق هذا الصوت وذلك الذوق الفنى بتلاوة القرآن الكريم والسيره النبوية فى البيوت ، أو الغناء فى المحلات العامة كقهوة (أبو راضى) بحى الجنينة باللبان ، وقهوة (أمينة المنصورية) باللبان ايضا ، وبالقهوة (العالية) وقهوة (السلام) بالمنشية الصغرى .

واضطر سيد درويش حيناً الى إعتزال الغناء إثر أزمة اقتصادية ألمت بالبلاد ، وابتعد الناس خلالها عن الغناء ، واشتغل مناولاً عند أحد المقاولين يحمل الطوب والاحجار الى البناء ويصعد الادوار العليا ثم يهبط الى الارض ، فصور له ذلك شأن الدنيا من إقبال وإدبار ، وعكس ذلك كله فى أغانيه .. وفى تلك الفتره سمعه مصادفة (سليم عطا) أحد اصحاب الفرق الغنائية وألحقه بفرقته التى سافرت خارج البلاد عام ١٩٠٩ ولم تلق هذه الرحلة نجاحا ، فسافر مرة اخرى عام ١٩١٣ واجتمع فى سوريا بأقطاب الموسيقى والغناء مثل (عثمان الموصلى) مما كان له أكبر الأثر فى دراسته الموسيقية .

وفى عام ١٩١٧ كان سلامة حجازى مصابا بالشلل عندما دعاه جورج ابيض لتلحين أول اوبريت ستقدمه فرقته الجديدة ، وهو أوبريت " فيروز شاه " فاعتذر الشيخ بمرضه ، واقترح على جورج ابيض إسما جديداً هو سيد درويش ، وسرعان ما استدعاه جورج ومنحه مرتبا لايحلم به وهو ثمانية عشر جنيها فى الشهر .

وتصاعد نجم سيد درويش وتبلورت عبقريته ، وبلغت قدرته الموسيقية أنه كان فى وسعه أن يلحن خمس روايات فى شهر واحد .. وفى عام ١٩٢١ أنشأ فرقته الخاصة التى أخرج لها روايات (شهر زاد - البروكة - العشرة الطيبة) .

وتمتاز ألحان سيد درويش المسرحية بشعبيتها وسهولتها ، وقد كان فى ألحانه زاهداً عن التخت وسيطرته ، كما أدخل الهارمونى والكونترابنت فى الآلات .. وقد لحن فى ست سنوات بين عامى ١٩١٧ - ١٩٢٣ مايقرب من عشرين مسرحية تزيد ألحانها على المائتى لحن ، وكان أشهر هذه المسرحيات (فشر - قولوا له - أش - رن - العشرة الطيبة) لفرقة نجيب الريحانى ، و (مرحب - الهلال - أم ٤٤ - راحت عليك - البربرى فى الجيش - الانتخابات) لفرقة على الكسار ، (كلها يومين - كليو باترا) لفرقة منيرة المهدية .

أما بالنسبة للادوار والتواشيح والتى تعتبر معجزة فنية الى يومنا هذا ، فنذكر منها دور " أنا هويت وانتهيت " و " فى شرع مين " و " أنا عشقت " ، كما لحن مجموعة من الطقاطيق أهمها " زورونى كل سنة مرة " .

إن الميزة الاولى لألحان سيد درويش هو بساطتها وسرعة انتشارها بين الناس لانهم وجدوا فيها أنفسهم ، وقدرتها على التصوير والتعبير فى زمن لم تكن تعرف فيه موسيقانا ولا أغانينا إلا التطريب ، وقد حاول سيد درويش الانطلاق بالموسيقى العربية الى العالمية ، ففى رواية البروكة وهى تعريب لأوبريت (لاما سكوت) الفرنسية ، حاول سيد درويش وضع موسيقى عالمية يمكن أن يفهمها كل انسان فى أى بلد من البلاد وفى كليو باترا ومارك انطونيو حاول تجربة أسلوب الاوبرا ، ولكنه توقف عن العمل فجأة لانه لم يرض عن نفسه ، وقرر السفر الى ايطاليا لدراسة هذا الفن .

وفى يوم ١٥ سبتمبر ١٩٢٣ ، وعندما كان فى زيارة للاسكندرية تمهيدا للسفر الى ايطاليا مات سيد درويش فجاة فى بيت شقيقته بحى محرم بك ، ولم يسر فى جنازته اكثر من أفراد يعدون على أصابع اليدين ، وفى مدافن المنارة بالاسكندرية رقد الشاب الذى استطاع خلال حقبة قصيرة للغاية أن يصنع تاريخا مجيداً .. ولم يخلف من حطام الدنيا سوى بيتا صغيراً بجزيرة بدران وخاتماً من الماس ، وجهازاً لتسجيل الاسطوانات .. وعوداً .

أول دولة عربية وافريقية عرفت السينما

* * *

شاهد الجمهور أول عرض سينمائى فى العالم فى ١٨٩٥/١٢/٢٨ فى باريس ، وفى العام التالى عرض فى مصر أول عرض سينمائى وكان فيلماً مصنوعاً فى فرنسا ، ونتيجة للنجاح الذى تحقق من هذا العرض انتشرت صالات السينما فى القاهرة والاسكندرية وغيرها ، إلا أن الجمهور المصرى بدأ يمل مشاهدة المناظر الاجنبية التى ليس بينه وبينها أى رابط ، فما كان من أحد الاجانب المقيمين بالاسكندرية إلا أن أرسل فى طلب كاميرا وفنى من فرنسا ، وهكذا عرض فى عام ١٩١٢ " ميدان الاوبرا بالقاهرة " و " السائحون على ظهور الجمال عند اهرامات الجيزة " " وعودة الخديو من الاسكندرية " " وحركة المسافرين فى محطة سيدى جابر " .

وبعد ذلك بقليل فكر بعض الاجانب فى الاسكندرية فى إنتاج أفلام روائية قد تحقق لهم الربح ، وكان أن كون مصور فوتوغرافى إيطالى شركة مصرية إيطالية قام بتمويلها أحد المصارف الايطالية ، وأنتجت هذه الشركة " شرف البدوى " والزهور القاتلة " " ونحو الهاوية " ، وقد عرضت هذه الافلام فى احدى دور السينما بالاسكندرية عام ١٩١٨ وقد فشلت هذه الافلام فشلاً ذريعاً بسبب ضعف مواضيعها وعدم وجود أى رابط بين المناظر المختلفة إضافة الى أن الممثلين كانوا من الاجانب ، وتوالت بعد ذلك الافلام القصيرة وقد نجح بعضها وفشل البعض الآخر .

ثم بدأت محاولات محمد بيومى والذى يعد الرائد الاول بحق لصناعة السينما فى مصر ، فقد كان أول مصرى سافر الى المانيا فى ١٩١٩ لدراسة فن السينما والتصوير السينمائى ، وأول مصرى يؤسس استديو سينمائى ١٩٢٢ ، وأول مصرى وقف خلف الكاميرا ، وأنتج أول جريدة سينمائية هى " جريدة آمون " ١٩٢٣ ، وأول مصرى صور وأخرج فيلماً روائياً قصيراً " الباشكاتب " ١٩٢٤ ، وأول مصور سينمائى بشركة مصر للتمثيل والسينما احدى شركات بنك مصر ١٩٢٥ ، وأول مصرى يفتح معهداً لدراسة الجانب الصناعى لفن السينما ١٩٣٣ وجعل الدراسة فيه بالمجان .

ويمكن أن يقال أن صناعة السينما فى مصر لم ترسخ إلا فى عام ١٩٢٧ عندما أسست عزيزة أمير ممثلة المسرح مع وداد عرفى أول شركة سينما فوتوغرافية ، وكان

باكورة إنتاج هذه الشركة فيلم " ليلى " والذى أعتبر أول فيلم روائى مصرى أخرج بأيد مصرية وبأموال مصرية ، وقام بالتمثيل عزيزة أمير ووداد عرفى واستيفان روستى وأحمد جلال والراقصة المشهورة فى ذلك الوقت بمبة كشر وتكلف الفيلم حوالى ثلاثة آلاف جنيه ، وبدأ سيل الافلام المصرية يتدفق بعد ذلك ، وكان آخر الافلام المصرية الصامتة فيلم " زينب " عن قصة الدكتور محمد حسين هيكل ، وعرض هذا الفيلم عام ١٩٣٠ وحقق نجاحاً كبيراً .

أما أول فيلم مصرى ناطق فهو فيلم " أنشودة الفؤاد " الذى أنتجته " أفلام بهنا " وقد جمع هذا الفيلم نخبة من نجوم التمثيل فى مصر منهم المطربة نادرة والملحن زكريا أحمد وجورج أبيض ودولت أبيض وعبد الرحمن رشدى ، وألف أغانى الفيلم عباس محمود العقاد ، وتم تصويره فى باريس وعرض بالقاهرة عام ١٩٣٢ ، ولكن نجاحه كان متوسطاً ، وكان أن ترك إخوان بهنا الانتاج وألفوا أول شركة للتوزيع فى العالم العربى .

أما أول ستديو مصرى كامل المعدات فكان " ستديو مصرى " الذى افتتح فى أول اكتوبر عام ١٩٣٥ ، ثم تتابع إنشاء الاستديوهات فى القاهرة والاسكندرية ، ثم ظهرت الافلام الملونة فى مصر بعد الحرب العالمية الثانية ، وكانت فى البداية ترسل الى الخارج لتحمض ولكن المعامل مالبثت أن جهزت بكل أدوات تحميض الفيلم الملون .

رائد أدب الاطفال
فى العالم العربى

* * *

كان له خال كفيف يحكى له الحكايات أثناء الليل ، كما كان يعمل لديهم حـــوذى (عربجى) كان يحكى له الكثير من الحكايات المتعلقة بالسحر والخرافات ، وكان هناك شاعر شعبى من شعراء الربابة ينشد أقاصيص البطولة مثل أبو زيد الهلالى فكان يذهب اليه كل ليلة فى ميدان القلعة كما كانت تعمل لديهم مربية يونانية كانت تقص له أساطير اليونان ، فكان لسماعه كل هذا وامتلاء أذنه بها منذ الصغر أكبر الأثر فى إتجاهه الى القصة .

إنه كامل الكيلانى (١٨٩٧ - ١٩٥٩) صاحب أول مكتبة عربية للاطفال ، .. ولد بحى القلعة بالقاهرة ، وتلقى علومه الاولى فى الكتاب ، والتحق بمدرسة أم عباس عام ١٩٠٧ ، وانتقل منها الى مدرسة القاهرة الثانوية التى حصل منها على شهادة البكالوريا ، وعكف بعد ذلك على دراسة الشعر والادبين الانجليزى والفرنسى ، والتحق بالأزهر بعد انتسابه للجامعة المصرية ، واشتغل بالتدريس فى المدرسة التحضيرية ليعلم الانجليزية والفرنسية ، ثم نقل مدرساً فى مدرسة الاقباط الثانوية بدمنهور عام ١٩٢٠ ، ثم عمل فى وزارة الاوقاف عام ١٩٢٢ ، وكان أخر منصب تولاه هو سكرتير مجلس الاوقاف الاعلى ، كما عمل بالصحافة فاشتغل رئيسا لتحرير جريدة الرخاء عام ١٩٢٢ ، ورئيساً لنادى التمثيل الحديث عام ١٩١٨ ، وسكرتيرا لرابطة الادب العربى من ١٩٢٩ - ١٩٣٢ .

بدأ كامل الكيلانى حياته بأربعة أعمال كبرى : النقد الادبى وتأديب التاريخ والترجمة وتحقيق الأعمال الأدبية الكبرى ، فألف " ملوك الطوائف " و "مصارع الخلفاء" و " مصارع الاعيان " و " نظرات فى تاريخ الاسلام " ، وحقق " رسالة الغفران " ، وترجم الأدب الاندلسى ، وشرح ابن الرومى وابن زيدون ، وترجم روائع القصص الغربى .

ثم وجه كامل الكيلانى إهتمامه الى فن " أدب الطفل " فكان رائد قصة الطفـــل ،

وأخذ يعمل دائباً على تحقيق فكرة إنشاء مكتبة الاطفال حتى أنشأها فعلاً عام ١٩٢٩ ، ومازال يعمل حتى اكتمل له منها ألف قصة ، ولم يطبع منها فى حياته سوى مائتى قصة .

وقد بدأ كامل الكيلانى حياته شغوفاً بالمطالعة ، وكان يرى أن الكتب العربية مليئة بالعظة والارشاد وبعيدة عن فهمنا ، فى حين كانت الكتب الاجنبية جميلة ومزينة بالصور ، وموضوعاتها ميسرة .

وهكذا اتجهت نيته الى أن يحبب القراءة للاطفال بكل الوسائل من صور وحكايات مشوقة لتجنيبهم الخطأ اللفظي والخطأ المعنوى ، وحاول إعطاء الطفل كلمات عربية تقرب من العامية حتى تمتزج الكلمات الصحيحة بنفس الطفل ، وتتآلف له ملكة عربية لاتكلف فيها ولاصعوبة ، ومتى أصبح قادراً على التعبير الصحيح بلا عناء أحب لغته كما يحب الاجانب لغتهم .

وكان هدف الكيلانى من خلال قصصه أن يسرد مفردات الادب العربى كله ، وبذلك تصبح عادية عند الطفل ، حتى إذا انتهى منها يستطيع أن يقرأ ابن الرومى وابو العلاء والمتنبى بسهولة ، وإذا كانت قصص الكيلانى جسراً الى اللغة الفصحى فهى ايضاً جسر الى اللغات الاجنبية فقد نشر عدداً منها بشكل ثنائى ، اللغة العربية مع الانجليزية او الفرنسية او الألمانية او الاسبانية ، فعلمت النشء كيف يقرأ باللغات الاجنبية ، كما عرفت النشء فى البلاد الاجنبية بآدابنا ولغتنا ، كما قام الكيلانى بتعريف النشء بنماذج من الآداب الاجنبية كما فى سلسلة شكسبير أو القصص الهندى أو الامريكى .

كما نقل بعض الاغانى العالمية للعربية ، ووضع ٦٥ أغنية ، وترجم فصولا من أوبرا لاترا فياتا وكارمن .

عميد المسرح العربى

* * *

يوسف وهبى .. ولد فى ١٤ يوليو ١٨٩٨ على بحر يوسف بالفيوم ، ولهذا السبب اطلقوا عليه اسم (يوسف) وهو أصغر اشقائه جميعاً ، وكان والده عبد الله باشا وهبى من أشهر رجال الرى فى مصر ، وهو الذى حقق مشروع ترعة الفيوم التى حولت الصحراء الى أرض زراعية .

حصل يوسف وهبى على الابتدائية من مدرسة الناصرية والتحق بالمدرسة السعيدية ، ولكن الشكاوى تعددت من مشاغباته فألحقه والده بمدارس الجمعية الخيرية الاسلامية التى كان رئيساً لها ، وذلك لكى يكون تحت رقابته فى هذه المدارس .. وبعد حصوله على الكفاءة عام ١٩١٤ ذاع صيته فى إلقاء المنلوجات التى كان يلقيها فى حفلات النادى الاهلى ثم انضم لجمعية أنصار التمثيل ، وصمم والده على إبعاده عن القاهرة فألحقه بمدرسة مشتهر الزراعية .

لم يستسلم يوسف وهبى لمعارضة والده للتمثيل وقرر أن يسافر الى ايطاليا ليدرس التمثيل والمسرح والتحق بمعهد " فيلودراماتيكا ايتاليانا " وبرز بين زملائه وكان ترتيبه الاول دائما مما جعل أستاذه " كيانتونى " سيد المسرح الايطالى يأخذ بيده ويجعله مقرباً اليه .

ولما عاد لم يجد له عملا فقرر انشاء فرقة مسرحية خاصة به ، وكانت العقبة الاولى هى مواجهة الفرق المسرحية الاستعراضية والفكاهية ، فأعد ترتيبات خاصة ودعاية كبيرة واتفق مع عزيز عيد أن يكون مخرج الفرقة ، وشيد مسرح رمسيس ومكانه الآن مسرح الريحانى ، وعمل يوسف وهبى على هذا المسرح ٢٥ سنة ، وعلى هذا المسرح دوت شهرته ووصل بفرقته الى مركز الصدارة بين جميع مسارح القاهرة .

وفى ١٠ مارس ١٩٢٣ افتتح يوسف وهبى مسرح رمسيس بمسرحيته " المجنون " وكانت من تأليفه واستوحى فكرتها من زيارته لاكثر من مستشفى من مستشفيات الامراض العقلية فى الخارج .. ولم يتأثر يوسف وهبى فى تمثيله بأحد حتى استاذه الايطالى ولكنه خلق لنفسه طابعاً خاصاً فأخذ عن المسرح الايطالى حرارته وتحاشى

كثرة إشاراته ، وعن المسرح الفرنسي جمال الالقاء وتحاشي طريقة التنغيم ، وعن المسرح الانجليزى قلة الاشارات ودراستها مع استغلال تعبير الوجه اكثر من الايدى ، ولم يكد ينزل الستار بعد تقديم العرض فى الليلة الاولى لافتتاح مسرح رمسيس حتى انفجرت عاصفة من التصفيق استمرت عدة دقائق معلنة مولد نجم جديد .

وتوالى بعد ذلك نجاح فرقة رمسيس ، وبعد المجنون قدم (غادة الكاميليا) ثم أصبح يقدم رواية جديدة كل أسبوع ومعظمها مترجمات عالمية تاريخية وعصرية من جميع اللغات فشملت روائع شكسبير وموليير وابسن وادمون روستان وبرنشتين وسابانينى ..

وكان للفرقة لجنة ترجمة ، ثم بدأ يوسف وهبى فى استقلال المسرح العربى وتشجيع المسرحية المصرية واستعان بالعديد من المؤلفين ، كما ألف العديد من مسرحياته ، وقد عالجت هذه المسرحيات قضايا ومشاكل مختلفة ومنها " انتقام المهراجا " و " الاستعباد " و " الصحراء " و " أولاد الذوات " و " أولاد الفقراء " .

وفى أول ١٩٣٠ انشأ يوسف (مدينة رمسيس) ومكانها الآن " مدينة الاوقاف ومسرح البالون بالعجوزة " ، وقد كانت هذه المدينة ميدانا لسباق الكلاب شيدته شركة انجليزية ، واضطرت بعد خسائر فادحة الى اغلاقه ، وكان يوسف وهبى يتطلع فى ذلك الوقت الى تقديم مسرحياته فى الهواء الطلق ، فشيد فى هذه المدينة مسرحا ثم استديو صامت تحول بعد ذلك الى ناطق بمناسبة اتمام فيلم (اولاد الذوات) كما أسس أول دار سينما فى الهواء الطلق ، ونقل اليها محطة اذاعة مصر الملكية ، واتسعت رقعة مدينة رمسيس فأصبح فيها لونا بارك ومدينة رياضية ومسرح آخر مثلت على خشبته منيرة المهدية وفرقتها حتى حل محلها نجيب الريحانى وفرقته عندما أصيب بأزمة مالية ، واخيرا بنى فيها ملهى استعراضيا كبيرا .

وقد قدم يوسف وهبى (١٧٨) مسرحية منها (٥٨) مسرحية من تاليفه ، كما قدم (٣٥) فيلما سينمائيا ، وكان فيلم " ليلة ممطرة " أول افلامه السينمائية ، وحصل على العديد من الجوائز والالقاب الدولية منها الجائزة الاولى فى التمثيل المسرحى عـــــام

١٩٦٠ ، وميدالية " الباب الذهبية " عن دوره فى مسرحية " الكاردنيال " ، ووسام الاستحقاق الاكبر من المغرب ، والميدالية الذهبية من لندن ، وألقاب " كوماندا " من موسوليني و " جراند اوميسيه " من باى تونس كما حصل على جائزة الدولة التقديرية فى الفنون عام ١٩٧٠ ، وحصل على الدكتوراه الفخرية من الرئيس السادات .. توفى فى ١٧/ اكتوبر / ١٩٨٢ .

أعظم متحف للآثار المصرية في العالم

* * *

يعتبر المتحف المصرى بالقاهرة أهم وأغنى متحف للآثار المصرية فى العالم ، فمتاحف اللوفر والمتحف البريطاني وتورين وبرلين ومتر وبوليتان وشيكاغو على أهميتها لاتقاس مجموعاتها بمجموعات المتحف المصرى .

وترجع فكرة اقامة متحف يضم الآثار المصرية الى عهد محمد على ، فقد كان الاوربيون والمغامرون يأتون الى مصر ويجمعون مايجدونه من آثار لينقلوها الى بلادهم دون أن يتعرض لهم أحد ، فقد كانت هذه الكنوز متاحة للجميع دون أن يعرف قيمتها أحد سوى هؤلاء المغامرين ، ثم جاءت الحملة الفرنسية عام ١٧٩٨م ووضع علماؤها مجلداتهم الضخمة فى وصف مصر .. والغريب أنه اصبح مسموحاً بعد ذلك لقناصل الدول الاجنبية وممثليهم فى مصر الحفر لاستخراج الآثار بتصريح من السلطان نفسه ، ومن خلال هذه الفرمانات تكونت لدى هؤلاء القناصل مجموعات كبيره من الآثار أصبحت بعد ذلك نواة لمجموعات المتاحف الاوربية التى تضم آثاراً مصرية مثل اللوفر والمتحف البريطاني ومتحف برلين .

ولكن فى عهد محمد على أتخذت بعض الاجراءات للحد من تسرب الآثار المصرية الى الخارج ، وذلك بعد أن نصحه شامبليون بضرورة الحفاظ على آثارنا .. وبدأ محمد على فى إنشاء متحف لحفظ الآثار فى مبنى ملحق بالمدرسة المدنية بالازبكية .. وأشرف على هذه المجموعة " " لينان بك " الفرنسى الجنسية ويوسف ضياء افندى ، وبعد ذلك نقلت المجموعة بعد أن زادت الى احدى صالات وزارة المعارف بالقلعة إلا أن عباس باشا أهدى كل ماكانت تملكه الدولة من آثار الى الارشيدوق مكسميليان النمساوى الذى زار مصر عام ١٨٥٥ م .

وبعد سنتين أعلن لويس نابليون عن رغبته فى زيارة مصر فقرر سعيد أن يقدم له هدية اكبر من تلك التي قدمت للارشيدوق ، وكان ديلسبس وراء هذا القرار ووقع اختيار ديلسبس على عالم آثار شاب كان يعمل فى متحف اللوفر وهو " أوجسست مارييــت "

الذى شرع على الفور فى عمليات تنقيب واسعة وشاء القدر ألا يحضر لويس نابليون الى القاهرة الامر الذى أدى الى إنشاء مكان خاص بمجموعة الآثار المكتشفة فى هذه الاماكن .

وفى أول يوليو ١٨٥٨ صرح لماريت ببناء متحف للآثار المصرية فى بولاق مكان المكتب القديم لشركة الملاحة النهرية التى أغلقت أبوابها بعد عمل خط سكة حديد من القاهرة والاسكندرية ، وبدأ المتحف بـ ٤ صالات .. وفى عام ١٨٩٠ نقلت هذه الآثار من بولاق الى القصر القديم الخاص بالخديو اسماعيل ، وكان يقع مكان حديقة الحيوان والاورمان حاليا والذى عرف بعد ذلك باسم متحف الجيزة .. إلا أن التفكير فى بناء متحف للآثار المصرية ظل مستمراً حتى عام ١٨٩٧ عندما فاز المهندس الفرنسى (دورنون) بمسابقة لبناء المتحف الحالى الذى انشىء عام ١٩٠٠ وبدأ العرض بـ ٣٠ الف قطعة أثرية ، ثم استمر تطوره ليصبح اعظم متحف للآثار المصرية فى العالم على الاطلاق .

أم كلثوم
أسطورة تمشي على قدمين

* * *

" ماهفوت فى حق أم كلثوم إلا مرة واحدة حين قلت أن حنجرتها مسروقة من الحمائم الموصلية وكان الرأى أن اقول أن حمائم الموصل سرقت رخامة الصوت من الحنجرة الكلثومية " .. قال هذه العبارة د. زكى مبارك عن أم كلثوم عام ١٩٤٠ ، هذه المرأة الوحيدة التى استطاعت أن تجمع العرب فى لحظة واحدة فى الخميس الأول من كل شهر حتى قيل انه لو ركبت سيارة وانطلقت بها على امتداد الوطن العربى فانك تستطيع أن تستمع الى صوت ام كلثوم دون أن تحتاج الى مذياع فى السيارة .

ولدت فى طماى الزهايرة بالمنصورة عام ١٩٠٠ م ، وذهبت الى كتاب القرية ، وكان والدها ابراهيم البلتاجى ينشد القصائد الدينية والتواشيح ويصحبها معه وشيئا فشيئا قلدت أباها .. وذاع أمر الصوت الجميل حتى دعى والدها يوماً لاحياء ليلة فى بيت شيخ البلد وزميلة الكتاب عائشة ، وخافت أم كلثوم ، فلوح لها الاب بطبق " المهلبية " بعد أن تغنى فلم يعد هناك مجال للتردد ، وغنت بنت الثامنة والنصف وأطربت ، وكان الحفل الثانى فى بيت بعزبة مجاورة ، وتقاضت أول أجر عشرة قروش ارتفعت الى ٢٥ قرشا عندما غنت بعد ذلك فى بيت تاجر غلال فى مركز السنبلاوين ثم قفز الى جنيه كامل فى حفل أحيته فى بلدة أبو الشقوق .

وبدأت أم كلثوم تغنى وهى ترتدى العباءة والعقال .. وبدأت الرحلة من السفح وانتقل صيتها من القرية الى المركز الى المديرية الى المديريات المجاورة وطافت مصر طولا وعرضاً .

ووسط المشقة التقت بالشيخ ابو العلا محمد على رصيف محطة السنبلاوين ، واستمع اليها وبهرته ونصحها بالسفر الى القاهرة ، وبعد عامين جاءت الى القاهرة لتحى فرح كريمة جزار فى حى كوم الشيخ سلامة قرب العتبة الخضراء ، ثم جاءت فرصتها الكبيرة حيث دعيت للغناء فى سراى عز الدين يكن باشا فى حلوان ، ولكن منظرها لم يرق الباشا فأمر خدمه بحبسها فى البدروم بعيداً عن أنظار المدعوين ،

وظلت به حتى استسلمت للنعاس ، وأراد المدعوون أن يضحكوا على القروية التى جاءت من أعماق الريف فايقظوها من نومها ، وغنت وإذا بها تسيطر على القلوب والاسماع .

وبعد ذلك استأجر الشيخ ابراهيم غرفة فى فناء عمارة الدرى بشارع قولة بعابدين ولازمها الشيخ ابو العلا محمد ، وعن طريقه تعرفت على أحمد رامى الذى غنت له أكثر من ٢٥٠ أغنية .. وظلت أم كلثوم تغنى فى الحفلات الخاصة حتى عام ١٩٢٣ حينما أحيت أول حفل على المسرح وهى لاتزال ترتدى العباءة والعقال الذى لم تخلعه الا عام ١٩٢٧ ونجح الحفل نجاحا كبيرا ، وشنت منيرة المهدية عليها حملة شعواء ولكن ذهبت محاولاتها أدراج الرياح امام الاعصار القادم .

وكان صوت ام كلثوم أول لحن تفتتح به الاذاعة المصرية حفلاتها الخارجية .. وأصبحت مطربة مصر الاولى ، وكوكب الشرق وسيدة الغناء العربى .

وكانت السينما بانتظارها ، وفى عام ١٩٣٦ مثلت أول افلامها " وداد " وهو الفيلم الذى تقاضت عنه خمسة آلاف جنيه ، وهو رقم مذهل بمقياس ذلك الوقت ، ثم مثلت " نشيد الامل " ١٩٣٧ ، " دنانير " ١٩٤٠ ، " عايدة " ١٩٤٣ ، سلامة " ١٩٤٥ " ، ثم " فاطمة " ١٩٤٧ .

وجاءت الاربعينات لتحمل الحزن الى أم كلثوم .. مرض أصاب عينيها بسبب بكائها المتكرر على أمها ، وسافرت الى الولايات المتحدة واكتشفوا انها مصابة بالغدة الدرقية وكان لابد من إجراء جراحة فى مكان قريب من الحنجرة .. ونجحت العملية . ثم قامت الثورة وغنت ام كلثوم عدداً كبيراً من الاغانى الوطنية حتى أصبح نشيدها " والله زمان ياسلاحى " النشيد الوطنى لمصر .

وعندما وقعت هزيمة ١٩٦٧ قامت بجولة فى أنحاء العالم وخصصت دخلها للمجهود الحربى ، وكان الحفل الاول فى العاصمة الفرنسية باريس ، وغنت على خشبة مسرح أولمبيا أكبر مسارح باريس ، وتصدرت صفحات الصحف الفرنسية التى قارنتها بالمطربة الايطالية " ماريا كالاس " ، وغنت الاطلال التى أعادت بعض مقاطعها اكثر

من عشر مرات .. ثم بدأت رحلتها مرة اخرى الى السودان ثم فاس والرباط فى المغرب ثم الكويت ومنها الى تونس واستمرت رحلتها قرابة عام جمعت خلاله مليونى دولار ، ومنحتها السلطات المصرية جواز سفر دبلوماسى وحصلت على لقب سفيرة .

وظلت أم كلثوم تحى موسمها الفنانى حتى مساء الخميس ٧/ ديسمبر / ١٩٧٢ حيث كان اللقاء العاشر بينها وبين الموسيقار محمد عبد الوهاب فى اغنية ليلة حب .

تركت أم كلثوم ٧٠٠ أغنية لمعظم شعراء مصر والعالم العربى عبرت فيها عن صورة متكاملة من الحب ، ثروة شارك فيها ابو العلا محمد ٣٠ لحنا ، الشيخ زكريا أحمد ١٥٠ أغنية رياض السنباطى ٩٠ لحناً ، محمد القصبجى ٨٠ لحناً ، داود حسنى ٣٠ لحناً فضلا عن ألحان عبد الوهاب والموجى وكمال الطويل وبليغ حمدى وسيد مكاوى .. ولم يكن غريبا أن تطلق مصر أسم أم كلثوم على واحدة من أشهر اذاعاتها .

لم تكن أم كلثوم مجرد مطربة وانما كانت طرازاً فنيا فريدا فلا عجب أن قلدت قلادة النيل ووسام الاستحقاق وقلادة الجمهورية وجائزة الدولة التقديرية ولقب فنانة الشعب ، كما منحت وسام الارز من لبنان ، ووسام الاستحقاق من سوريا ، ووسام الجمهورية الاكبر من تونس ، ووسام نجمة الامتياز من باكستان .. ولا عجب فى أن تضعها صحيفة هيرالد تربيون العالمية فى المجلد الخاص بمناسبة مرور ١٠٠ عام على صدورها ضمن مشاهير العالم والقمم فى الفن .

وفى ٢٢ يناير ١٩٧٥ بدأت حالتها الصحية تتدهور ، وبعد اسبوع فاجأها نزيف فى المخ ، وصارع قلبها الموت ١٠٠ ساعة حتى توقف تماما بعد ظهر الاثنين ٣/فبراير / ١٩٧٥ ،، ليتوقف عصر طويل للطرب دام خمسين عاماً بعد أن نحتت نهراً من المشاعر يتدفق ويفيض داخل كل منا ..

أول بلد عربي وافريقى عرف كرة القدم

* * *

منذ أن اخترع المصريون القدماء شيئاً مستديراً يلهون به سارت كرة القدم مشواراً حتى نظم الانجليز أول بطولة لها عام ١٨٧٢ .. وكانت مصر هى أول بلد عربى وافريقى يعرف كرة القدم ، ومارسها فى البداية الانجليز الموجودين بمصر منذ ١٨٨٢ .. وفى عام ١٨٩٥ شكل محمد أفندى ناشد أول فريق يلعب باسم مصر ، والتقى هذا الفريق مع بعض المنتخبات الانجليزية وهزمهم رغم حداثة عهده بالكرة .

وفى عام ١٩٠٣ تأسس نادى السكة الحديد (فى بولاق) وهو أقدم الاندية المصرية إلا أن أول ناد مصرى يمارس كرة القدم ممارسة واسعة كان النادى الاهلى الذى تأسس عام ١٩٠٧ ومن بعده نادى المختلط عام ١٩١١ (الزمالك حاليا) .. وفى عام ١٩١٣ بدأت أولى مسابقات الكرة فى مصر وشاركت فيها الفرق الأجنبية الى جانب الفرق المحلية وفاز بها نادى (السكة) .. وفى عام ١٩١٦ تكون منتخب مصر من فرق الاندية والمدارس والتقى مع منتخب من الانجليز وفازت مصر ٢/٤ .. وفى ١١ سبتمبر ١٩١٦ أقيمت أول مسابقة على الكأس المهداة من السلطان حسين وبدأ بعض المصريين فى ذلك الوقت جهودهم من أجل تمصير لعبة كرة القدم وعزل الاجانب عنها .

وفى عام ١٩٢٠ شاركت مصر لأول مرة بفريق لكرة القدم فى الدورة الاولمبية التى أقيمت بانفرس ببلجيكا ، وكانت مصر هى أول بلد عربى وافريقى يشترك بفريق كرة القدم فى الاولمبياد ، وقد خرجت مصر من الدور الاول للبطولة حيث خسرت أمام المجر ١/٢ ، وكان نظام المسابقة يقضى بخروج المغلوب ، وقد فازت بلجيكا بالبطولة لانسحاب التشيك أمامها بسبب طرد أحد اللاعبين ، وغضب ملك بلجيكا لعدم إقامة مباراة نهائية تليق بالاولمبياد ، وتم اختيار منتخب مصر ليلعب مباراة ودية مع بلجيكا فى نهاية الدورة ، وحققت مصر المفاجأة وفازت على بلجيكا وسط دهشة العالم كله .

وفى ٣ ديسمبر ١٩٢١ تأسس الاتحاد المصرى لكرة القدم وكان أول اتحاد مصرى خالص ، وفى العام التالى تأسست أول لجنة حكام ، وفى عام ١٩٢٢ بدأت مسابقة

كأس مصر التى أطلق عليها فى ذلك الوقت كأس الأمير فاروق ، وقد فاز نادى المختلط (الزمالك) بأول مسابقة للكأس .

وفى عام ١٩٣٤ كان لمصر الشرف فى أن تكون أول دولة من خارج اوربا وامريكا تشترك فى كأس العالم بإيطاليا ، ولعب الفريق مباراة واحدة مع ايطاليا وخسرها ٤/٢ سجل خلالها عبد الرحمن فوزى مهاجم مصر هدفين اختير على أثرهما ضمن منتخب العالم الذى تشكل بعد البطولة ، ومضت ست وثلاثون عاما حتى ظهر ثانى منتخب عربى فى نهائيات كأس العالم وهو الفريق المغربى عام ١٩٧٠ بالمكسيك .

وفى عام ١٩٤٨ قرر الاتحاد المصرى إقامة أول مسابقة للدورى العام بمشاركة (١١) ناديا هى : الاهلى وفاروق (الزمالك) والترسانة والاسماعيلى والمصرى والاتحاد والاوليمبى والسكه الحديد واليونان والترام وبور فؤاد ، وفاز النادى الاهلى بها .

وقد شاركت مصر فى الدورات الاوليمبية ٩ مرات : فى دورة انفرس ١٩٢٠ - باريس ١٩٢٤ - امستردام ١٩٢٨ - برلين ١٩٣٦ - لندن ١٩٤٨ - هلسنكى ١٩٥٢ - روما ١٩٦٠ - طوكيو ١٩٦٤ - موسكو ١٩٨٠ - لوس انجلوس ١٩٨٤ .. وقد اعتذرت مصر عن دوره موسكو احتجاجا على عدوان الاتحاد السوفيتى على افغانستان .. وقد فاز الفريق المصرى لكرة القدم بالمركز الرابع فى دورتى امستردام ٢٨ وطوكيو ٦٤ .

وبالنسبة لبطولة كأس الامم الافريقية فاز المنتخب المصرى بها ثلاث مرات ٥٧ بالسودان و٥٩ بمصر ، و٨٦ بمصر ، وكان أول أهداف بطولة الامم الافريقية للاعب رافت عطية لاعب مصر امام السودان فى الدقيقة (٢١) من اولى مباريات بطولة ٥٧ .

وتعد مصر اكثر دولة افريقية اشتركت فى نهائيات كأس افريقيا حيث لعبت ١١ مرة .. وقد فاز عدة لاعبين بلقب هداف البطولة : الديبة (٥) أهداف بطولة ٥٧ - الجوهرى (٣) أهداف بطولة ٥٩ - بدوى عبد الفتاح (٣) أهداف بطولة ٦٢ - الشاذلى (٦) أهداف بطولة ٦٣ - طاهر ابو زيد (٤) أهداف بطولة ٨٤ - جمال عبد الحميد (٣) أهداف بطولة ٨٨ .

وعلى مستوى الاندية فازت الاندية المصرية بعشرة كئوس .. ففى بطولة الاندية ابطال الدورى التى بدأت عام ٦٤ فاز بها ، الاسماعيلى ٦٩ - الاهلى ٨٢ - الزمالك ٨٤ - الزمالك ٨٦ - الاهلى ٨٧ ، وفى بطولة افريقيا للاندية ابطال الكأس التى بدأت عام ٧٥ فاز بها ، المقاولون العرب ٨٢ - المقاولون العرب ٨٣ - الاهلى ٨٤ - الاهلى ٨٥ - الاهلى ٨٦ واحتفظ بالكأس الى الابد .

وقد فاز فريق الزمالك بالكأس الافرو آسيوية الثانية للاندية الابطال بعد تغلبه على نادى فوروكاوا اليابانى بطل آسيا ٢/صفر عام ٨٨ وكان أول نادى عربى وافريقى يحصل على هذه البطولة .

كما فاز منتخب مصر لكرة القدم بالميدالية الذهبية فى دورة الالعاب الافريقية فى نيروبى عام ٨٧ .

وكان محمود الخطيب نجم النادى الاهلى والمنتخب القومى أول لاعب مصرى يحصل على الكرة الذهبية التى تقدمها مجلة (فرانس فوتبول) الاسبوعية الفرنسية لأحسن لاعب افريقى سنويا ، وكان ذلك عام ٨٣ ، كما اختير الخطيب عام ٨٧ ضمن منتخب العالم للاشتراك فى مباراة خيرية بفرنسا مع أفضل نجوم العالم ولكن إعتزاله فى نهاية هذا العام حال دون مشاركته .. ومما يذكر أن الخطيب يعد الهداف الاول على مستوى قارة افريقيا فى البطولات الافريقية حيث سجل (٣٧) هدفا .

وكان على قنديل هو أول حكم مصرى يشترك فى إدارة مباريات نهائيات كأس العالم لكرة القدم وذلك عامى ٦٦ ، ٧٠ .

الرجل الذى قاد تمصير الطب

* * *

على باشا ابراهيم (١٨٨٠ - ١٩٤٦) ولد فى الاسكندرية ، وكان والده رجلاً عصامياً يرجع أصله الى قرية مطوبس بكفر الشيخ .. تلقى على ابراهيم تعليمه الابتدائى فى مدرسة رأس التين الاميرية ، وحصل على المركز الاول فى الشهادة الابتدائية ١٨٩٢ ، ثم التحق بالقسم الداخلى من المدرسة الخديوية بالقاهرة ، وحصل على المركز الثانى فى البكالوريا ، ثم التحق بمدرسة الطب وتخرج عام ١٩٠١ وكان الأول على دفعته ، وتدرب على يد الدكتور سيمرس أستاذ علمى الامراض والميكروبات .

وفى عام ١٩٠٣ أجرى عملية حصوة فى المثانة بطريقة التفتيت ، ليبدأ نجمه بعدها فى الصعود فى بنى سويف ومصر الوسطى ، وفى عام ١٩٠٤ انتدبته مصلحة الصحة لبحث وباء انتشر فى قرية " صيفا " وتوصل الى أنه الحمى الفحمية وأنها انتقلت الى الفلاحات عن طريق أقراص الروث الجاف ، ونشر نتائج أول أبحاثه فى مجلة الجيش الملكى .

ثم أثبت إمكان انتقال العدوى الى جروح العمليات بواسطة الهواء ، وكانت نتيجة غريبة فى مثل هذا الوقت ، ونشر هذا البحث فى بعض المجلات الطبية الانجليزية ، وترتب عليه إنشاء غرف مغلقه للعمليات الجراحية فى جميع المستشفيات . وفى أسيوط إستن نظام الممرضات .. وقام باجراء عملية استئصال الطحال المتضخم عام ١٩٠٧ وتزداد قيمة هذه العملية إذا علمنا أن أول عملية من مثل هذا النوع أجريت بنجاح فى قصر العينى عام ١٩١١ وقام بها أحد الأطباء الاجانب ، وفى عام ١٩١٣ منح رتبة البكوية .

وفى الحرب العالميه الاولى تولى أمر مستشفى جراحى أسسته جمعية الهلال الاحمر ، ثم بدأ معركته فى سبيل استقلال الطب ، وحاول إنشاء نقابة للاطباء ولكن عدم تعاون الاطباء الاجانب مع الاطباء المصريين حال دون ذلك حيث كان لهم جمعية خاصة بهم .

وفى عام ١٩١٧ أصدر بالاشتراك مع زملائه المصريين المجلة الطبية المصرية ، ونشرت له أول بحوثه الطبية فى اللغة العربية ، وكان بحثاً عن " بلهارسيا الحالب " أجراه بالاشتراك مع د. أنيس انسى .

وفى عام ١٩٢٠ شارك فى إنشاء الجمعية الطبية المصرية ، وتولى رئاستها عام ١٩٢٥ وحتى وفاته .. ثم أنشأ مبنى لها هو " دار الحكمة " بشارع قصر العينى التى وضع حجر الاساس لها عام ١٩٣٦ ، وتولى المهندس مصطفى بك فهمى الاشراف على البناء حتى خرجت آية من آيات العمارة الاسلامية ، واختير لها هذا الاسم تيمناً باسم المعهد الطبى الذى انشأه الخليفة المأمون فى بغداد والفاطميون فى مصر فى عصور الاسلام المزدهرة ، وقد أصبحت مقر نقابة الاطباء فيما بعد .

وفى عام ١٩١٨ تولى على ابراهيم إدارة قصر العينى ، ولما انتهت الحرب أنعم عليه بوسام الإمبراطورية البريطانية لبراعة أدائه .. وقد كافح على ابراهيم من أجل تمصير التعليم الطبى حتى استطاع أن ينتزع للمصريين ست وظائف رئيسية فى أقسام المستشفى ، وفى عام ١٩٢٤ أختير لشغل وظيفة أستاذ الجراحة وكان أول مصرى يشغل هذا المنصب .. ثم اختير عام ١٩٢٦ وكيلا لكلية الطب عقب قيام الجامعة المصرية ، وفى عام ١٩٢٩ تولى عمادة الكلية ليكون أول مصرى يشغل هذا المنصب ، وقد شغل هذا المنصب حتى عام ١٩٤٠ ، وكان أبرز انجازاته خلال هذه الفترة تمصير هيئة التدريس بكلية الطب .

ولانزاع من أن كلية طب قصر العينى كلها من إنشاء على ابراهيم ذلك الرجل الذى وضع لاحيائها برنامجاً محكماً ونظاماً دقيقاً ، وكان أول ماعنى به أن ينشىء مستشفى حديثاً يتسع لألفى سرير ، وقد وضع الملك فؤاد حجر الاساس فى عام ١٩٢٨ فى الاحتفال بالعيد المئوى لمدرسة طب قصر العينى ، وتولى على ابراهيم أمر المستشفى الذى كان ينقصه كل شىء المال والرجال والمعدات ، ولكن طبيعته ساعدته على تحقيق هدفه وانشأ ذلك الصرح التعليمى الضخم .. ثم جهز معامل الكلية ومتاحفها ، وأنشأ مستوى رفيع للدراسات العليا ، ولم يترك على ابراهيم عمادة الكلية إلا بعد أن نهض بها الى مكانة مرموقة على المستوى الدولى ، وأصبحت كلمة " قصر العينى " مفتاحا سحريا لكثير من الابواب الطبية العالمية .

وفى هذه الاثناء لم يأل على ابراهيم جهداً فى النهوض بكليتى طب الاسنان والصيدلة ، كما شارك بفاعلية فى مشروع القرش عام ١٩٣١ ، ومشروع القرى الذى كان هدفه إنتشال القرية المصرية من بؤسها بنشر التعليم والتعاليم الصحية والاجتماعية والزراعية والاقتصادية ، وقد استطاع هذا المشروع أن يمحو فى عامه الأول فقط أمية أربعين ألفا من أهل الريف ..

وفى عام ١٩٣٠ حصل على رتبه الباشوية ، واختير رئيساً للمجمع المصرى للثقافة العلمية ، وفى عام ١٩٣٦ أختير رئيسا لجمعية الهلال الاحمر واستطاع أن ينشىء مستشفى جراحة العظام التابع لها فى شارع رمسيس والذى احتل مكانة مرموقة بين المستشفيات التخصصية فى العالم .

كما أشرف على بناء مستشفى العجوزة وتجهيزه حتى صار على تلك الصورة من الشموخ على نيل القاهرة ، وفى ١٩٣٣ استطاع أن يحصل على موافقة الملك فؤاد على إنشاء الاتحاد الملكى للجمعيات الطبية ، وكان أهم أغراضه إنشاء رابطة تضامن علمية وادبية بين الجمعيات الطبية المصرية ، وتولى رئاسة هذا الاتحاد الذى كان الخطوة الاولى من أجل إنشاء نقابة الاطباء ، التى انشأها فيما بعد وانتخب أول نقيب لها .. وفى عام ١٩٤٠ حين انشىء إتحاد المهن الطبية انتخب على ابراهيم أول رئيس لهذا الاتحاد الذى ضم الاطباء البشريين والاطباء البيطريين وأطباء الاسنان والصيادلة .

وفى ١٩٤٠/٦/٢٧ عين وزيرا للصحة، واستمر بهذا المنصب ١٣ شهراً ، ولكن فى هذه الفتره الوجيزة نظم الوزراة وقسمها الى مصالح متكاملة .. وفى عهده صدر الدستور المصرى للأدوية ، ودفع بمشروع إنشاء شركة مصر للمستحضرات الطبية حتى خرج الى حيز التنفيذ .

وقد حرصت كثير من الجمعيات الدولية أن تضم على باشا ابراهيم عضواً بها إعترافا بمكانته ، فقد كان عضوا بارزاً فى المجمع العلمى المصرى ، والجمعية الطبية البريطانية ، وجمعية طب المناطق الحارة وصحتها بلندن ، والمعهد الملكى للصحة العامة بلندن ، ولجنة التأليف الالمانية للجراحة ببرلين ، وكان مراسلا لأكاديمية الجراحة بباريس .

وقد أختير في مجمع اللغة العربية عام ١٩٤٠ ، واهتم فيه بتعريب المصطلحات الطبية ، وفي عام ١٩٤١ أختير مديرا لجامعة القاهرة التي قضى أحد عشر عاما من عمره يجمع بين وكالتها وعمادة الطب بها .. ولم يكد يتولى على ابراهيم رئاسة الجامعة حتى عمل على أن ينشيء من خلالها جامعة الاسكندرية .

وقد حظى على باشا ابراهيم بتقدير الشرق والغرب ، ففي عام ١٩٨٠ منح الرئيس السادات اسم الجراح الكبير قلادة الجمهورية ، وفي عام ١٩٣٩ منحته بريطانيا أعظم مايمنح لاجنبي وهو نيشان الامبراطورية البريطانية لقب فارس (سير) ومنحته كلية الجراحين الملكية زمالتها الشرفية وهي الدرجة التي لاتمنح إلا لعدد محدود جداً من أميز أعضائها وخريجيها .

أول حزب في مصر

* * *

الحزب الوطني الذى انشىء فى اجتماع شعبى بمسرح زيزينيا بالاسكندرية مساء الثلاثاء ٢٢/ أكتوبر/١٩٠٧ برئاسة مصطفى كامل ثم خلفه محمد فريد عام ١٩٠٨ ، وقاد الحزب التيار الرئيسى للحركة الوطنية حتى بداية الحرب العالمية الاولى .. ويعد أول تنظيم حزبى حقيقى فى مصر ..

ويتحفظ البعض فى اطلاق كلمة حزب بالمعنى العلمى - بمعنى أنه أداة الوصول الى الحكم والاحتفاظ بالسلطة السياسية بناء على برنامج سياسى معين - على الحزب الوطنى الذى تأسس عام ١٨٧٩ بزعامة احمد عرابى ، والذى يشار اليه عادة على أنه أول حزب فى مصر حيث انه كان فى حقيقة الامر أقرب مايكون الى جبهة وطنية ذات أهداف عامة ، وافتقدت التنظيم اللازم للاستمرار الحزبى ، كما أن حزبى الامة والاصلاح على المبادىء الدستورية اللذان تأسسا عام ١٩٠٧ لم يتوفر لهما شروط الحزب ، فالاول تكون حول مجموعة محدودة من المثقفين وكبار ملاك الارض ، ولم يكن له وجود تنظيمى أو ثقل جماهيرى ، والثانى ارتبط بشخص مؤسسه الشيخ على يوسف وانتهى بوفاته دون أن يكون له وجود حقيقى سياسى او تنظيمى .

وهناك خلاف حول السبب الذى دفع مصطفى كامل الى إعلان الحزب ، فهناك من يرى أن ذلك يرجع الى شعوره بإعتلال صحته ودنو أجله ، ويرى آخرون أن السبب هو تكوين حزب الامة فى سبتمبر وإدراكه خطورة الاحزاب التى لاتمثل الشعب وانما تدور فى ركاب الاحتلال والسراى ، ويرى البعض أن السبب يكمن فى بلوغ الحركة الوطنية درجة من النضج والتبلور استوعبت قيام الحزب كتنظيم علنى .

وجدير بالذكر أن مصطفى كامل كان متردداً فى إنشاء الحزب خوفاً من تفتيت وحدة الشعب ، فكان يرى أن مصر لم تكن تحتاج الى تنظيمات حزبية وتبدو حاجتها الى الوحدة وايقاظ الوعى الوطنى .

وقد انطلق فكر مصطفى كامل ومجموعة الحزب الوطنى من ضرورة جلاء الانجليز

عن مصر ، ومن ثم فان الاستقلال هو هدف مصر الاول ، وضرورة إيجاد حكومة دستورية في البلاد بحيث تكون الهيئة الحاكمة مسئولة امام مجلس نيابي تام السلطة كمجالس النواب في اوربا .

وقد اتسم الحزب بديمقراطية تنظيمية واضحة فكان هناك هيكل حزبي على اساس ديمقراطي ، ورفض مصطفى كامل أن يقوم بتعيين اللجنة الادارية للحزب ، وترك ذلك للجمعية العمومية ، وقد اعتمد على اساليب الاعلام والصحافة وعرض قضية مصر على الرأى العام الدولي ، وتهيئة وإنعاش الرأى العام الداخلي ، وأصدر صحفاً باللغة العربية والانجليزية والفرنسية ، وقام مصطفى كامل ومن بعده محمد فريد بزيارات مستمرة للدول الاوربية لتأليب الرأى العام الاوربي ضد انجلترا ، وحرك الطلبة المصريين في أوربا حول مبادىء الحزب .. وقد اهتم برنامج الحزب بالمشكلة الاجتماعية فنص على ضرورة نشر التعليم حتى يعم الطبقات الفقيرة ، وحث الاغنياء على تأسيس الجامعات وإرسال البعثات الى اوربا ، وانشاء دراسات ليلية للعمال وتنمية الزراعة والصناعة والتجارة حتى تحصل البلاد على استقلالها الاقتصادى .. واهتم الحزب بتنظيم العمال بالذات تحت تاثير محمد فريد الذى كان مطلعاً على الفكر النقابي الاوربي وعلى معرفة بالنشاطات النقابية في العالم ، فانشأ نقابة الصنائع اليدوية ، وأنشئت نقابات أخرى في الاسكندرية والمنصورة وطنطا ، كما انشأ مدارس الشعب لتعليم العمال .

وقاد الحزب الكفاح الوطني حتى ثورة ١٩١٩ رافعاً شعارات الاستقلال التام لمصر ، ووحدة مصر والسودان ولامفاوضات مع انجلترا قبل الجلاء ، ولكن نفوذه بدأ في التضاؤل ، ويرجع ذلك الى عدة أسباب من اهمها ظهور الوفد كبديل ، كما قدم سعد زغلول طريقاً اكثر واقعية ، وأقنع المصريين بعدم جدوى شعار لامفاوضة إلا بعد الجلاء ، وبينما اعتمد الحزب الوطني على المتعلمين في القاهرة والاسكندرية ، انتشر الوفد بين كل فئات الشعب وفي الاقاليم .

بالاضافة الى الشخصية التاريخية لسعد زغلول في الوقت الذى افتقد فيه الحزب الوطني شخصياته القيادية بوفاة مصطفى كامل ، ووجود محمد فريد في الخارج ،

واتبعت السلطات الانجليزية سياسة اضطهاد وقمع تجاه قادته مما ادى الى استقالة عدد كبير منهم من الحزب أو الابتعاد عن النشاط السياسى ، وتدهورت اوضاعه المالية حتى أن أمتعة نادى الحزب بيعت بالمزاد العلنى فى مايو ١٩١٣ وفاءاً للديون المطلوبة عن ايجار المبنى ، كذلك فان فترة الحرب العالمية الاولى واعلان حالة الطوارىء التى كانت فاصلا حجب الحزب عن الرأى العام ، وتغير الظروف الدولية التى نشأ وتطور الحزب الوطنى فى ظلها ففرنسا أصبحت حليفة لبريطانيا ، والدولة العثمانية هزمت فى الحرب ، ونتيجة لكل هذه العوامل تضاءل نفوذ الحزب ليعمل محله حزب الوفد .

النبيل الثائر

* * *

ولد محمد فريد فى ١٨٦٨/١/٩ فى أحد قصور السيدة زينب ، وكان أبوه أحمد فريد باشا ناظر الدائرة السنية عام ١٨٨٦ ، وما أن بلغ الطفل السابعة من عمره حتى أدخله أبوه مدرسة خليل أغا ليتعلم القراءة والكتابة ، ثم نقل الى مدرسة الفرير ليدرس اللغة الفرنسية ، ثم التحق بالمدرسة التجهيزية ثم دخل مدرسة الالسن ثم مدرسة الحقوق ونال شهادتها عام ١٨٨٧ .

وعين بقلم قضايا الدائرة السنية ، وتدرج فى وظائف القضاء حتى أصبح وكيل نيابة محكمة الاستئناف الأهلية ، وابتداء من عام ١٨٨٧ بدأ يكتب المقالات ، وكان يوقع بالحرفين الاولين من اسمه لان والده أبى عليه الاشتغال بالصحافة خوفاً من أن يعرضه لغضب السلطة فى ذلك الوقت .

وعندما قدم الشيخ على يوسف صاحب جريدة المؤيد للمحاكمة فى إحدى القضايا ، كان محمد فريد وكيلا للنيابة ، وصدرت منه أثناء الجلسة عبارات عدتها الحكومة ماسة بها ، فأمرت بنقله الى الصعيد ، إلا انه آثر الاستقالة عام ١٨٩٧ ، واشتغل بالمحاماة مع محمود ابو النصر ، واصدر بالاشتراك محمد احمد حافظ عوض ومحمود ابو النصر مجلة علمية نصف شهرية اسمها " الموسوعات " عام ١٨٩٨ .

وكان محمد فريد قد اتصل بمصطفى كامل منذ عام ١٨٩٣ ، وصار سنده الأكبر فى بعث الحركة الوطنية ، واختاره مصطفى كامل وكيلاً للحزب الوطنى فى أول جمعية عمومية له عام ١٩٠٧ ، ولما توفى مصطفى كامل فى فبراير ١٩٠٨ تولى محمد فريد زعامة الحزب الوطنى ، وفى هذه الفترة كان الوهن قد بدأ يدب فى جريدتى الحزب الوطنى الفرنسية والانجليزية ، ذلك أن الاسلوب العنيف الذى كانتا تخاطبان به الانجليز أدى الى أن نفر منهما القراء الاجانب ، كما أن الشركات - وكان معظمها أجنبياً - امتنعت عن إمدادهما بالاعلانات فهبط الدخل والتوزيع وتم إغلاقهما عام ١٩٠٩ .. ولم يبق للحزب سوى صحيفة اللواء التى سرعان مانشبت الخلافات حولها مع بعض ورثة مصطفى كامل على ملكيتها ، مما دفع محمد فريد الى إنشاء جريدة

العلم عام ١٩١٠ ، وحقق نجاحا كبيراً مما دفع الحكومة الى إصدار قرار بعد ثلاثة عشر يوماً من صدورها بتعطيلها شهرين لانها خرجت عن حد الاعتدال ، ودفع ذلك محمد فريد الى إصدار جرائد " الاعتدال " و " الشعب " و " العدل " حتى انتهت مدة التعطيل .

ومن الجدير بالذكر أن الانجليز حاولوا عام ١٩٠٩ التقدم بمشروع لمحاولة مد امتياز شركة قناة السويس ٤٠ عاما من ١٩٦٩ الى ٢٠٠٩ ولكن محمد فريد أثار الرأى العام ضده حتى تم إحباطه .

وفى ١٩١٠/٦/١٦ أصدرت الحكومة قانوناً ينص على إحالة جرائم النشر الى محاكم الجنايات بدلا من محاكم الجنح وكان الغرض ردع الصحفيين وأصحاب الآراء الحرة ، وبمقتضى هذا القانون الجديد قدم محمد فريد الى المحاكمة فى قضية ديوان " وطنيتى " للشيخ على القاياتى وحوكم عام ١٩١١ لكتابته مقدمه الديوان وحكم عليه بالحبس ستة اشهر قضاها فى سجن الاستئناف بباب الخلق .

وقد رأى محمد فريد ضرورة استناد الحزب الوطنى الى قاعدة عريضة ومنظمة من اكثر الفئات الاجتماعية ثورية وهى العمال والفلاحون والمثقفون فعمل على تنظيم هذه الفئات وربطها بالحزب الوطنى ، فانشأ للعمال أول نقابة وهى " نقابة الصنائع اليدوية " ببولاق ، والتى تعد أكبر تنظيم عمالى فى مصر فى الفترة السابقة على الحرب العالمية الاولى ، وبلغ حجم عضويتها عام ١٩١٢ نحو أربعة آلاف عضواً وكان لها فروع فى الاقاليم ، وكان نادى النقابة بالسبتية من أنشط مراكز النشاط العمالى ، وانشأ للفلاحين النقابات الزراعية (التعاونيات) وللمثقفين انشأ نادى المدارس العليا للطلبة والخريجين ، ومدارس الشعب لتعليم العمال ، وبدأت هذه المدارس نشاطها فى أواخر عام ١٩٠٨ ، وكان أولها مدرسة الشعب ببولاق (نوفمبر ١٩٠٨) ثم انتشرت فى أحياء ومدن أخرى ، وكان برنامج هذه المدارس يتناول مواد القراءة والكتابة والدين والصحة وتربية الطفل وقوانين الشئون الاجتماعية والحساب وتاريخ مصر وجغرافيتها والتاريخ الاسلامى والاخلاق والآداب ، ولكن عوامل عديدة وقفت امام هذا الحلم ، وعندما جاءت الحرب العالمية الاولى قررت بريطانيا إغلاق نقابة الصنائع اليدوية ومدارس الشعب .

وفى عام ١٩١٢ شعر محمد فريد باشتداد وطأه اضطهاد الحكومة له ، وفى ٢٢ مارس من هذا العام ألقى خطبة نادى فيها بمتابعة السير فى مشروع إنشاء جامعة مصرية ، وضرورة تشكيل النقابات العمالية ومطالبة الحكومة بشد أزر حركة التعاون ، وأن عدم إلتفات الحكومة الى ترقية شأن العامل والفلاح مرجعه الاحتلال الذى يريد أن تبقى هذه الطبقات كقطيع الغنم ، وختم خطابه بالمطالبة بالدستور ، ولم يكد يمضى يومان حتى استدعى للنيابة بتهمة التحريض على كراهية ومحاولة قلب نظام الحكم .

كانت نية الاحتلال قد اتجهت الى شل حركته نهائيا ، ولم يعد أمامه من سبيل إلا الهجرة من وطنه ، فغادر مصر الى الاستانة ثم الى فرنسا فانجلترا فسويسرا ، وصدر عليه حكم غيابى بالحبس سنة مع الشغل .. وواصل كفاحه على صفحات الصحف الاجنبية وعقد المؤتمرات لشرح القضية المصرية .

وكان قد عقد مؤتمر الشبيبة المصرية فى جنيف عام ١٩٠٩ ، ودعا الى حضوره أغلب الزعماء البارزين فى الحركة الاشتراكية الاوربية ، وبحث المؤتمر المشكلات المصرية ، وفى العام الثانى حاول أن يعقد مؤتمرا آخر فى باريس ليكشف للعالم حقيقة السياسة البريطانية فى مصر، لكن الحكومة الفرنسية مجاملة منها لانجلترا منعت عقد المؤتمر فعقده فى بروكسل وكان من أعظم المؤتمرات التى عقدها الوطنيون بالخارج ، وفى عام ١٩١٠ حضر جلسات المؤتمر الثامن عشر لأنصار السلام فى استوكهلم ونجح فى جعل المسألة المصرية من المسائل الاساسية فى جدول أعمال المؤتمر للسنة التالية ، وفى عام ١٩١٢ حضر مؤتمر السلام بجنيف حيث قرر الاعضاء اعتبار احتلال الانجليز لمصر عملا غير مشروع .

وفى المنفى أسس محمد فريد فى جنيف جمعية " ترقى الاسلام " وأصدر لها مجلة باللغة الفرنسية عام ١٩١٣ ، كما حاول أن ينشىء جريدة أسبوعية فرنسية تحمل اسم " ايكو دى ليجبت " أى " صدى مصر " ولكن بعد صدور العددين الاول والثانى أوقفتهما الحكومة السويسرية بدعوى انها تعكر صفو الحياد الذى تقفه سويسرا .

ومرت سنوات النفى ، وبدأ يعانى من ضيق ذات اليد وعرفت الازمات المالية طريقها اليه بعد أن باع كل املاكه وأراضيه وانفق ثمنها فى سبيل قضية بلاده حتى نفدت

نقوده ، وبعدها بدأت قسوة الحياة وجوع المنفى واعتلت صحته وهو فى برلين حيث عاش أيامه الاخيرة ، فى حجرة عارية محرومة من وسائل التدفئة ، وكان يقف فى طابور المترددين على " مطاعم الشعب " شبه المجانية ، وقد اثارت هذه المعلومات شماتة الخديو عندما سمعها ولم يكن يعرف أنه سيشرب من نفس الكأس وينفى بأمر الانجليز أثناء الحرب العالمية الاولى .

ولم يتحمل محمد فريد هذه الحياة القاسية التى لاتتناسب مع سنه فأشتد عليه المرض ، ونصحه طبيبه بالعدول عن سياسته ، وبالاتفاق مع الانجليز على اساس الحماية حتى يتمكن من العودة الى مصر لانه كان فى حاجة الى دفء مناخها لكى يشفى من داء الكبد ، ولكن محمد فريد رفض ، وفى ١٥ نوفمبر ١٩١٩ فاضت روحه فى برلين ، ولم تنقل وفاته الى أرض الوطن الا فى ٩/ يونيو/١٩٢٠ ، على نفقة أحد المصريين هو الحاج خليل عفيفى .

مصر صاحبة فكرة أهم البطولات الافريقية والعربية

* * *

كانت مصر هى أول دولة عربية وافريقية تتقدم لعضوية اللجنة الاولمبية الدولية عام ١٩١٠ ، وأول دولة من خارج أوروبا وأمريكا تشترك فى الدورات الاولمبية منذ عام ١٩١٢ ، ثم أنها كانت الدولة الرائدة فى الدعوة لانشاء دورة ألعاب دول البحر الابيض المتوسط عام ١٩٤٩ واقامة أول دورة فى مدينة الاسكندرية عام ١٩٥١ ، كما أن مصر كانت هى الدولة الرائدة فى الدعوة لانشاء دورة ألعاب الدول الافريقية ، وأول دورة ألعاب للدول العربية فى الاسكندرية عام ١٩٥٣ ، وأول بطولة لكأس الامم الافريقية فى كرة القدم بالخرطوم عام ١٩٥٧ .

وقد تشكلت أول لجنة اولمبية مصرية عام ١٩١٠ برئاسة الامير عمر طوسون وبادرت فى الاشتراك باللجنة الاولمبية الدولية لتكون الدولة رقم ١٤ فى قائمة الدول المشتركة وأول دولة عربية وافريقية ، وقد عينت مصر سكرتيراً عاما للجنة الاولمبية المصرية وهو (انجلو بولاناكى) وهو شاب رياضى يونانى الجنسية لكنه مصرى المولد والاقامة وكان رياضيا متفوقاً أحرز عدة بطولات فى مسابقات العدو وظل يشغل هذا المنصب طوال ٢٤ عاما حتى عام ١٩٣٤ .

وفى عام ١٩٣٤ حدث تطور كبير فى مسيرة الرياضة المصرية بانشاء اللجنة الاهلية للرياضة البدنية لتنظيم الرياضة فى مصر تبعاً للانظمة الحديثة ، وكذلك حدث تطور كبير بأن طالبت مصر بتنظيم اللجنة الاولمبية المصرية واستجابت اللجنة الاولمبية الدولية واختارت محمد طاهر باشا ليكون ممثلا لها فى مصر .

وكانت فكرة إقامة دورة ألعاب البحر المتوسط مصرية ، وكان صاحبها محمد طاهر باشا عضو اللجنة الاولمبية الدولية وممثلها فى مصر ، وقد عرضت فكرته على اللجنة الاولمبية فى مؤتمرها الذى عقد فى مدينة روما فى شهر ابريل ، وصدرت الموافقة بأن تتولى مصر تنظيم أول دورة رياضية للدول المطلة على البحر الابيض المتوسط فى مدينة الاسكندرية فى شهر اغسطس ١٩٥١ ، وقد وجهت اللجنة دعوتها واستجابت لها عشر دول هى :

أسبانيا / مالطة / ايطاليا / تركيا / اليونان / يوغو سلافيا / لبنان / سوريا / موناكو / فرنسا ، وذلك الى جانب مصر الدولة المنظمة .

وقد أقيمت أول دورة فى الاسكندرية من ٥ الى ٢٠ اكتوبر ١٩٥١ وتضمنت ١٣ لعبة رياضية هى : ألعاب القوى / كرة القدم / كرة السلة / السلاح / الهوكى / التجديف / الجمباز / السباحة / الملاكمة / المصارعة / الرماية / الفروسية / رفع الاثقال .

وكانت شارة دورة البحر الابيض المتوسط تشمل منظراً لمنارة الاسكندرية تعلوها علامة الالعاب الاوليمبية وتقرر اقامتها كل ٤ سنوات .

كما كانت مصر هى صاحبة الدعوة الى إقامة دورة الالعاب الافريقية ، وقد وافقت اللجنة الاوليمبية الدولية على هذه المبادرة من جانب مصر وقررت فى اجتماعها عام ١٩٢٧ إقامة أول دورة افريقية فى مدينة الاسكندرية ، وكان هذا دافعاً لانشاء استاد الاسكندرية عام ١٩٢٩ ، ولكن لم يتحقق تنفيذ دورات رياضية افريقية الا بعد ٣٥ عاما عندما قرر المجلس الاعلى للرياضة فى افريقيا إقامة أول دورة افريقية فى مدينة برازفيل عاصمة الكونغو عام ١٩٦٥ واشتركت فيها ٢٨ دولة افريقية وحصلت فيها مصر على المركز الاول بـ (١٨) ميدالية ذهبية و (١٠) فضية و (٣) برونزية .

وقد صممت ميدالية الالعاب الافريقية لتحمل صورة المصارع المصرى العظيم بطل العالم ابراهيم مصطفى باعتباره أول مصرى وافريقى يحصل على أول ميدالية ذهبية فى المصارعة فى الالعاب الاوليمبية التى أقيمت فى امستردام عاصمة هولندا عام ١٩٢٨ .

وكانت مصر أيضاً هى صاحبة الدعوة لاقامة دورة رياضية للدول العربية حتى صدر قرار مجلس جامعة الدول العربية فى اجتماعه يوم ٩/ابريل / ١٩٥٣ باقامة دورة ألعاب رياضية اقليمية على غرار الدورات الاوليمبية كل ٤ سنوات لدول الجامعة العربية ، وقد اقيمت أول دورة فى شهر يوليو ١٩٥٣ بملاعب ستاد الاسكندرية وأشتركت فيها .. مصر / فلسطين / الاردن / الجزائر / العراق / الكويت / سوريا / لبنان / ليبيا .

كما كانت مصر هى صاحبة الدعوة لاقامة مسابقة كأس الامم الافريقية فى كرة القدم التى أقيمت أولى مسابقاتها فى الخرطوم فى فبراير ١٩٥٧ واشتركت فيها ثلاث دول هى مصر والسودان واثيوبيا وفازت بها مصر .

أول رواية عربية

* * *

تعتبر رواية " زينب " التى كتبها المصرى الدكتور محمد حسين هيكل أول رواية طويلة يكتبها أديب عربى ، وقد نشرها فى الصحف المصرية عام ١٩١١ بامضاء " فلاح مصرى " ، وكانت من أولى الروايات التى تم إخراجها للسينما وعرضت على الشاشة عام ١٩٢٧ .. وقد كتبها فى باريس اثناء إعداده رسالة الدكتوراة فى القانون .

وتصور رواية " زينب " شاباً متعلماً من الريف من أسرة ثرية أحب إبنة عم له ، غير أنه لم يستطع التعبير عن هذا الحب بسبب العادات والتقاليد ، وفى أحد الايام فوجىء بزواجها من شخص آخر ، وحطمته المفاجأة ودفعته لأن يحب فتاة ريفية ساذجة تسمى " زينب " غير أنها كانت فى منزلة متواضعة لاترتقى الى منزلة أسرته ، فمنحت حبها لشخص فى مستواها الاجتماعى ثم اضطرت الى الزواج ، وتؤدى الظروف ببطل القصة الى الذهاب للسودان ليعمل فى الخدمة العسكرية ، وتقع زينب أسيرة لمرض أودى بحياتها .

وتتميز القصة بأسلوب رقيق ووصف رائع للحياة فى الريف ، وهى تنتقد التقاليد التى تسيطر على الحياة الريفية التى تدفع بطل القصة الى أن يحاول تحطيم هذه القيود البالية التى تقيد حركته .

ولد محمد حسين هيكل فى كفر غنام بمركز السنبلاوين بالدقهلية عام ١٨٨٨ م ، وتخرج فى مدرسة الحقوق عام ١٩٠٩ ثم سافر الى باريس فحصل على درجة الدكتوراة فى الاقتصاد السياسى عام ١٩١٢ ثم عمل فى الصحافة ثم أستاذاً للحقوق فرئيسا لتحرير جريدة " السياسة " فوزيراً للمعارف فالشئون الاجتماعية فرئيساً لمجلس الشيوخ .

ومن أعمال هيكل كتاب " جان جاك روسو " الذى صدر عام ١٩٢٣ ، وكان هيكل مغرماً " بروسو " لسببين هما طريقته فى التفكير التى تكاد تكون شرقية وشخصيته الفكرية التى خلدته .. ونشر هيكل عام ١٩٢٥ " فى أوقات الفراغ " وهى مجموعة

رسائل أدبية تاريخية أخلاقية فلسفية .. ثم أخرج كتاب " عشرة أيام فى السودان " وسجل فيه رحلته الى هناك وأزال الشبهات عن هذا البلد حيث كان يظنه بعض الناس أرضاً جرداء لاتصلح للحياة ولايمكن أن تكون إلا منفى لمن غضب عليه فى مصر ، ومنهم من كان يظنه مكاناً لايصلح لزراعة أو صناعة او تجارة ، فأزال هيكل بكتابه كثيراً من الشبهات عن السودان وسكانه .

ثم وضع كتابه " تراجم شرقية وعربية " ثم كتاب " ولدى " و" ثورة فى الادب " ثم كتب عدة دراسات تاريخية عن محمد صلى الله عليه وسلم وابى بكر الصديق وعمر بن الخطاب ثم كتاب " مذكرات فى السياسة المصرية " ثم قصة " هكذا خلقت " .

وتوفى محمد حسين هيكل فى ٨ ديسمبر ١٩٥٦ .

أول دولة تشترك فى الاولمبياد
من خارج اوربا وامريكا

* * *

كانت مصر هى أول دولة من خارج اوربا وامريكا تشترك فى الاولمبياد .. وكان أحمد حسنين لاعب السلاح هو أول لاعب يمثل مصر وذلك عام ١٩١٢ فى أولمبياد إستوكهلم بالسويد ، عندما سافر على نفقته الخاصة وقام بجميع المهام كلاعب وإدارى ورئيس بعثة .

وقد رأس احمد حسنين أول بعثة أولمبية كاملة فى دورة انفرس الاولمبية ببلجيكا عام ١٩٢٠ واشترك فى لقاءات السلاح وكان قد تولى منصب رئيس الديوان الملكى ، واشتركت مصر وقتها فى ست (٦) ألعاب هى كرة القدم وألعاب القوى ومثلها لاعبان والجمباز لاعبان ايضاً والسلاح ورفع الاثقال والمصارعة الرومانية وفى كل منها مثل مصر لاعب واحد فقط ، وفيما يلى لوحة الشرف التى تتضمن أشهر الميداليات التى حصلت عليها مصر فى الدورات الاولمبية :

فى دورة باريس ١٩٢٤ حصل ابراهيم مصطفى على المركز الرابع فى المصارعة الرومانية لوزن الثقيل وهو أول مركز شرفى تحصل عليه مصر فى الاولمبياد ، وحصل عليه ايضا الرباع المصرى حامد سامى فى وزن خفيف الثقيل فى رفع الاثقال .

وفى دورة امستردام عام ١٩٢٨ حصل السيد نصير على أول ميدالية لمصر فى الاولمبياد وهى الميدالية الذهبية فى رفع الاثقال .. وفاز ابراهيم مصطفى بالميدالية الذهبية فى وزن الثقيل فى المصارعة الرومانية .. كما فاز فريد سميكة بالميدالية الفضية فى القفز من السلم الثابت والبرونزية فى السلم المتحرك وذلك فى مسابقة الغطس ، والغريب أن حكام الغطس اعلنوا النتيجة بفوز سميكة بالميدالية الذهبية فى البطولة ثم عدلوا قرارهم ليعطوا الذهبية لأحد لاعبى هولندا والفضية لسميكة .

فى دورة برلين ١٩٣٦ فازت مصر فى رفع الاثقال بذهبيتين وفضية وبرونزيتين ، فاز بالذهبية خضر التونى (المتوسط) بمجموعة ٣٩٢٫٥ كجم (رقم اوليمبى وعالمى وقتها) أنور احمد (الخفيف) بمجموعة ٣٤٢٫٥ كجم (رقم اوليمبى وقتها) والفضية

صالح سليمان (الريشة) والبرونزية وصيف ابراهيم (خفيف الثقيل) وابراهيم شمس (الريشة) .

فى دورة لندن ١٩٤٨ حقق المصريون فى رفع الاثقال ميداليتين ذهبيتين وفضية واحدة ، وفاز بالذهبية محمود فياض (الريشة) وابراهيم شمس (الخفيف) وفاز بالفضية عطية ابراهيم (الخفيف) .

وفى المصارعة فاز محمود حسن بالميدالية الفضية فى وزن الديك (مصارعة رومانية) وابراهيم عرابى بالميدالية البرونزية فى وزن الثقيل (مصارعة رومانية) .

وفى دورة هلسنكى ١٩٥٢ حصل عبد العال راشد على الميدالية البرونزية فى وزن الريشة (مصارعة رومانية) .

وفى دورة روما ١٩٦٠ حصل عيد عثمان على الميدالية الفضية فى وزن الذبابة (مصارعة رومانية) وحصل عبد المنعم الجندى على البرونزية فى وزن الذبابة فى الملاكمة .

وفى دورة لوس انجلوس ١٩٨٤ حصل محمد رشوان على الفضية فى الوزن المفتوح (جودو) وكان بإمكانه الحصول على الميدالية الذهبية لو أنه استغل إصابة منافسه اليابانى ياماشتا فى قدمه ولكن أخلاقه الرياضية أبت عليه استغلال هذا الموقف .

عميد الأدب العربى
يحصل على أول دكتوراة مصرية

* * *

ولد عام ١٨٨٩ فى قرية عزبة الكيلو مركز مغاغة بالمنيا ، وفقد بصره وهو فى الثالثة من عمره بعد أن أصابه مرض فيهما ، وحددت الصدمة مستقبله فلم يبعث به أبوه الى المدرسة ، بل عزم على أن يدخله الكتاب حتى يصير شيخاً من حفظة القرآن الكريم ، وقد يسعده الحظ فيرسل به الى الازهر الشريف .. ولم يكد طه حسين يكمل التاسعة من عمره حتى أتم حفظ القرآن الكريم كله .. وفى عام ١٩٠٢ ذهب ليدرس فى الأزهر وكان قد بلغ من عمره الثالثة عشرة ، وظل به حتى التاسعة عشرة ، وفى هذه السنوات التقى بشيوخ مختلفين منهم من جمدوا على القديم ووقفوا عنده ، ومنهم من مالوا الى التجديد والتطوير ، فسخط أشد السخط على الجامدين المتحجرين ورضى كل الرضا عن الفريق الثانى ، وكان من اساتذته الشيخ محمد مصطفى المراغى والامام محمد عبده .

وأفاد الازهر طه حسين كثيرا ففيه تلقى علومه الاسلامية ، وفى رحابه تكونت أصول ثقافته العربية القديمة ، وما كان يمكنه أن يكون طه حسين الذى عرفته دنيا الادب والفكر لو درس الثقافة الحديثة وحدها .. وفى عام ١٩٠٨ وعندما أنشئت الجامعة الاهلية سارع الى الالتحاق بها ، ودفع جنيها رسم التحاق بالقسم المسائى قدمه له صديقه أحمد حسن الزيات .

وبدأ طه حسين ينتزع بعض الوقت من الدراسة ليوافى الصحف ببعض المقالات ، وبدأ مشاركة الحياة الادبية والاجتماعية من حوله ، وبدأ تعلم اللغة الفرنسية ، وفتحت له الجامعة الابواب لدراسة الثقافة العصرية المتطورة ودراسة التراث العربى الاصيل ، وقد سجلت له هذه السنوات نجاحاً فى دراسته داخل قاعات الجامعة ، وقد توج هذا النشاط برسالة قدمها للجامعة فى ١٩١٤/٥/١٥ بعنوان " تجديد ذكرى أبى العلاء " ونال بها درجة الدكتوراة ، وكانت أول دكتوراه تمنحها جامعة مصرية ، واعتزازاً من الجامعة بابنها النابغة قررت فى ١٩١٤/٨/٢ أن يسافر فى بعثة الى فرنسا على نفقتها .

ولم تلبث الحرب العالمية الاولى أن شبت فتقرر أن يكون سفره الى مونبلييه بدلا من باريس التى تهددها الحرب ، وأمضى هناك عاما تمكن فيه من اللغة الفرنسية ، ودرس الادب والتاريخ وعلم النفس ، وفجأة استدعته الجامعة الى مصر لعجز ألم بمواردها المالية ، وحين عاد أخذ يكتب المقالات دفاعا عن بعثته ، وتدارك الامر الامير أحمد فؤاد وأنقذ الجامعة من عجزها المالى ، وعاد طه حسين الى فرنسا والى باريس هذه المرة . وهناك تزوج " سوزان بريسو " فى ١٩١٨/٨/٩ وكانت ذات أثر كبير فى حياته فقد وقفت الى جانبه ، وكانت خير قارىء تنقل له كنوز اللغة الفرنسية نقلا واعياً متذوقاً ، وكانت تسجل له مايمليه عليها ، واعانته على دراسته حتى حصل على الدكتوراه فى " الفلسفة الاجتماعية عند ابن خلدون " عام ١٩١٨ ثم حصل على دبلوم الدراسات العليا عن رسالة تتصل بالقانون المدنى .

وعاد طه حسين الى مصر عام ١٩١٩ ، وعين أستاذاً للادب العربى ، ومضى يشق طريقه بين هيئة التدريس بالجامعة ، وفى تلك السنة ظهر له كتابان " الظاهره الدينية عند اليونـــان " " وتطور الآلهة وأثرها فى المدينة " ولم يكن يمضى عام دون أن يظهر له كتاب مؤلف أو مترجم وقد عمل طه حسين على أن يغير الادب العربى فى فكره وألوانه وأسلوبه ، ثار على الشعر والشعراء فى عصره لانه وجد أكثر مايقولون شعر مناسبات ، وشعراً باليا يقلد القدماء ويسرق منهم الفكرة والصورة والعبارة ، كما ثار على الكتابة والكتاب ورأى أنهم يتحركون فى دائرة ضيقة محدودة خالية من الاشكال الفنية الصحيحة للنثر الحديث كالمقالة والقصة والمسرحية ، وأنهم مع ضيق هذه الدائرة يملئون نثرهم بالزخارف الخداعة .. وأحدثت آراؤه ضجة كبيرة فى ميدان الشعر والنثر ، وقاومه الكثيرون ، أما هو فلم يكتف بذلك بل عرض نماذج لهم من الاشكال الفنية الصحيحة فاخرج كتابا بعنوان " صحف مختارة من الشعر التمثيلى عند اليونان " وأخرج عام ١٩٢٤ كتابا بعنوان " قصص تمثيلية لجماعة من أشهر الكتاب الفرنسيين " وفى عام ١٩٢٥ ظهر المجلد الاول من أحاديث الاربعاء التى كانت تنشرها له صحيفة السياسة عن الشعراء المجددين فى العصر العباسى ، وظهر المجلد الثانى عام ١٩٢٦ .

وفى عام ١٩٢٦ أيضا ظهر له كتاب " الأدب الجاهلى " الذى كان كالزلزال ، زعزع ما استقر فى النفوس من حقائق عن ذلك الادب ، وثار الكثيرون ، وحـول الكتاب الـى

النيابة ، وتقرر منع نشره ، ولكن طه حسين احتال حتى اعاد نشره بعنوان " فى الأدب الجاهلى " .

واختير طه حسين عميدا لكلية الآداب ، وعرض الامر على وزير المعارف ، ولم يكن من الحزب الذى يناصره طه حسين ، فأبى أن يوافق على إختيار الجامعة له ، وطلب اليه ان يستقيل من العمادة ، فأصر طه حسين على أن يعتمد الوزير تعيينه اولا ثم يستقيل بعد ذلك ، وقبل الوزير واعتمد التعيين واستقبال طه حسين من العمادة بعد يوم واحد ، وتولاها عميد فرنسى .

وفى عام ١٩٢٩ ظهر الجزء الاول من " الايام " يحكى فيه قصة طفولته ونشأته ، وفى عام ١٩٣١ انتهت مدة العميد الفرنسى ، فاعادت الكلية انتخاب طه حسين عميدا لها ، ولكن حدث أن حلمى عيسى وزير المعارف ساومه على ان يكون رئيس التحرير لجريدة هذه الوزارة ، فأبى حتى لايخالف مبدأه السياسى فاضمرها الوزير فى نفسه ثم عاد فطلب اليه منح بعض السياسيين درجة الدكتوراة الفخرية فرفض ، فقام الوزير بنقله الى وزارة المعارف ، وقامت مظاهرة ضخمة ضد القرار ، ولم يجد اسماعيل صدقى رئيس الوزراء إلا ان يعزله .

ظل طه حسين خارج الوظيفة أربع سنوات ، وظل يعمل أديباً ومؤرخاً للادب وناقداً ، وكان من الكتب التى ظهرت له فى التاريخ الاسلامى " على هامش السيرة " وفى القصة الاجتماعية " دعاء الكروان " وفى السياسة " من بعيد " وفى التراجم " أديب " و " مع ابى العلاء فى سجنه " وفى التاريخ الادبى "الحياه الادبية فى جزيرة العرب " .

وفى عام ١٩٣٦ عاد مره أخرى عميدا لكلية الآداب ، ولقبه الادباء عميد الادب العربى لانه رائد نهضته التى بعثته بعثاً جديدا " .

وفى عام ١٩٤٢ أختير مستشاراً للمعارف ، وندب مديرا لجامعة الاسكندرية ثم أختير وزيرا للمعارف بين سنتى ١٩٥٠ / ١٩٥٢ ، وهو لم يدخل ميدان التربية على غير خبرة ، ففى عام ١٩٢١ نقل الى العربية كتاب " روح التربية " لجوستاف لوبون ،

وفى عام ١٩٣٨ ألف كتاب " مستقبل الثقافة فى مصر " وهو صاحب نظرية الماء والهواء فى التعليم ، وقد شهدت مصر على يديه نهضة قوية فى نشر التعليم ونقله الى أعماق الريف وتمكين الفقراء منه .

وخلال هذا المشوار استمر انتاجه فوضع روايات أحلام شهر زاد ، شجره البؤس ، جنة الشوك ، المعذبون فى الارض ، جنة الحيوان ، كما كتب الشيخان ابو بكر وعمر ، وعثمان ، وعلى وبنوه .. ترجمت بعض أعماله الى الفرنسية والانجليزية والعبرية والروسية والفارسية والصينية وغيرها ، وقد انتخب طه حسين رئيسا لمجمع الخالدين خلفا لأحمد لطفى السيد ، وفى ديسمبر ١٩٦٥ منحه الرئيس عبد الناصر أرفع أوسمة مصر " قلادة النيل " وتوفى عام ١٩٧٣ .

قصة اللاجئين السياسيين إلى مصر

* * *

منذ سنوات طويلة فتحت مصر أبوابها للاجئين السياسيين ، ففي عصر السلطان حسين كامل عرفت القاهرة وجوه الروس البيض الذين دفعتهم ثورة ١٩١٧ البلشفية في روسيا الى الفرار الى أرجاء شتى من هذا العالم وأطلق عليهم الروس البيض تمييزاً لهم عن الروس الحمر الموالين للثورة .. وفي شارع عماد الدين أسس الروس البيض منتدى اجتماعيا لهم ، وفي عام ١٩٤٦ أعادت القاهرة فتح أبوابها لعدد من الشباب اليوغسلاف الذين كان الخلاف السياسي قد احتدم بينهم وبين عصبة الشيوعيين اليوغوسلاف وهو التنظيم السياسي الذى كان الزعيم تيتو قد شارك في تأسيسه .

وفي ٣٠ نوفمبر ١٩٣١ وافق ملك مصر فؤاد الاول على المعاهدة التي وقعت بين مصر والعراق بشأن تسليم المجرمين ، ونصت المادة السادسة على ألا يسمح بالتسليم من أجل جريمة سياسية .

وقد نص الدستور المصرى في مادته ٥٣ صراحة على حقوق اللاجئين وحظر تسليمهم ومقاومة الاضطهاد ، وانضمت مصر الى اتفاقية الامم المتحدة الخاصة باللاجئين عام ١٩٨١ ، واتفاقية ١٩٨٤ .

وكان الشاه " محمد رضا بهلوى " شاه ايران الاخير من أشهر من لجأ الى مصر سياسيا حيث لم يجد أمامه بعد قيام الثورة في إيران سوى ملاجيء مؤقتة ومستشفيات متوسطة المستوى في جزر البهاما والمكسيك بعد اكتشاف إصابته بالسرطان ، ورفضت المكسيك عودته اليها ثانية بعد خروجه منها الى نيويورك ، ورفضت بريطانيا وسويسرا السماح له بدخول أراضيهما ، ولم تجب فرنسا على طلبه بمنحه تأشيرة دخول أراضيها ، وكانت اسوأ لحظات حياته عندما علم أنه كان مادة لمفاوضات تهدف الى تحقيق قدر معقول من تطبيع العلاقات بين ايران والولايات المتحدة ، فاستضافته مصر لاجئاً سياسياً حتى توفي .

وكان أطفال " بياتريس لومومبا " زعيم ثورة الكونغو - الذى لقى مصرعه على يد

رجال تشومبى - هم أصغر لاجئين سياسيين وطأت أقدامهم أرض مصر ، وكان أكبرهم لايتجاوز التاسعة من عمره ، وقد وصلوا الى القاهرة برفقة أحد الزعماء الكونغوليين البارزين ووزير التربية والتعليم فى حكومة لومومبا الثورية .

وقد استضافت مصر سياسياً معظم زعماء كينيا المعروفين مثل اوجنجا اودنجا ، ونجالا ، وتوم مبويا ، وجيمس جيشور وجوزيف مورمبى ، كما لجأ اليها د. فيلكس مومييه زعيم حزب اتحاد شعب الكاميرون ، ومحمود حربى السياسى الصومالى وجيبوبكارى زعيم حزب سوابا فى النيجر ، ولاجئون يمثلون اتحاد شعب الكاميرون ، وحزب المؤتمر الوطنى الافريقى وحزب البان افريكان من جنوب افريقيا والحركة الشعبية لتحرير انجولا وجبهة تحرير موزمبيق وحزبى " زابو " " وزانو " من زيمبابوى .. وفى نهاية الخمسينات وبداية الستينات كان فى مصر لاجئون سياسيون من : كينيا / الجزائر / الكاميرون / الكونغو / انجولا / موزمبيق / غينيا بيساو / جنوب افريقيا / ناميبيا / جزر القمر / كومورو / نيجيريا / اويتريا التى كان من لاجئيها " ولد أب ولد ماريام " الذى نجا من سبع محاولات إغتيال دبرها له هيلا سلاسى مما جعل منه أسطورة فى اريتريا .

وقد كانت مصر المصدر الوحيد لتسليح وتدريب أغلب حركات التحرير الافريقية .

وعلى الصعيد العربى كان من أشهر اللاجئين السياسيين الى مصر الملك سعود أشهر لاجىء سعودى يختار مصر ملاذا له بالرغم من الخلاف المصرى السعودى الحاد أنذاك .. والملك الليبى السنوسى أشهر اللاجئين الليبيين الى القاهرة وجاء اليها بعد ثورة الفاتح .. والرئيس السودانى جعفر النميرى .. والسعودى " ناصر السعيد " زعيم تنظيم اتحاد شعوب شبه الجزيرة العربية .. كما لجأ عدد كبير من السياسيين اليمنيين الى القاهرة .

وفى عام ١٩٦٣ استضافت القاهرة خمسة وزراء من سوريا هم وزراء حكومة الوحدة الذين عارضوا الانفصال بالاضافة الى مدير البرامج الثقافية بتليفزيون دمشق ومدير اذاعة حلب .

وهكذا ظلت مصر الملاذ الوحيد والكريم لمن ضاقت عليهم الارض بما رحبت .

الكنز الذى أصر أن يظل مصرياً !!

* * *

" سأجعل العلاج بالذرة كالعلاج بالاسبرين " قالتها ذات يوم مصرية عاشت عمرها الذى لم يتجاوز ٣٥ عاما فى سلسلة تفوق إعجازى مستمر .. اجتمع مجلس الوزراء من أجلها خصيصاً لتعين فى الجامعة .. وكانت المصرية الوحيدة التى زارت المعامل السرية فى أمريكا .. وفقدت حياتها القصيرة فى حادث غامض .. إنها المعجزة المصرية د. سميرة موسى .

ولدت فى ٣ مارس ١٩١٧ بقرية سنمبو الكبرى مركز زفتى بمحافظة الغربية ، وعندما بلغت السادسة من عمرها التحقت بكتاب القرية ، وبقيت به حتى حفظت القرآن الكريم .. وبدأت رحلة النبوغ عندما مات سعد زغلول ، وأراد أبناء القرية قراءة ماكتب عنه فى الصحف ، وقيل أن سميرة تستطيع أن تقرأ ماكتب ، واذا بها تقرأ الجريدة كاملة دون أن تخطىء فى كلمة واحدة ، وفى اليوم التالى طلب منها المدرس أن تقرأ لزميلاتها ماكتب عن سعد زغلول ، وإذا بها قد حفظت ماكتب بالجريدة عن ظهر قلب وبالحرف الواحد .

وألح الجميع على والدها أن يذهب بها الى مدارس القاهرة .. وما كان منه إلا أن استخار الله وباع بضعة أفدنة كان يمتلكها ، وجاء الى القاهرة واشترى بثمنها لوكاندة فى حى الحسين ، وألحق ابنته بمدرسة قصر الشوق الابتدائية ، وكان أن نجح المشروع التجارى مما أغراه باقامة لوكاندة اخرى هى لوكاندة " وادى النيل " بميدان العتبة .

ومن البداية احتفظت سميرة بالمرتبة الاولى حتى حصلت على شهادة إتمام الدراسة الابتدائية ، وبعد ذلك التحقت بمدرسة بنات الاشراف بالعباسية ، وكانت ناظرتها نبوية موسى أول ناظرة مصرية ، وهنا ألفت لزميلاتها كتاباً فى الجبر للصف الاول الثانوى كتب على غلافه " الجبر الحديث " - الجزء الاول - لطلبة السنة الاولى الثانوية - تأليف سميرة موسى - الطبعة الاولى عام ١٩٣٢ - حقوق الطبع محفوظه للمؤلفة " .. وهنا تكررت قصة التفوق المتواصل فقد كانت تجرى مسابقات بين المدارس

وكانت سميرة موسى محتكرة المركز الاول على بنات القطر المصرى طوال السنوات الاربع حتى حصلت على شهادة الثقافة العامة .

وكان عليها فى البكالوريا أن تختار الشعبة التى تتخصص فيها ، واختارت شعبة العلوم ، ولكنها اكتشفت أن مدرسة بنات الاشراف لاتوجد بها معامل ، وأرادت أن تنتقل الى مدرسة الاميرة فوزية ، إلا أن نبوية موسى رفضت أن تنقلها واشترت لها معملا لتحتفظ لمدرستها بتلميذتها النابغة ، وبقيت سميرة لتتوج رحلتها بالحصول على المركز الاول للسنة الخامسة ولتكون الاولى على القطر المصرى .

وقررت سميرة أن تلتحق بكلية العلوم ، فهى الكلية التى تتيح لها فرصة التجربة فى المعامل وكان عميد الكلية فى ذلك الوقت هو د. مصطفى مشرفه باشا ، واستطاعت سميرة أن تحصل على بكالوريوس العلوم عام ١٩٣٩ بامتياز مع مرتبة الشرف .. واعترضت الجامعة ووزير المعارف على تعيينها معيدة ، حيث لم يكن قد تقرر بعد تعيين المرأة فى هيئة التدريس ، واتخذ د. مشرفه موقفا حاسما بين تعيينها أو استقالته وذلك لاقتناعه بها ، واجتمع مجلس الوزراء خصيصاً واتخذ قرارا بأحقيتها فى ذلك الموقع العلمى .

وقد أرادت الجامعة إرسالها فى بعثة للحصول على الماجستير ، ولكن ظروف الحرب العالمية الثانية منعتها من السفر ، ولم تيأس وحصلت على الماجستير من مصر بتقدير امتياز فى موضوع " التوصيل الحرارى خلال الغازات وتكييف الهواء " .. ثم سافرت الى لندن للحصول على درجة الدكتوراة .. كانت مدة البعثة ثلاث سنوات ، وكانت المفاجأة حين حصلت على الدكتوراة فى عام ونصف ، وكانت أول عربية تحصل على الدكتوراة فى الاشعة السينية وتأثيرها على المواد المختلفة ، وقد شهد لها اساتذتها بالنبوغ والعبقرية وأطلقوا عليها لقـــــب " مس كورى المصرية " تشبيها لها بالعالمة المشهورة مدام كورى التى اكتشفت الراديوم .

ولأن المنحة كانت تتيح لها بقاء باقى الثلاث سنوات فى انجلترا ، فقد اشتغلت هذه الفترة فى دراسة الذرة ، وظلت تفكر فى أهمية استخدامها فى الاغراض السلمية بحيث تكون سلاحا للتقدم الانسانى وقد تأكد لديها هذا الاتجاه بعد أن مرضت والدتها بالداء الخبيث ، فتركزت كل أبحاثها من أجل استخدام الذرة فى العلاج .

وكانت الدكتورة سميرة موسى قد أصبحت ذات شهرة واسعة فى الاوساط العلمية الدولية وكانوا يعتبرونها التلميذة النابغة للعالم الكبير د. مصطفى مشرفه الذى كان واحداً من خمسة علماء فى العالم كله فهموا نظرية النسبية لأينشتين ، واستطاع أن يستوعب مفرداتها بما يتيح له أن يحقق نتائج فى هذا المجال الهام .

وعينت د. سميرة موسى بكلية دار العلوم بقسم الطبيعة ، وفى عام ١٩٥١ بلغتها دعوة للسفر الى الولايات المتحدة الامريكية ، وحصلت على منحة فولبرايت لدراسة الذرة بجامعة كاليفورنيا ، وهى أشهر الجامعات التى عنيت بدراسة الذرة فى ذلك الوقت ، واستطاعت أن تحصل على نتائج أذهلت الاوساط العلمية فى أمريكا وأوربا .

وكانت د. سميرة موسى هى المصرية الوحيدة التى سمح لها أن تزور المعامل السرية فى امريكا وتلقت عروضاً بأن تبقى فى امريكا وأن تحصل على الجنسية الامريكية ولكنها رفضت، وفضلت أن تعود الى مصر وأن تواصل منها رسالتها العلمية والانسانية ، وفعلا بدأت تستعد للعودة ودعيت الى رحلة استجمام قبل عودتها .. وقبلت الدعوة .

وركبت د. سميرة موسى السيارة ، وفى منطقة مرتفعة اندفعت السيارة لتسقط فى الهاوية الى عمق ٤٠ قدماً ، ومعها " الكنز المصرى " بينما قفز قائدها واختفى الى الابد .. وقد عثر على آخر سطر كتبته فى أجندتها قبل أن تلقى مصرعها وكان " المنظر .. رائع .. رائع .. رائع " .

كان ذلك يوم ٥ أغسطس ١٩٥٢ ، وكانت د. سميرة موسى فى الخامسة والثلاثين من عمرها ، وكانت آمالها اكبر بكثير مما تحقق ، وكانت مصر فى ذلك الوقت تستعد لاستقبال ابنتها التى نافست مدام كورى فى النجاح والشهرة والمجد . ثم ذهب الكنز الذى أصر أن يظل مصريا ، تاركاً خلفه ألف علامة إستفهام ؟؟؟ .

سعد زغلول وثورة ١٩١٩

* * *

ولد سعد زغلول عام ١٨٥٦ فى بلدة " إبيانة " بمركز فوه (بكفر الشيخ الآن) بمديرية الغربية وقد تعلم مبادىء القراءة والكتابة فى كتاب القرية وحفظ القرآن ، وانتقل الى الجامع الدسوقى حيث أتم تجويد القرآن ، وتلقى دروساً فى النحو والفقه ، ودخل الازهر عام ١٨٧١ ليتم دراسته ، وفى اكتوبر ١٨٨٠ عين محرراً بالقسم الادبى فى الوقائع المصرية التى تولى رئاسة تحريرها الشيخ محمد عبده ، وبذلك انتقل سعد زغلول من الازهر الى الوظائف الحكومية ، ثم نقل الى وظيفة معاون بوزارة الداخلية فغير زى العمامة ولبس الطربوش ، ثم نقل الى وظيفة ناظر لقلم القضايا بمديرية الجيزة فى أواخر عام ١٨٨٢ واتجه الى الدراسات القانونية وهو فى هذه الوظيفة ، وفى عام ١٨٨٤ انتظم فى سلك المحاماة ثم عين عام ١٨٩٢ قاضياً بمحكمة الاستئناف ، وفى عام ١٨٩٧ حصل على إجازة الحقوق من باريس وفى اكتوبر ١٩٠٦ عين وزيرا للمعارف .

وحين وضعت الحرب العالمية الاولى أوزارها تولى سعد زغلول زعامة الحركة التى قامت للمطالبة بالاستقلال .. وترجع ثورة ١٩١٩ الى أسباب عدة أهمها ما كان يعانيه الشعب من الاحتلال البريطانى منذ ١٨٨٢ ، وازدياد الاحتلال رسوخاً بعد الحرب العالمية الاولى بإعلان انجلترا حمايتها على مصر فى ديسمبر ١٩١٤ ، وقد اجتمعت الاحكام العرفية الى الاحتلال والحماية ورزحت البلاد تحت هذا الظلم الثلاثى أربع سنوات متصلة ، وجندت السلطة العسكرية نحو مليون مصرى فى أعمال الجيش البريطانى وحملاته ومات كثير منهم فى ميادين القتال وأصيب الكثير وأساء الجنود الانجليز معاملتهم مما أثار كراهية المصريين لهم.

وفى ١٣ نوفمبر ١٩١٨ نشأ الوفد كحركة تنوب عن الشعب المصرى فى المطالبة بالاستقلال الوطنى ، وقد تألف الوفد من سعد زغلول باشا وعلى شعراوى باشا وعبد العزيز فهمى بك ، وكانوا جميعا أعضاءاً فى الجمعية التشريعية .. وفى هذا اليوم قام الوفد بمقابلة السيـــــد " ريجنالد وينجت " المندوب السامى البريطانى فى مصر ، وكان قد مضى يومان على اعلان الهدنة فى الحرب العالمية الاولى .

وطالب القادة الثلاثة بضرورة إلغاء الحماية وحصول مصر على الاستقلال وأن ذلك لن يمس بالمصالح الحيوية الانجليزية فى المنطقة ولا بسلامة الطريق الى الهند ولتأكيد الصفة التمثيلية باسم الامة تم تأليف هيئة باسم " الوفد المصرى " للحصول على توكيلات من الامة تخولها هذه الصفة .

وسعى سعد زغلول الى توسيع الوفد لضم مختلف القوى السياسية المصرية ، وانتهج عدداً من السبل للمطالبة بإستقلال مصر ، فمن ناحية أولى بدأ فى الاتصال بالسلطات الانجليزية والاحتجاج لديها على استمرار الاحتلال والحماية طارحا الحجج القانونية المدعمة لاستقلال مصر ، ومن ناحية ثانية خاطب الرأى العام الانجليزى والاوربى والامريكى محاولا استقطاب أكبر قدر من التأييد للقضية المصرية ، ومن ناحية ثالثة اتجه الى الاجانب المقيمين فى مصر لطمأنتهم وكسب تأييدهم ، ومن ناحية رابعة بدأ فى تعبئة الرأى العام الداخلى فانتشرت حركة التوقيعات على التوكيلات الشعبية لتعزيز وكالته عن الامة ونظمت الاجتماعات لتنوير الشعب .

وفى يوم السبت ٨ مارس ١٩١٩ ألقت السلطات العسكرية البريطانية القبض على سعد زغلول وصحبه ووضعتهم فى ثكنات قصر النيل ، وفى اليوم التالى نفوا الى جزيرة مالطة .. وفى اليوم التالى شبت ثورة ١٩١٩ التى كانت أعنف ثورات المستعمرات فى هذه الفترة ، وبدأت بمظاهرات سلمية قام بها الطلبة فى ذلك اليوم ، وفى اليوم التالى أضرب جميع طلاب المدارس والازهر وألفوا مظاهره كبرى وانضمت اليهم جموع الشعب ، وأطلق الجنود البريطانيون الرصاص على المتظاهرين ، واستمر الاضراب العام ، وتعطلت المواصلات فى جميع أنحاء العاصمة وأغلق التجار متاجرهم واستمرت القوات البريطانية فى القتل وسفك الدماء .. وفى ١١ مارس اضرب المحامون الوطنيون وفى ١٥ مارس اضرب المحامون الشرعيون ، وعمال العنابر بالسكك الحديدية وتعطلت قطارات الوجه القبلى ، وفى ١٢ مارس عمت فكرة قطع المواصلات وقطعت السكك الحديدية وأسلاك البرق والتليفون ، وكان أول خط قطع بين طنطا وتلا ، وامتد القطع الى مختلف الخطوط وانقطعت المواصلات بين القاهرة والاقاليم وبين الاقاليم بعضها وبعض ، وتعذر على الناس أن ينتقلوا من جهة الى أخرى وأصبحت البلاد كلها فى ثورة عارمة .. وفى ١٦ مارس قامت السيدات بمظاهرات كبرى وأعددن

احتجاجا مكتوباً على الفظائع التى ارتكبها الانجليز فى قمع المظاهرات السابقة ، ويسلمن صورة منه الى معتمدى الدول .

وقد قام الازهر بدور مجيد فى هذه الثورة ، وكانت تعقد فيه الاجتماعات العامة ، وتلقى فيه الخطب النارية وتبدأ منه المظاهرات .. وارتكب الانجليز لقمع هذه الثورة فظائع بلغت حد الوحشية فى القسوة والتنكيل .

وواجهت الحكومة الانجليزية الثورة بتعيين الجنرال (أدموند اللنبى) مندوباً سامياً فوق العادة لمصر والسودان بدلا من السير وينجت ، وأفرجت عن سعد زغلول وصحبه فى ١٧/ ابريل ، وفى مايو ١٩١٩ قررت الحكومة البريطانية تاليف لجنة برئاسة اللورد (الفرد ملنر) وزير المستعمرات وقتئذ لتقرير نظام الحكم بعد إستشارة ومفاوضة السلطان والوزراء وأصحاب الرأى والشأن من المصريين .. وفى ٧ ديسمبر وصل ملنر وأعضاء لجنته فقوبلوا من الامة بالمقاطعة التامة ، فعاد الى بلاده فى مارس ١٩٢٠ ، ثم دعا الوفد للتفاوض معه فى لندن واسفرت المفاوضات عن مشروع ظاهره الاستقلال وباطنه الحماية ، ثم قطعت المفاوضات فى نوفمبر ١٩٢٠ ، وفى فبراير ١٩٢١ اصدرت الوزارة الانجليزية قراراً يتضمن إعتبار الحماية علاقة غير مرضية ودعوة مصر للدخول فى مفاوضات رسمية ، وتألفت وزارة عدلى يكن فى مارس ١٩٢١ وفى عهدها جرت المفاوضات الرسمية ، والتى مالبثت أن أخفقت فاعتقل الانجليز سعد زغلول وبعض أنصاره ونفوهم الى جزر سيشل بالمحيط الهندى ثم نقلوه الى جبل طارق ثم أفرجوا عنه فى مارس ١٩٢٣ .

وقد نجحت ثورة ١٩١٩ فى القضاء على الحماية إذ اعترفت الحكومة البريطانية فى فبراير ١٩٢١ بان الحماية علاقة غير مرضية ثم أعلنت الغاءها ضمن تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ واعترفت فى هذا التصريح بأن مصر دولة مستقلة ذات سيادة غير أن الاحتلال ظل حتى ١٨ يونيو ١٩٥٦ حين جلا آخر جندى أجنبى عن مصر .

وبعد الافراج عن سعد أجريت الانتخابات البرلمانية الاولى فى يناير ١٩٢٤ ونال الوفد الاغلبية فألف سعد زغلول الوزاره برئاسته ثم استقال فى نوفمبر ١٩٢٤ على اثر مقتل السردار (لى ستاك) حاكم السودان .

ويمكن تحديد أهم انجازات ثورة ١٩١٩ في انها سياسيا أدت الى الغاء الحماية ضمن تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ واعلان الدستور عام ١٩٢٣ الذى كان حجر الزاوية فى البناء الدستورى لمصر حتى عام ١٩٥٢ ، وإقرار الحياة النيابية وكان ذلك تتويجاً لكفاح طويل بدأ من أيام الثورة العرابية ، وإقتصاديا عبرت الثورة عن نشاط متزايد للطبقة الرأسمالية وأوجدت شعوراً وطنيا اقتصاديا تمثل فى انشاء بنك مصر عام ١٩٢٠ ، وإجتماعيا كرست الثورة الوحدة الوطنية المصرية بين المسلمين والاقباط فخطب القساوسة على منابر المساجد وخطب المشايخ أمام مذابح الكنائس ، كما أتاحت أحداث الثورة الفرصة لخروج المرأة المصرية الى ميدان العمل السياسى والاسهام فى النشاط العام .

وفى الحقيقة فإن الثورة أوجدت نهضة عامة شملت مختلف جوانب الحياة الاجتماعية فتكونت العديد من النقابات العمالية ، ونهضت الحياة الفنية على يد سيد درويش ، ونشأت جمعيات الكشافة ، وكونت جمعيات التموين التعاونية ، وكان أهم دلالات الثورة تأكيدها العملى على مفهوم الاعتماد على النفس بعد فترة كانت الحركة الوطنية فى مصر قد اهتمت كثيرا بمخاطبة الرأى العام الخارجى .

أول بنك مصرى

* * *

كان محمد طلعت حرب هو صاحب هذه الفكرة ، وكان يريد إنشاء بنك مصرى يديره مصريون بأموال مصرية ، وكان إيمانه بالفكرة إيماناً عميقاً ، وكشف عنها لبعض أصحابه ولكن الكثيرين قابلوها بالفتور والتشكك ، ثم نادى بها فى مؤتمر مصرى كان منعقداً فى عام ١٩٠٨ فآمن معه بالفكرة قلة وتوقع له الكثيرون الفشل ، فقد تسلط فى ذلك الوقت على الغالبية وهم مؤداه أن الاعمال المالية والصناعية والتجارية لايقدر على فهمها إلا الأجنبى .

وظل طلعت حرب على الرغم من ذلك معتصماً بإيمانه بصواب فكرته ، وأخذ يدعو لها فى الصحف وألف فى ذلك كتابا عام ١٩١٠ عن (علاج مصر الاقتصادى ومشروع بنك مصر أو بنك الامة) ، وظل يناضل فى سبيل هذه الفكرة حتى اشتعلت ثورة ١٩١٩ فرمى بفكرته فى أتون الثورة فنضجت الى أن استطاع مع بعض رفاقه أن يعلن يوم الجمعه ٧/مايو /١٩٢٠ ميلاد بنك مصر .

وبدأ البنك برأس مال متواضع قدره ثمانون ألف جنيه ، واشترط طلعت حرب أن تكون أسهم البنك كلها للمصريين ، كما قرر جعل اللغة العربية لغة البنك فى كل أعماله وشئونه ثم أنشأ مطبعة مصر ومكتبة مصر لتزويد البنك وفروعه وماقد ينشئه من شركات بالمطبوعات والدفاتر وأدوات الكتابة ، كما أنشأ عدداً كبيراً من الشركات منها شركة مصر لصناعة الورق / شركة مصر للغزل والنسيج / شركة مصر للطيران / شركة مصر للسياحة / شركة مصر للتمثيل / شركة مصر للنقل والملاحة / شركة مصر لمصايد الاسماك .

وبالاضافة الى جهوده فى مجال الاقتصاد كان يعمل على تشجيع الآداب والفنون فأنشأ دار التمثيل العربى بمدينة الازبكية وشجع المسرحيات المصرية والعربية .

ولم يقتصر جهد طلعت حرب على خدمة مصر وحدها وإنما امتد نشاطه الى البلاد العربيه فقد انشأ بنوكا فى سوريا ولبنان باسم " بنك مصر – سوريا – لبنان " ويسر

لحجاج بيت الله الحرام بواخر مصرية ، وساهم بشكل فعال فى إقامة فنادق ممتازة فى الاراضى المقدسة ، وسك عملة سعودية لتثبيت أسعار النقد هناك .

ولد طلعت حرب بقصر الشوق بجهة الجمالية بالقاهرة ، وعاش بين عامى (١٨٦٧ - ١٩٤١م) وتدرج فى التعليم حتى نال شهادة الادارة والالسن ثم عمل مترجماً بقلم قضايا الدائرة السنية خلفاً للزعيم محمد فريد الذى تولى حينذاك رئاسة هذا القلم ثم تدرج الى أن أصبح مديراً لاقلام القضايا ثم عمل مديرا لشركة كوم امبو ، وأحيلت عليه فى الوقت نفسه الشركة العقارية المصرية حيث تدرب فيها على الاعمال المالية ، واستمر فى عمله بهذه الشركة حتى مصرها ، وأصبحت غالبية رأس مالها فى أيدى المصريين .

الملك الصغير
وأعظم كشف فى تاريخ علم الآثار الحديث

* * *

لو لم يكتشف قبره فى عام ١٩٢٢ لبقى ذكره مدفوناً معه ، فقد تولى الحكم حوالى عام ١٣٥٠ ق.م وعمره اثنى عشر عاماً ، ومات دون العشرين ، ذلك أن اخناتون لم يرزق ولداً يعقبه فى الملك ، فلما مات اعتلى العرش صهره " توت عنخ آتون " وبتوليته لاحت الفرصة التى كان كهنة أمون يترقبونها فأجبروه على ترك " اخيتاتون " والعودة الى طيبة ، كما أجبروه على تغيير اسمه فصار " توت عنخ آمون " أى " صورة آمون الحية " .

ولم يقم توت عنخ آمون بأعمال جليلة تميزه عن غيره من الملوك ، ومع ذلك فقد ذاع صيته وطارت شهرته فى الآفاق منذ أن كشفت مقبرته فى وادى الملوك بالاقصر .. حيث قام عالم أثرى إنجليزى يسمى " هوارد كارتر " - باشراف اللورد " كارنارفون " الذى كان مغرماً بالبحث عن الآثار - بالتنقيب فى وادى الملوك ، وبعد جهود مضنية وفق الى كشف هذه المقبرة الوحيدة التى لم يستطع أحد الوصول اليها من قبل ، وكانت محتوياتها آية من آيات الفن المصرى الفريد بما حوته من توابيت من الذهب ومتكآت بديعة وسرر أنيقة وكراسى جميلة مختلفة الاشكال والألوان ، ومطعمة بالعاج والذهب ، وعجلات ملكية وصناديق تحوى التحف والجواهر وأدوات الزينة وتماثيل بديعة وغير ذلك مما هو منقطع النظير فى تاريخ الكشوف الاثرية من حيث الندرة والجمال .

ويعتبر العثور على هذه المقبرة بمحتوياتها التى لا تقدر بثمن أعظم كشف فى تاريخ علم الآثار الحديث ، وقد نقلت نفائس هذه المقبرة الملكية الى المتحف المصرى .

لعنة الفراعنة

* * *

انتشر الحديث عن لعنة الفراعنة فى مختلف أنحاء العالم بعد اكتشاف مقبرة توت عنخ أمون عام ١٩٢٢ ، فقد وجدت صخرة مكتوب عليها بالهيروغليفية " لتضمر اليد التى ترتفع فى وجه هيكلى ، وليحيق الدمار بأولئك الذين يهاجمون إسمى وقاعدتى وموميااواتى التى هى صدرى ، وسرعان ماستحمل أجنحة الموت أولئك الذى يدخلون هذه المقبرة " .

وفى نفس اللحظة التى تم فيها إفتتاح المقبرة ، كان مع مكتشفها " كارتر " عصفور كنارى " ، وفى نفس اللحظة لدغة ثعبان من نوع الكوبرا ، ومات العصفور معلناً بداية اللعنة .. وبعد اكتشاف المقبرة بثلاثة أسابيع توفى اللورد كارنارفون الذى مول أبحاث الكشف عن المقبرة على إثر لدغة بعوضة .

ومن عام ١٩٢٣ حتى ١٩٢٩ مات ٢٢ شخصاً كان لهم علاقة بافتتاح مقبرة توت عنخ أمون منهم سيدة امريكية اسمها " إيفلين جريللى " حضرت الاكتشاف وانتحرت بلا سبب فور عودتها الى شيكاغو .. " وريتشارد بيتل " الذى ساعد على افتتاح المقبرة وجد ميتاً على كرسيه بلا مرض وانتحر والده بعد ذلك بعام ، وفى عام ١٩٥٦ انتحرت أرملته .

ثم توالت الاحداث لتعمق الاعتقاد فغرقت سفينة بريطانية وعليها ١٥٠٠ راكب أمكن إنقاذ بعضهم وكان على هذه السفينة مومياء كاهنة فرعونية .. وأصيب العالم الالمانى " جوهان داميشين " بالجنون وكان ينقل رسوم المقابر الفرعونية .. وكان البروفسور " ايميرى " يحمل فى يده تمثالا صغيراً لإله الموت عند قدماء المصريين قبل أن تهاجمه النوبة القلبية التى مات بها .

وفى عام ١٩٧٢ تم شحن بعض آثار توت عنخ آمون على طائرة بريطانية لعرضها فى لندن ، وحدث ان ركل الضابط الفنى " لاشدون " صندوق الملك بقدمه وقال " ركلت أغلى شىء فى العالم " وتبادل بقية طاقم الطائرة الجلوس على الصندوق الذى يوجد

بداخله الملك ساخرين من لعنة الفراعنة ولم يلبس لاشدون بعد فترة وجيزة وأثناء اعداد السلم أن سقط من فوقه وكسرت ساقه ، ودمر بيت ملازم الطائرة وفقد كل مايملك ، ومضيفة الطائرة أجريت لها عملية جراحية فى رأسها أدت بها الى الصلع الكامل ، وأصيب زميل آخر بأزمتين قلبيتين ، أما قائد الطائرة فقد مات عام ١٩٧٦ بأزمة قلبية وعمره ٤٠ عاما ، وقالت زوجته على الفور إنها لعنة الفراعنة .

كل هذه الاحداث أدت الى الحديث عن لعنة الفراعنة ، والحديث عن المعتقدات المصرية القديمة التى تقول بأن " الكا " أو قرين الانسان عند قدماء المصريين يظل يحوم حول الجثة بعد الوفاة ، وذلك لحمايتها من أى عبث بها ، وأن ازعاج المومياء يفصل " الكا " عن صاحبها مما يجعلها تنتقم من الذى سبب هذا الانفصام .

ويبدو أن لعنة الفراعنة سيظل شيئاً يتحدث عنه الناس طويلا لما يحيط بها من أساطير وملابسات .. على الرغم من أن الواقع كما يؤيدها فى بعض الاحداث فإنه ينفيها فى البعض الآخر بدليل أن عدداً كبيراً من مكتشفى الآثار المصرية القديمة عاش حياة طبيعية بعد اكتشافاته ، وتوفى ايضا وفاة طبيعية .

رئيس الوزراء يسقط في أول إنتخابات برلمانية

* * *

شهدت مصر فى بداية عام ١٩٢٤ أول إنتخابات برلمانية فى تاريخها فى جو من الحرية والنزاهة ، وقبيل إجراء الانتخابات سادت الحياة المصرية رغبة صادقة فى إحترام إرادة الناخبين كى يختاروا ممثليهم فى أول مجلس نيابى على الوجه الذى يريده الشعب .

كان يحى باشا ابراهيم رئيساً للوزراء ، وكان قد نجح فى استصدار الدستور فى وقت خبا فيه الامل ، فكانت هذه هى أولى إنجازات هذا الرجل ، وعقب إعلان الدستور بدأت عملية تهيئة المناخ الديمقراطى لاجراء الانتخابات العامة ، فألغيت الاحكام العرفية ، وبدأت سلسلة من القرارات للافراج عن المعتقلين السياسيين الذين كانوا فى المعتقلات منذ أحداث ثورة ١٩١٩ .

وبدأت الاستعدادات للانتخابات العامة ، وقسمت مصر الى ٢١٤ دائرة انتخابية تقدمت لها احزاب الوفد والاحرار الدستوريين والحزب الوطنى ، واهتمت الامة بكل طوائفها بالانتخابات .

وصدق يحى ابراهيم فى العهد الذى قطعه على نفسه بأن تجرى الانتخابات فى جو من الحياد ، ولم يسمح لأحد من رجال الادارة بالتدخل فى إرادة الناخبين ، وليس أدل على ذلك من سقوط رئيس الوزراء نفسه فى دائرة منيا القمح أمام مرشح الوفد أحمد افندى مرعى (والد المهندس سيد مرعى) ولكنه وضع نفسه فى مرتبة الرجال العظام فى تاريخ مصر .

واكتسح الوفد هذه الانتخابات ، وحصل مرشحوه على ٩٠ ٪ من المقاعد ، بينما سقط أقطاب الاحرار الدستوريين ، وفى مقدمتهم عبد العزيز فهمى باشا واسماعيل صدقى باشا ، ولم ينجح منهم سوى سبعة نواب ، ولم ينجح من أقطابهم سوى محمد باشا محمود ، وكان نصيب مرشحى الحزب الوطنى أربعة مقاعد فقط من بينهم عبد الرحمن الرافعى الذى فاز على منافسه الوفدى بفارق صوت واحد فقط .

حينما نصّب العرب أحمد شوقى أميراً للشعراء

* * *

" يسير مع الحوادث متدفقاً ، مندفعاً فوق موج الماضى ، آتياً من لانهايات القدم ، كأنما هو قيثارة آلهة ذلك الزمان البعيد ، يدفع اليها كل جيل نسائمه ، فتتغنى ، وتتشدو بأهازيج النصر وبترانيم المسرة طوراً ، وبشجو الالم أحيانا " كلمات قدم بها د. محمد حسين هيكل قصائد ديوان الشوقيات للشاعر الكبير أحمد شوقى الذى يعد من كبار شعراء اللغة العربية ، مما حدا بالشعراء العرب الى تقليده إمارة الشعر فى عام ١٩٢٧ ، وأقيم لذلك حفل كبير حضره مندوبون عن الدول العربية وبايعوه أميراً للشعراء .

ولد أحمد شوقى بالقاهرة عام ١٨٦٨ م ، وتعلم بكتاب الشيخ صالح ثم المدرسة الخديوية حيث نال الشهادة الثانوية ومن ثم دخل مدرسة الحقوق عام ١٨٨٣ م ، حيث قضى سنتين التحق بعدها بقسم الترجمة ونال شهادته النهائية ، اتصل شوقى بالقصر وعينه الخديوى توفيق فى القصر ، ثم أرسله الى فرنسا ليدرس الحقوق والآداب الفرنسية على نفقته الخاصة ، وفى عام ١٨٩١ م عاد الى مصر وأخذ يتدرج فى مناصب الديوان الخديوى ، وفى عام ١٨٩٧ نشر ديوانه الاول ، واتصل بالخديوى عباس الذى جعله شاعر القصر حتى شبت الحرب العالمية الاولى فنفى الى اسبانيا خمس سنوات ، وقال فى احدى قصائده :

وطنى لو شغلت بالخلد عنه   نازعتنى اليه فى الخلد نفسى

وعندما عاد أحمد شوقى الى مصر اتصل مرة أخرى بالحياة الادبية ، وصور فى شعره أهم الاحداث السياسية والاجتماعية بمصر والعالم العربى ، ويبدو بشوقى ولع كبير بالتاريخ ، كما أشاع فى مدائحه الحديث عن الاخلاق والفقراء وعن الشريعة الاسلامية والشكوى من أحوال المسلمين وتأخرهم وتفكك الروابط بينهم ، وهى من التجديدات التى أدخلها الى المدائح النبوية ، وله فى الشعر الدينى قصيدتان عارض بإحداهما البردة وبالاخرى الهمزية للبوصيرى ، ويقول فى البردة :

أتيت والناس فوضى لاتمر بهم   إلا على صنم قد هام فى صنم

والارض مملوءة جوراً مسخرة   بكل طاغية فى الخلق محتكم

وقد أبدى أحمد شوقى قدرة وتمكناً فى قرضه الشعر ، وقد بلغت قصيدته " كبار الحوادث فى وادى النيل " مائتين وتسعين بيتاً ، وهى من الروايات الخالدة لتاريخ مصر منذ الفراعنة الى عهد أبناء محمد على ، ويقول د. هيكل عن شعره " وأنت إذ تقرأ قصائده على سفح الاهرام ، وأبو الهول وتوت عنخ أمون يهزك الشعور بصورة هذا الماضى فى قداستهاومهابتها ، وتمتلكك نفس الشاعر فترفع بك من مستوى الحياة الدنيا الى سماوات الخلد ، ذلك أن شوقى يهديك المعنى الذى كانت تلتمسه نفسك فلا تقع عليه " .

أهم مؤلفاته " الشوقيات " وهو ديوان شعرى فى أربعة أجزاء ، وكتاب " عظماء الاسلام " وقصائد للاطفال ، وله فى النثر كتاب " أسواق الذهب " جارى فيه الزمخشرى فى كتابه " أطواق الذهب " وله روايات شعرية هى :
على بك الكبير ، وكليو باترا ، ومجنون ليلى ، وقمبيز ، وعنترة ، وله روايات نثرية منها : لادياس ، وورقة الآس ، ومذكرات بنتاؤر ، وأميرة الاندلس ، وتوفى عام ١٩٣٢ .. وكتب على قبره كوصية هذين البيتين من نهج البردة :

يا أحمد الخير لى جاه بتسميتى   وكيف لايتسامى بالرسول مسمى
إن جل ذنبى عن الغفران لى أمل   فى الله تجعلنى فى خير معتصم

أول فنان فى الشرق ينحت تمثال ميدان

* * *

الفنان المصرى محمود مختار .. وهو أول من استخدم جرانيت الفراعنة بعد مضى ألفى سنة لينحت تمثال نهضة مصر .

ولد عام ١٨٩١ بقرية " نشا " بمديرية الغربية .. وكان من أوائل طلاب مدرسة الفنون الجميلة - التى اسسها الامير يوسف كمال - حين بدأت بها الدراسة عام ١٩٠٨ في مبنى بدرب الجماميز .. وفى عام ١٩١١ أقام طلاب الكلية معرضهم الاول ولفتت أعمال مختار إنتباه المشرفين على الفنون فأرسل فى بعثة دراسية الى فرنسا وبذلك كان أول طالب مصرى يوفد على نفقة الحكومة فى بعثة فنية لمدة ثلاث سنوات .. وكان ترتيبه الاول على مائة فى امتحان قبول المدرسة العليا للفنون الجميلة بباريس .. وعرض عليه وهو فى الثانية والعشرين من عمره أن يكون مديراً لمدرسة الفنون الجميلة بمصر ولكنه رفض لا لشىء إلا أنه أراد أن يكون فناناً فقط .. وأمضى أثناء الحرب العالمية الاولى أوقاتا عصيبة لانقطاع مرتبه عنه إلا أنه استمر يزاول فنه وعين فى النهاية مديراً لمتحف " جريفان " مكان استاذه " لابلان " .

ثم بدأت فكرة أعظم أعماله " تمثال نهضة مصر " .. وبدأ زملاؤه المصريون فى باريس فى جمع التبرعات فيما بينهم لينفذ مختار التمثال من الرخام .. وبعد أن انتهى من تصميمه عرضه فى معرض باريس السنوى ، وتشاء الصدفة أن يراه الساسة المصريون الذين ذهبوا الى هناك فى أعقاب الحرب العالمية الاولى ليعلنوا حق مصر فى الاستقلال .. ورأوا التمثال وأعجبوا به وكتب حافظ عفيفى على صفحات الاخبار مطالبا الشعب بالتبرع لاقامة التمثال .

لقد قدم مختار تمثالا يمثل فيه مطالب بلاده .. نهضة شعب يريد أن يعيش متطلعاً الى الحرية ممثلا فى الفلاحة التى ترفع يدها الى جبينها وهى تنظر الى الامام ، وقد أسندت يدها الاخرى على رأس ابى الهول الذى بدأ يتوثب هو الآخر .. فالفلاحة ترمز الى شعب بأكمله وابو الهول يرمز الى تاريخ هذا الشعب .

وبدأت جميع طوائف الامة المصرية فى جمع التبرعات من الشارع والحقل والمصنع والمدرسة حتى مكاتب الوزراء والدواوين .. وجمعت لجنة التمثال (٦٥٠٠ جنيه) قيمة الاكتتاب .. ورأت أن ينفذ التمثال من البرونز ولكن مختار رأى أن يصنع التمثال الكبير من حجر الجرانيت الاحمر من محاجر أجدادنا الفراعنة فى اسوان .....

وتبرعت مصلحة السكك الحديدية بنقل الحجارة من أسوان للقاهرة .. وساهمت الحكومة حينئذ بمبلغ ثلاثة آلاف جنيه قررها مجلس الوزراء برئاسة عبد الخالق ثروت .. وبعد ذلك وفى أثناء رئاسة سعد زغلول للوزارة ظهرت بعض العقبات بسبب نفاذ المبلغ فقررت الحكومة اعتماد كل الاموال اللازمة لانهاء التمثال .. واستمر العمل بالتمثال متخطياً كل المعوقات التى طرأت فيما بعد حتى أزاح ملك مصر الستار عنه يوم ٢٠ مايو ١٩٢٨ .. وكان مكانه ميدان رمسيس قبل أن ينقل الى مكانه الحالى بمدخل شارع جامعة القاهرة .. ليكون أول تمثال تقيمه مصر منذ العصور المصرية القديمة .

وعندما عاد مختار الى باريس اقام معرضاً منفرداً فى عام ١٩٣٠ وعرض عدداً من التماثيل الصغيرة التى تمجد بيئة مصر الريفية واقتنت الحكومة المصرية منه تمثال " عروس النيل " .. وكانت أعماله تجمع بين دقة الحياة والبساطة المتناهية وأعاد الحياة الى فن النحت المصرى القديم الذى توقف بظهور الفنون الدينية ويوضح ذلك تمثال " رياح الخماسين " .

واذا كان مختار قد استلهم الفن الفرعونى ولم يقلده ، فقد بعد ايضا عن تيار المدارس الفنية الاجنبية التى لاقت رواجاً كبيراً فى أوربا وفرنسا بالذات بعد ظهور الاسلوب التأثيرى .. ومن السهل أن نصف مختاراً بأنه حاول أن يجد فناً ذاتياً لنفسه كمصرى وسط هذه التيارات الفنية ، فهو فنان مبتكر ولعل هذا اطار خلوده الفنى فهو فى تمثال نهضة مصر على سبيل المثال لم يحاول أن يضع مصرياً أو زعيماً على حصان كأغلب موضوعات تماثيل ميادين اوربا .

وقد نفذ محمود مختار تمثالى ميدان أخرين لسعد زغلول فى القاهرة والاسكندرية .. الى جانب ١٥٠ تمثال منهم " القيلولة " و " حاملة الماء " و " الحزن " و " أمرأة القاهرة " و " الاميـــــرة " ..

ولكن الايام التى انحنت له أكثر من ٤٣ عاما يبدو أنها ضجت بكل هذا النجاح الذى حققه مختار معتمداً على فنه وشخصيته واسلوبه الذى حاول ونجح عن طريقه .. فأصيب بما يقرب الشلل فى يده اليمنى وتوفى فى مارس ١٩٣٤ .

وقد اقامت مصر تكريماً له متحف مختار عام ١٩٦٤ بالقاهره وفيه بعض تماثيله وملابسه وما كتب عنه ، وهو أول متحف من نوعه يقام لفنان واحد فى مصر ، ويوجد بالمتحف ايضاً كتابان كتبا لأول مرة عن حياة فنان من الشرق .

أول شرقي يعبر المانش

* * *

السباح المصرى اسحق حلمى ... ولد بحلوان عام ١٩٠١ ، وكان والده المشير عبد القادر باشا حلمى حاكم السودان سابقاً ، ومن وزراء الداخلية والحربية المشهورين وكان شغوفاً بالرياضة وعلمها لأولاده .

وكانت أول محاولة سباحة أقدم عليها اسحق حلمى يوم ١٩٢٢/٨/٦ هى سباحة المسافة بين دمياط ورأس البر وتبلغ نحو ١٤ كيلو متراً ، وفاز بالمركز الاول فى هذه المسابقة ، ثم كانت المحاولة الثانية من حلوان الى القاهرة وتبلغ ٢٥ كيلو مترا ، ولم يكن لأحد قبل ذلك أن اجتازها ، وقطعها فى ١٢ ساعة .

وفى ١٩٢٤ سافر على نفقته الخاصة الى فرنسا ، وقد تفتحت شهيته لتحقيق فوز دولى ، وهناك التقى بالسباح الشهير " برجسون " ثانى سباح فى العالم عبر المانش ، وتولى اعداده للمسابقات الاوربية الكبرى ، ونجح اسحق حلمى يوم ١٩٢٤/٨/٦ فى عبور المسافة من كوربيه الى باريس وتبلغ ٤٢ كم فى ١٨ ساعه ، وبعدها تطلع لعبور المانش الذى كان يعتبر قبلة سباحة العالم ، والغاية الكبرى لسباحى المسافات الطويلة ، وكان أول مصرى وشرقى يفكر فى ذلك .

وبدأت المحاولة الاولى فى اغسطس ١٩٢٤ وأخفق فيها ، ثم جاءت الثانية فى سبتمبر ١٩٢٥ وسبح لمدة ٢٤ ساعة ونصف وتوقف عند مسافة ميلين من الشاطىء .. وفى عام ١٩٢٦ قام بالمحاولة الثالثة وبعد سباحة سبع ساعات ظهرت مفاجأة غير متوقعة حيث اكتشف اصابته بالبلهارسيا ، فعاد الى مصر وأجرى له العلاج ولكن يبدو انه لم يكن كاملا فاخفق فى محاولته الرابعة عام ١٩٢٧ ، ثم استكمل العلاج نهائيا وعاد الى أوربا فى محاولة خامسة .

كانت هذه المحاولة عام ١٩٢٨ ، وقد ظل يصارع الامواج طوال ٢٣ ساعة و ٤٠ دقيقة قطع فيها المسافة من كاليه الى دوفر ، وقدرها ٨٩ كم وخرج منتصراً وصار أحد مشاهير الرياضة فى العالم ، وفى سبتمبر ١٩٢٨ أصدرت لجنة التحكيم الدولية لسباق المانش خطابا رسميا بصحة المحاولة .

ومما يذكر عن بحر المانش انه المضيق البحرى بين ساحل فرنسا الشمالى وساحل انجلترا الجنوبى ، ونظرية السباحة بين أقرب نقطتين - وهى الطريق المستقيم - هى نظرية لامحل لها فى عبور المانش بسبب التيارات المتغيرة باستمرار ، والعواصف ، كما يتميز المانش بمياهه الباردة طوال أيام السنة .

ومن الجدير بالذكر أن مصر قد امتلكت فى وقت من الاوقات جميع أرقام المانش القياسية ، ففى عام ١٩٥٠ سجل حسن عبد الرحيم رقمه الاعجازى من فرنسا الى انجلترا وقدره ١٠ س ، ٥٠ ق .. كما استطاعت مصر بعد ذلك أن تصنع معجزة ضخمة كانت حديث العالم كله عندما استطاعت ان تضرب رقمين قياسيين فى يوم واحد هو يوم ١٩٥٠/٨/٢٩ عندما حطم ابو هيف ومحمود حسن والسيد العربى وبكر سليمان وعبد المنعم عبده وحسن ابو بكر رقم التتابع الذى كان مسجلا باسم مصر ايضا وذلك عام ١٩٤٩ ، وفى اليوم نفسه تمكن السباح عبد اللطيف ابو هيف من أن يستمر فى سباحته بعد أن قام بدوره فى بدء سباق التتابع حيث نجح فى تحطيم الرقم القياسى من انجلترا الى فرنسا .. وبذلك أصبحت جميع أرقام المانش القياسية فى أيدى تماسيح النيل .... وفى عام ١٩٥٣ سجل عبد اللطيف ابو هيف رقما جديدا هو ١٢ س ، ٤٥ ق من انجلترا الى فرنسا .

وفى ١٩٤٩/٩/٦ حطم الفريق المصرى الرقم الفرنسى فى عبور المانش بالتتابع من انجلترا الى فرنسا بساعة وسبع دقائق فسجل ١١ س ، ١١ ق بواسطة حسن عبد الرحيم ومرعى حماد وأحمد الزرقانى حطب وعمر صبرى ومحمود حسن ومحمد على الدين الذى حل محل عبد المنعم عبده بسبب مرضه .

ومن مفاخر مصر فى سباحة المانش حسن عبد الرحيم الذى استطاع أن يعبر المانش وهو فى الثانية والاربعين ، كما استطاع وهو فى السادسة والاربعين أن يفوز بسباق الديلى ميل الاول ، وأن يحطم الرقم السابق الذى ظل معمراً ستة وعشرين عاما مسجلا رقما اعجازيا قدره ١٠ س ، ٥٠ ق .. ويذكر أن له أربع محاولات ناجحة فى عبور المانش نجح فى جميعها من اول مرة ، وهو أول سباح مصرى عبر المانش من طرفيه السهل (فرنسا - انجلترا) والصعب (انجلترا - فرنسا) ، وكان بذلك ثالث

سباح فى العالم يقوم بهذا العمل .. كما كان أول سباح فى العالم يعبر المانش ثلاث مرات فى ثلاث سنوات متتالية ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ .

كما كانت مصر هى الدولة الوحيدة التى أنجبت اثنين من قاهرى المانش عبراه فى يوم واحد وهما حسن عبد الرحيم من الشاطىء الانجليزى ومرعى حماد من الشاطىء الفرنسى وذلك عام ١٩٤٩ .

وفى يونيو ١٩٥٢ وخلال سباق نهر السين بفرنسا والذى فاز فيه بطلا مصر عبد اللطيف ابو هيف ومرعى حسن بالمركزين الاول والثانى عقد أول اجتماع تأسيسى للاتحاد الدولى بحضور ١٤ دولة شاركت فى السباق بباريس ، وتقرر تشكيل أول اتحاد لسباحة المسافات الطويلة برئاسة المصرى الدكتور محمد صبرى ، وكان السكرتير العام المصرى عبد الفتاح شفشق ، كما تقرر أن تكون القاهرة مقراً للاتحاد الدولى تقديرا لانجازات سباحيها .

ولم تقتصر علامات تفوق سباحى مصر فى بطولات المانش على ذلك بل تجاوزته حين قدمت مصر للعالم عبلة خيرى أصغر سباحه تعبر المانش فى العالم (حوالى ١٣ عاما) كما قدمت خالد شلبى وخالد حسان أول معوقين يتمكنان من عبور المانش فى العالم .

مصر تنشىء
أول مجمع للغة العربية

* * *

فى ١٣ ديسمبر ١٩٣٢ صدر المرسوم الملكى من فؤاد الاول ملك مصر بإنشاء مجمع اللغة العربية بالقاهرة .. وكانت مصر هى أول دولة عربية تنشىء مثل هذه الإكاديمية العلمية الرفيعة المستوى ، مهتدية فى ذلك بما سبقتها اليه فرنسا حيث أنشىء أول مجمع لغوى وذلك فى أول الثلث الثانى من القرن التاسع عشر .

وكان اسم المجمع يوم انشائه هو " مجمع اللغة العربية الملكى " وفى عام ١٩٣٨ أصدر الملك فاروق مرسوما ملكياً اطلق بموجبه اسم والده الملك فؤاد على مجمع اللغة العربية وأصبح " مجمع فؤاد الاول للغة العربية " .. وفى عام ١٩٥٤ أصدر جمال عبد الناصر – وكان فى ذلك الوقت رئيسا للوزراء – مرسوماً جديداً اطلق بموجبه اسما جديد للمجمع هو " مجمع اللغة العربية " .. وكان طوال هذا التاريخ تابعاً لوزارة المعارف العمومية حتى أصبح هيئة مستقلة تماما عام ١٩٥٨ .

وعندما أنشىء المجمع عام ١٩٣٢ نص مرسوم إنشائه على أن يؤلف من عشرين عضواً عاملا يختارون من غير تقيد بالجنسية من بين العلماء المعروفين بتبحرهم فى اللغة العربية أو بأبحاثهم فى اللغة ولهجاتها ، وبالفعل شهد الفوج الاول من أعضاء المجلس عدداً من الاجانب .. وكان أول رئيس لمجمع اللغة العربية هو محمد توفيق رفعت وكان قاضيا وأديبا ووزيرا للمعارف ثم وزيراً للخارجية .

ورغم ماطرأ على المجمع ولوائحه من تعديلات طوال تاريخه ، إلا أن الهدف الذى تحدد له لم يضف له أدنى تعديل أو تغيير ، وهو المحافظة على سلامة اللغة العربية وجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون فى تقدمها ، ملائمة لحاجات الحياة فى العصر الحاضر ، وذلك بأن يحدد فى معجمات أو تفاسير خاصة أو بغير ذلك من الطرق ماينبغى استعماله أو تجنبه من الالفاظ والتراكيب ، ووضع معجم تاريخى للغة العربية ، ونشر بحوث دقيقة فى تاريخ بعض الكلمات وماطرأ على مدلولاتها من تغيير .

وقد حدد المرسوم الذى صدر عام ١٩٥٥ عدد أعضاء المجمع باربعين عضواً على الاكثر ، ويجوز أن يكون من بين هؤلاء عدد لايتجاوز الاثنى عشر عضواً من غير المصريين .. ويلاحظ أن هؤلاء الاربعين هم الاعضاء الاساسيون الذين يمثلون هيئة المجمع ، ولكن هناك اعضاءاً أخرين يعملون فى لجان المجمع وهم كبار العلماء المتخصصين فى كل فرع من الفروع العلمية.

ويتم اختيار عضو جديد فى المجمع عند وفاة عضو آخر أو تقديم استقالته او عجزه عن اداء عمله أو فصله لتهمة " مزرية بالشرف " - ولم يخل أى مقعد حتى الآن إلا بسبب الوفاة - عندئذ يكون لكل عضو الحق فى ترشيح عضو أو اكثر من عضو حتى خمسة أعضاء .. ويجرى آقتراع بين الاعضاء المرشحين الجدد ومن يفوز بالاغلبية فى هذا التصويت هو الذى يفوز بشرف العضوية على أن يحصل على أصوات تزيد على نصف عدد المنتخبين بصوت واحد على الاقل .

هل قتلت الذرة الدكتور مشرفه ؟

* * *

فى عهد عمادته الاولى حصل على لقب البكوية ، ومع هذا لم يأبه بهذا اللقب ولم يكن يستخدمه فى حياته العامة ، وفى ١١ فبراير ١٩٤٦ كان من المقرر أن يزور الملك عبد العزيز آل سعود جامعة فؤاد الاول ، وتصادف أن كان على باشا ابراهيم مدير الجامعة مريضاً وأصبح الدكتور مشرفه مديراً للجامعة بالانابة وعليه أن يستقبل الملك عبد العزيز ، واضطرت السراى الى منحه رتبة الباشوية كرئيس مؤقت للجامعة ، وأقبل الجميع يهنئونه بالباشوية فاستنكر منهم ذلك معتزاً بالدكتوراه لرجل العلم .

ولد على مصطفى مشرفه فى دمياط فى ١١ يوليو ١٨٩٨ ، وفى عام ١٩٠٧ داهمت الاسرة أزمة مالية أودت بكل ماتمتلكه ، وقبل أن يؤدى الصبى امتحان الشهادة الابتدائية بشهور توفى والده ، وبعد أن حصل على الابتدائية انتقلت الاسرة الى القاهرة ولكن مشرفه التحق بمدرسة ثانوية بالاسكندرية بالمجان ثم انتقل الى القاهرة حتى حصل على البكالوريا عام ١٩١٤ ، وتوفيت والدته قبل الامتحان بشهرين ، والتحق بمدرسة المعلمين العليا ، وسافر فى بعثة الى انجلترا وحصل على البكالوريوس فى الرياضيات عام ١٩٢٠ ، وبقى فى انجلترا حتى حصل على الدكتوراة فى فلسفة العلوم عام ١٩٢٣ ، وأصبح عضواً فى الجمعية الملكية البريطانية ، وأخذ ينشر بحوثه فى المجلات المتخصصة وأصبح من فريق المحاضرين فى الجمعية الملكية البريطانية . وأصبح العالم الحادى عشر فى العالم الذى يحصل على الدكتوراه فى العلوم وأول مصرى يحصل عليها .

وحاربه الانجليز ورفض طلبه فى وظيفة أستاذ لعلم الطبيعة فى مدرسة الطب وعينه أحمد لطفى السيد مدير الجامعة المصرية سنة ١٩٢٠ استاذا مساعداً فى كلية العلوم ، ولكن مشرفه كان يرى انه أحق بوظيفة استاذ ، فلجأ الى أحد اعضاء مجلس النواب الوفديين ، وكان سعد زغلول رئيسا للمجلس فأثير الموضوع وأصدر على ماهر وزير المعارف قراراً بتعيين الدكتور مشرفه أستاذا للرياضة التطبيقية فى كلية العلوم عام ١٩٢٦ ، وكان بذلك أول مصرى فى هذا المنصب ، وفى عام ١٩٣٠ اختير وكيلا لكلية العلوم حتى عام ١٩٣٦ وهو العام الذى عين فيه عميداً ، وأصبح بذلك أول عميد مصرى لكلية العلوم .

ثم انتخب على مصطفى مشرفه وكيلا للجامعة لمدة ثلاث سنوات كان مقراراً ان تنتهى فى ٢ ديسمبر ١٩٤٨ ، وفوجىء بصدور قرار بان يكون اختيار وكيل الجامعة بالتعيين ، وفى يونيو ١٩٤٨ صدر قرار بإعفائه من وكالة الجامعة وتعيين وكيل جديد لها ، وكان من المتوقع عندما يخلو منصب مدير الجامعة أن يكون من نصيب الدكتور مشرفه فهو أقدم العمداء ، وشغل منصب وكيل الجامعة لفترة بل انه شغل منصب مدير الجامعة بالانابة لفترة اخرى ، ولكن الدكتور مشرفه لم يذهب للشكر عندما منح الباشوية فى ١١ فبراير ١٩٤٦ ، وفوجىء فى ٢ ديسمبر ١٩٤٧ بتعيين مدير آخر للجامعة أحدث منه فى العمادة وهو الدكتور ابراهيم شوقى .. وكان القصر وراء هذا القرار .

ثم حدث أن اختارته الحكومة الامريكية عضواً فى اللجنة الدولية للبحوث الذرية ، وعلى هذا دعته احدى جامعاتها استاذاً زائراً لالقاء سلسلة من المحاضرات الى جانب عدد من مشاهير اساتذة علوم الرياضة والطبيعة فى العالم وفى مقدمتهم اينشتين .. وفى ٣٠ مارس ١٩٤٧ وافق مجلس الوزراء على السفر ، وفى ٢ أبريل ألغى الملك قرار مجلس الوزراء .

وكان الدكتور مشرفه قد نشر عام ١٩٢٩ بحوثا فى عدد من الدوريات العالمية توجها ببحث هام عام ١٩٣٢ ، ثم أعقبه ببحوث اخرى عام ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٨ تتصل اتصالا وثيقا بنتائج مهمة فى العلوم الذرية والنووية ثم انتقل الى الجانب التطبيقى فدعا الى البحث عن اليورانيوم فى الصحراء الشرقية وظل ينادى بضرورة عناية الدول العربية بالعلم واقامة الندوات العلمية .. وقد أدى تفوقه الواضح للغاية فى مجال العلوم الذرية الى أن ذهب بعض الباحثين الى أن وفاته لم تكن طبيعية وانما تقف وراءها أصابع عديدة !!! فقد كان أحد القلائل الذين تعرفوا على أسرار الذرة فى العالم ..

والى جانب الريادة العلمية للدكتور مشرفه كان علماً من أعلام الترجمة فى مصر فى القرن العشرين وقد أسهم فى الحركة الفكرية المصرية بريادته فى تخصصه وببحوثه واكتشافاته وبتأسيسه للجمعيات المتخصصة ومشاركته فى مجمع الثقافة العلمية ومراكز البحوث ، وحتى الموسيقى أسهم فى إثرائها بتأسيس الجمعية الموسيقية بالاشتراك مع محمود الحفنى وابو بكر خيرت ووديع فرج ، وتولت لجنة من هذه الجمعية ترجمة الاوبرات العالمية الى اللغة العربية .

كما اهتم الدكتور مشرفه بالتأليف العلمى والترجمة العلمية فأنشأ قسما فى كلية العلوم لترجمة الكتب العلمية العالمية الى اللغة العربية ، ووضع عام ١٩٣٨ " القاموس العلمى " بالاشتراك مع محمد عاطف البرقوقى ، واختاره مجمع اللغة العربية خبيراً للجنة المصطلحات العلمية ، واشترك مع الدكتور طه حسين وآخرين فى كتاب " الحياة والحركة الفكرية فى بريطانيا " .

ترك الدكتور مشرفه خمسة كتب له وأربعة كتب بالاشتراك مع أساتذه آخرين وستة كتب دراسية بالمشاركة و٥٣ مقالا و٢٠ حديثا اذاعيا وصحفياً و٢٥ بحثاً علميا باللغات الاجنبية نشرت فى دوريات اجنبية ومن أهم كتبه : مطالعات علمية - العلم والحياة - نحن والعالم - الذرة والقنابل الذرية .

وفى صباح يوم الاثنين ١٦ يناير ١٩٥٠ تناول (عالم الذرة) الدكتور مشرفه شاى الصباح .. وفجأة صعدت روحه الى بارئها !!!

الاذاعة المصرية
تقود حركات التحرير

* * *

عرفت مصر محطات الراديو في حوالى منتصف العشرينات من هذا القرن أى بعد إنشاء أول محطة إذاعة منتظمة فى العالم بحوالى خمس سنوات .

وفي ١٠ مايو ١٩٢٦ صدر أول مرسوم ملكى يحدد الشروط التى يمكن بموجبها استخراج التراخيص باستخدام الاجهزة اللاسلكية فى القطر المصرى ، وبموجب هذا المرسوم أخذ هواة اللاسلكى ينشئون محطات إذاعة أهلية فى القاهرة والاسكندرية ، وكان بعضها يذيع باللغة العربية والبعض الآخر يذيع بالانجليزية والفرنسية والايطالية للأجانب المقيمين فى مصر مثل :- راديو صايغ - راديو الاميرة فوزية - راديو فاروق - راديو سابو - وكانت محطات بدائية هندسياً وضعيفة الأرسال الاذاعى حيث لم يتجاوز ٥ر٢ كيلووات ، فيما عدا بعض المحطات مثل محطة وادى الملوك التى كانت تسمع بوضوح فى فلسطين .

وكانت مصادر تمويل المحطات الاهلية من الاعلان واشتراكات المستمعين التى تبلورت فى عشرة قروش لمدة شهر تذيع المحطة خلاله مايطلبه المستمع من أغان مسجلة على الاسطوانات ومايطلبونه من بيانات ونداءات .

واستمر الحال على هذا النحو الى أن قرر مجلس الوزراء إلغاءها فى ٣١ / يوليو/ ٣٢ ، وتوقفت نهائيا عند بدء تشغيل محطة الاذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية من قبل شركة ماركونى البريطانية .. ففى تمام الساعه الخامسة والنصف من مساء ٣١/ مايو / ١٩٣٤ استمع الناس الى صوت احمد سالم ، أول مذيع للاذاعة المصرية ، ثم افتتحت الاذاعة بالقرآن الكريم بصوت الشيخ محمد رفعت ، ثم كلمات من وزير المواصلات ، وعلى ابراهيم باشا رئيس اللجنة العليا للبرامج ، ثم قطعة موسيقية ثم مونولوج فكاهى من محمد عبد القدوس ، وبيانو منفرد من مدحت عاصم ، ثم تناوب الغناء بعد ذلك أم كلثوم ومحمد عبد الوهاب وصالح عبد الحى وفتحية احمد .

وفى عام ١٩٤٧ تم تمصير الاذاعة المصرية وإنهاء عقد شركة ماركونى ، ثم تعاقب

بعد ذلك إنشاء إذاعات مختلفة ، فبدأت إذاعة ركن السودان عام ١٩٤٩ وإذاعة صوت العرب ١٩٥٣ وإذاعة البرنامج الثانى ١٩٥٧ ، وإذاعة فلسطين ١٩٦٠ ، وإذاعة الشرق الاوسط ١٩٦٤ وإذاعة القرآن الكريم ١٩٦٤ .. ويذكر أن البرنامج الاوربى المحلى قد بدأ ارساله عام ١٩٣٤ أى مع بدء الاذاعة الرسمية .

وفى عام ١٩٥٤ بدأت اذاعة الاسكندرية كأول اذاعة محلية فى مصر ، وهى أول إذاعة تقدم الاعلان فى مصر منذ أن توقفت الاذاعات الاهلية ، وأول من أذاع المسلسلات الدرامية ، وأخذت المبادرة بانتاج برامج تعليمية عبر الاثير وهى مايعرف "بجامعة الهواء" .. ثم تعاقب إنشاء العديد من المحطات المحلية .

وكانت مصر أول دولة عربية طرقت مجال الاذاعات الدولية ، ففى الثلاثينات رأت أن تذيع على الموجات القصيرة نماذج من الثقافة العربية مابين ساعتين وثلاث ساعات يومياً ، وكان يعقب نشرة الثامنة والنصف أحاديث لأحد أعلام الفكر كطه حسين أو العقاد أو د. مشرفه وغيرهم ، أو بعض المناضلين العرب مثل بورقيبة أو اسماعيل الازهرى أو الملك السنوسى الذين كانوا يلهبون مشاعر مواطنيهم عند الاستماع اليهم ، وكانت الاذاعة المصرية أثناء الحرب العالمية الثانية تعد برامج خاصة باللغة الانجليزية موجهة الى بريطانيا وكندا والولايات المتحدة متضمنة جوهر الثقافة العربية ، وكانت الاذاعة البريطانية تلتقطها وتنقلها لجمهورها على موجات اذاعاتها .. كما لعبت الاذاعة المصرية دوراً هاماً فى إنشاء جامعة الدول العربية وفى توحيد كلمة العرب فى هذا المجال ، وقام عبد الرحمن باشا عزام أول أمين عام لجامعة الدول العربية بدور بارز فى هذا الشأن .

وبعد قيام ثورة ١٩٥٢ بدأت مصر تبث برامج موجهة الى غيرها من الدول بغرض الاعلام عن سياستها ، وهكذا بدأت فى توجيه أول إذاعاتها الدولية عام ١٩٥٣ ، وقد توسعت مصر فى انشاء هذه الاذاعات حتى وضعها تقرير الامم المتحدة عام ١٩٦٢ فى المرتبة الثانية بعد الاتحاد السوفيتى بالنسبة لعدد ساعات الارسال اليومى ، وهى تقدم الآن برامجها الدولية من خلال ٤٣ إذاعة دولية مستخدمة ٣٢ لغة لجميع انحاء العالم .

الشيخ محمد رفعت

* * *

ولد يوم الاثنين ٩ مايو ١٨٨٢ ورحل فى نفس التاريخ عام ١٩٥٠ ، وشهد حى المغربلين بالقاهرة طفولة الشيخ المعجزة الذى فقد بصره بعد عامين فقط من خروجه للحياة أثر إصابته بالرمد وكان والده محمود رفعت مأموراً لقسم الخليفة ، وتلقى محمد رفعت دروساً فى القراءات السبع وفى تفسير القرآن الكريم ، وتعلم التجويد وأتقنه على يد أستاذيه محمد البغدادى والشيخ السمالوطى قبل أن يتجه الى دراسة الموسيقى والوقوف على قواعدها وأصولها ، وأقدم على حفظ مئات الادوار والتواشيح والقصائد الدينية كما تعلم العزف على آلة العود .

وذاعت شهرة الشيخ محمد رفعت فى مختلف أنحاء مصر ، وظل على ذلك يتلو القرآن فى جامع فاضل بدرب الجماميز .. وعند افتتاح الاذاعة المصرية كانت سورة الفتح أول ماتلى من آيات الذكر الحكيم فى الاذاعة بعد أن استفتى أحد علماء الاسلام وشيخ الازهر فى إجازة قراءة القرآن الكريم عبر الاذاعة إنحناءا واكباراً للقرآن الكريم وكان يتقاضى ثلاثة جنيهات فقط فى تلاوة ساعة كاملة .

وبلغ من مكانة الشيخ محمد رفعت فى العالم الاسلامى أن إذاعات لندن وبرلين وباريس كانت تذيع تسجيلاته أثناء الحرب العالمية الثانية لتشد المستمعين فى العالم الاسلامى الى برامجها ونشراتها الاخبارية .. ولم يكن تفرد صوت الشيخ محمد رفعت فى قوة صوته فقط وانما كان يقرؤه فى خشوع فاض على ملايين المسلمين فى مختلف أرجاء العالم وقدرته على الالمام بمواضع الترهيب والترغيب فى القرآن .

وفى عام ١٩٤٢ أصيب الشيخ الكبير باحتباس فى صوته ، ودعا الكاتب الصحفى أحمد الصاوى محمد الى إكتتاب شعبى لعلاجه وانهالت التبرعات من مختلف أنحاء العالم الاسلامى ، وبلغت خمسين الف جنيه فى مطلع الاربعينيات ، وكانت المفاجأة انه اعتذر عن قبول التبرعات وامتثل لقضاء الله حتى فاضت روحه الى بارئها .

الاسكواش المصرى
يحصد بطولات العالم

* * *

رغم حداثة عهد الكثير من الدول بلعبة الاسكواش وتأخر تأسيس الاتحاد الدولى الى أواخر الستينيات عام ١٩٦٧ والذى كانت مصر من الدول السبع المؤسسة له ، إلا أن ظهور اللعبة فى مصر كان يرجع الى قبل ذلك بكثير ، وذلك خلال الثلاثينيات ثم كان تنظيم مصر لبطولة العالم بالقاهرة عام ١٩٨٥ تأكيداً لعراقة مصر فى هذه اللعبة.

تأسس الاتحاد المصرى للاسكواش عام ١٩٣٥ وكانت ملاعبه متوافرة فى أندية الجزيرة وسموحة وسبورتنج ، وكان الاتحاد الانجليزى للاسكواش يشرف على لعبة الاسكواش قبل تأسيس الاتحاد الدولى ، وكان ينظم بطولة مفتوحة للهواة ، وأخرى للهواة والمحترفين ، ونظراً لقلة عدد ممارسى اللعبة فى العالم فقد كانت هذه البطولات تعتبر بمثابة بطولات عالمية .. وقد حققت مصر مراكز متقدمة فى هذه البطولات .

ففى بطولة انجلترا المفتوحة للهواه والمحترفين ، فاز بها عبد الفتاح عمرو أعوام ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ومحمود عبد الكريم أعوام ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ وهاشم خان عامى ٥١ ، ٥٢ وعبد الفتاح ابو طالب أعوام ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ .

وفى عام ١٩٦١ وصل محمد دريد الى الدور النهائى .. وفى عام ١٩٦٢ حصل عبد الفتاح أبو طالب على المركز الثانى ، وفى عام ٦٣ حصل إبراهيم أمين على المركز الثانى وتوفيق شفيق المركز الثالث ، وفى عام ٦٥ وصل توفيق شفيق وكمال زغلول للدور قبل النهائى .. وفى عام ١٩٦٦ وصل إبراهيم أمين للدور قبل النهائى ، وفى عام ١٩٦٧ حصل أبو طالب على المركز الثانى ووصل كمال زغلول للدور قبل النهائى .

أما بطولة العالم للهواة فقد وصل محمد عسران الى الدور قبل النهائى عام ١٩٧١ ، ونفس الدور وصل اليه جمال عوض عام ١٩٧٧ .

أما بطولة انجلترا المفتوحة للهواه فقد فاز بها عبد الفتاح عمرو أعوام ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ وإبراهيم أمين عام ٥٦ ، ٦٠ وجمال عوض عامى ٧٧ ، ٧٨

كما حصل لمصر على المركز الثانى إبراهيم أمين اعوام ٥٨ ، ٥٩ ، ٦١ ، ٦٢ ، وتوفيق شفيق ٦٠ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ومحمد عسران ٧١ ، وعلى عبد العزيز ٧٥ .

المصرى الذى قال له هتلر :
" كنت اتمني لو كنتَ ألمانياً "

* * *

خضر التونى .. فاز بالمركز الاول فى أولمبياد برلين عام ١٩٣٦ ، وبطولة العالم بأمستردام عام ١٩٤٩ ، وبطولة العالم بباريس عام ١٩٥٠ ، وبطولة الدورة الاولى للبحر المتوسط بالاسكندرية عام ١٩٥١ .. وظلت مجموعته القياسية العالمية إعجازاً يستعصى على الابطال أمداً طويلاً .. واستمر بطل أبطال رفع الاثقال فى العالم ١٥ سنة سابقاً بأرقامه ومحتفظا ببطولته وهو مالم يحدث لغيره فى سجل التاريخ الرياضى.

وقد أطلق اسمه على شارع من أكبر شوارع ميونيخ تكريماً للبطولة وتذكاراً لمعجزة الالعاب الاولمبية على طول تاريخها حيث سجل فى أولمبياد برلين رقماً يزيد على رقم بطل وزن خفيف الثقيل بـ ١٣ كيلو .. وحصل على جائزة هولمز المشهورة للرياضى الأول فى العالم .

ولد خضر التونى فى القاهرة بحى شبرا فى ١٥/١٢/١٩١٦ ونشأ فى أسرة بسيطة ، وكان والده تاجر جلود " بين الصورين " وعمل الى جانبه ولذلك لم تتسع لميوله مدرسة النشأة الحديثة الابتدائية التى ادخله والده بها ، وتركها .

وبدأت قصته مع رفع الاثقال عندما قام وعمره ١٧ سنة برفع ثقل يبلغ ٨٠ كيلو لم يستطع أصحابه رفعه ثم اشترك فى أول مسابقة رسمية فى ابريل ١٩٣٤ وكانت بين أندية القاهرة ، وحصل فيها على وزن المتوسط ثم فاز ببطولة القاهرة عام ١٩٣٤ بمجموعة ٣٣٥ كيلو بزيادة ٢٥ كيلو عن الفائز الثانى ، ثم فاز ببطولة القطر بعد ذلك بشهرين .. وأخذ يفكر فى الارقام العالمية ويسأل عن أبطال العالم ، وعلم أن الرقم القياسى العالمى فى رفعة الضغط ١٠٦٫٥ كيلو وهو رقم بطل مصر عنتر عرفه ، وفى عام ١٩٣٥ ضرب خضر الرقم القياسى ورفع ١٠٧٫٥ كيلو .

وفى عام ١٩٣٦ وقع عليه الاختيار ليمثل مصر فى وزن المتوسط فى رفع الاثقال ، وعندما جاءت التقارير من مصر عن رفعاته لم يوافق الاتحاد الدولى على الاعتراف بها

لانه لم يكن فى الظن أن يستطيع رجل مغمور فى وزن ١٦٥ رطل الوصول الى رفع تلك الاثقال .. وكانت صحف المانيا تكتب كل يوم عن بطلها فى وزن المتوسط " رودلف أزماير " وتعتبره معجزة جديدة ، ولما ذاعت شهرة خضر التونى عرف الجميع أن المعركة الكبرى ستكون بينهما ، ورفعت التقارير الى هتلر فقرر أن يحضر المباراة وكانت المباراة الوحيدة التى حضرها ، ولهذا أجل موعد اللعب الى المساء حتى يتسنى للزعيم حضورها .

كانت مباراة خضر التونى مع أبطال العالم فى وزن المتوسط هى أهم حدث فى الالعاب الاولمبية ، واشترك فى المسابقة ٦٦ لاعباً انتهت محاولاتهم عند أرقام البطلين الالمانيين أزمير وواجنر.. واستنفذوا مقدرتهم ولم يظهر خضر التونى بعد لانه كان يطلب أرقاماً أعلى بكثير .

وأنتهى ازماير عند ١٠٥ كيلو ضغط ، وإذا بخضر التونى يطلب ١١٠ فحبس الناس أنفاسهم من الدهشة ، وتقدم التونى أمام الثقل ورفعه فى هدوء وثبات ثم طلب المحاولة الثانية ١١٥ (وكان الرقم القياسى العالمى ٥ر١١٢) وأعلن الحكم أن خضر التونى سيضرب الرقم القياسى المسجل ، وفى الثالثة طلب ٥ر١١٧ ضاربا الرقم القياسى لهذه الرفعة .. وكانت المسابقة الاخيرة فى رفعة الكلين والنطر وأنتهوا عن ١٤٠ كيلو ، وبدأ خضر التونى من ١٤٥ ثم رفع ١٥٠ وأخيراً رفع ١٥٥ وبذلك حصل على مجموعة خارقة للعادة وهى ٥ر٣٩٢ كيلو (ضغط ٥ر١١٧ - خطف ١٢٠ - كلين ونطر ١٥٥) .

وقف هتلر عندما عزف النشيد الوطنى المصرى ، وصوبت أعين عشرات الالوف على خضر التونى بطل العالم وعن يمينه رودلف أزماير الثانى وعن يساره واجنر الثالث ، وطلب هتلر مقابلة خضر التونى ، وقال له " لقد كنت أتمنى لو كنت المانياً ، اعتبر نفسك انك فى وطنك الثانى واننى أرحب بك مدى إقامتك فى ألمانيا ، وإن لمصر أن تفخر بخضر التونى " .

استمر خضر التونى بطلا لوزن المتوسط ، واستمرت أرقامه ترتفع على أرقام الجميع ، واستعد لتمثيل مصر فى بطولة العالم التى أقيمت فى فيلا دلفيا عام ١٩٣٧ ، ولكن مصر لم تشترك فى هذه المسابقة ، وفى العالم التالى سافر الفريق المصرى الى

فيينا للاشتراك فى بطولة العالم لعام ١٩٣٨ ، وهناك أصابه تعب شديد دخل بسببه المستشفى وغادرها رغم نصح الاطباء قبل بدء المباريات بيومين وفاز بالمركز الثالث .. وعند عودته الى مصر لم يجد أى منافسة ، واستمر بطلا طوال سنوات الحرب العالمية الثانية التى لم تحدث فيها مباريات عالمية .

وصعد خضر التونى الى وزن خفيف الثقيل وسجل أرقاماً معجزة ١٤٥ ك.ج ضغط ، ١٤٠ خطف ١٧٠ كلين ونطر ، عندما كان وزنه ٧٨ ك.ج .. ولكنه اضطر عام ١٩٤٨ لتخفيض وزنه ولعب فى وزن المتوسط ، وقد صادفه سوء حظ فى لندن خلال الالعاب الاولمبية ، فقد ظهرت عليه أمراض المصران الاعور ، وغادر المستشفى قبل يوم المباراة واشترك فيها وهو مريض وفاز بالمركز الثالث .

وفى لاهاى أقيمت بطولة العالم عام ١٩٤٩ وكانت كل دولة تشترك بسبع لاعبين فى رفع الاثقال ، ولكن مصر اشتركت بأربعة لاعبين فقط ، وكان على الفريق المصرى أن يحرز النصر ويفوز على جميع الدول المشتركة .. ووجد خضر فى انتظاره على الحلقة بيتر جورج من الولايات المتحدة وكانت المسابقة الاخيرة بينهما وإذا فاز جورج أصبح الكأس وبطولة العالم لامريكا .. وقد حدثت عده محاولات لإحباط عزيمته واختلف الحكام مع هيئة التحكيم العليا ، ومع هذا فاز خضر التونى وفازت مصر واحرزت المركز الاول بـ ١٦ نقطة تليها امريكا ١٥ نقطة ثم روسيا ١٤ نقطة .

وفى عام ١٩٥٠ سافر للاشتراك فى بطولة العالم التى أقيمت فى قصر شايو العظيم بباريس ، وقد وصفت المسابقة بانها أعظم بطولة عالمية اقيمت على الاطلاق .. وفاز خضر التونى فى وزن المتوسط وأثبتت أنه رجل قوى وخارق للعادة ولم يهتز أمام أبطال أصغر سناً .. وبلغ خضر القمة عندما رفع ٧٤١,٥ رطلاً "ضغط" باستقامة وثبات ولم يظهر عليه إعياء أو إنحناء ، حتى أن الناقد المشهور " جورج كركلى " كتب فى إفتتاحية مجلة حمل الاثقال وكمال الاجسام عدد ديسمبر ١٩٥٠ قائلاً " أى نصر هذا الذى أحرزه الرجل الخارق للعادة خضر التونى ".

وفى بطولة العالم بميلانو ١٩٥١ دخل خضر التونى معركته الاخيرة بعد ١٥ سنسة

من إنتصاراته الرائعة فى برلين ، وقف امام رباعين أصغر سناً واحتل المركز الثالث فى وزن المتوسط .

وقد كتب عنه الناقد الرياضى الشهير شارل كوستر فى مجلة الصحة والقوة عام ١٩٥٦ أى بعد دورة برلين بعشرين سنة موضوعاً فى ٦ صفحات قال فيه " إن لدى إعتبارات معقولة بل قاطعة حين اقول أن خضر التونى هو أعظم بطل أوليمبى فى رفع الاثقال فى العصر الحديث " .

وفى ٢٢ سبتمبر ١٩٥٦ صعق التيار الكهربائى بطل العالم فى منزله بحلوان .

معركة العلمين
تغير مسار الحرب العالمية الثانية

* * *

دارت فى الفترة بين ٢٣ اكتوبر حتى ٤ نوفمبر ١٩٤٢ بين القوات البريطانية بقيادة مونتجمرى وقوات المحور بقيادة روميل ، وذلك فى منطقة العلمين التى تبعد ٦٠ ميلا غرب الاسكندرية ، وقد كانت هذه المعركة واحدة من أكبر معارك الدبابات والمدرعات فى التاريخ العسكرى .

ففى خطين متوازيين تقريبا يبلغ كل منهما نحو اربعين ميلاً من ساحل البحر الابيض عند منطقة العلمين الى مشارف منخفض القطارة وقف الجيشان المتحاربان وقفة طويلة تعددت خلالها المحاولات من الطرفين لشق الطريق الى الامام بلا جدوى ، وذلك بسبب الطائرات والدوريات التى لم تهدأ يوماً ، فقد كان الموقف دقيقاً للغاية حيث سيكون للغالب فيه فرصة لامثيل لها فى تحديد نتائج الحرب ، وقد بسط وزير داخلية انجلترا هدف الفريقين المتقاتلين فقال " إن قتال المحور فى الميدان المصرى جزء من سعى يبذله للاتصال باليابان عبر المحيط الهندى وفتح باب جديد لمهاجمة روسيا ، أما نحن فان أملنا هو إلقاء روميل خارج افريقيا ، ولاريب فى أن إعادة فتح البحر المتوسط ستكون الخطوة الكبيرة الاولى فى سبيل استخدام السرعة والمرونة وحرية العمل فى البحار على نطاق واسع " .

كانت خطوط الحلفاء والمحور تشتمل على نطاقات من الالغام بينها نقط قوية ومواقع للرشاشات والاسلحة المضادة للدبابات ، ويرابط كل من الجيشين فى جبهة ذات استحكامات دفاعية متينة وتم استخدام الالغام استخداما واسع النطاق .. فقد اعتمدت خطة روميل الذى كان يعانى من طول خطوط تموينه وتأخر وصول الامدادات إليه على توقع هجوم الجيش البريطانى لاجتياح قواته ، لذلك قام بعمل أكبر حقل ألغام شهده العالم حتى أن الخبراء العسكريين أطلقوا على حقل الالغام اسم " حدائق الشيطان " .

ونلاحظ أن روميل كان يرمى من هذا التوزيع أن يترك المنطقة الوسطى من خطوطه ضعيفة متوقعاً أن يقع الجيش الثامن فى خطأ محاولة شق طريقه خلالها فيقع حينئذ بين فرق البانزر من الشمال والجنوب ، ولكن قيادة الجيش الثامن لم تقع فى هذا الشرك وكانت تضع خطة تنطوى على الحكمة والدراية والمفاجأة ايضاً .

فقد كان على الجيش أن يخترق خطوط العدد فى أى ساحة الى مسافة ٦٠٠٠ ياردة تقريبا فى الضربة الاولى ليجتاز حقول الالغام أو الخنادق ثم يستفيد من هذه الثغرة الى أقصى حد ، ولذلك انشئت وحدة جديدة باسم الفيلق العاشر (يتبع قوات الحلفاء) مكوناً من نحو ٥٠٫٠٠٠ رجل وبه أحسن أنواع الدبابات وقد سحبت هذه القوة من ميدان القتال على أثر صد قوات روميل فى خط العلمين ، ووقفت جهودها على التدريب والاستعداد خلف الخطوط بخمسين ميلا .

وفى الساعة المناسبة كان هذا الفيلق هو الصاعقه التى انقضت من خلال الثغرة وقضت على جيش روميل ، وقد نفذت هذه الخطة البارعة فى الصحراء تحت ستار باهر من التخفى ، ولم يكن هناك شك فى أن روميل يتوقع هجوماً كبيراً بل كان يعرف ذلك جيدا وقد كانت كل الدلائل تنطق بذلك ، ولكن لم يكن معروفاً أين ولامتى ولاكيف سيقع الهجوم رغم أن طائرات الاستكشاف الالمانية كانت ترصد كل أعمال الفيلق العاشر .

وكان روميل يتوقع ألا يبدأ الهجوم قبل أن يترك الفيلق العاشر مكانه ويشترك فى العمل .. وهنا حدثت المفاجأة فقد تحرك الفيلق العاشر ليلاً تاركاً خلفه المعسكرات خالية من الجنود ، ولكن مليئة بالدمى والاجسام الهيكلية التى كانت تمثل الدبابات والعربات والجنود فى صورة متقنة ، فلما حدث الهجوم كان مفاجأة تامة ، فالجيش الثامن هجم فى وقت غير متوقع ، ولم يهاجم النقطة الضعيفة كما كان منتظراً ولكن هاجم أقوى ساحة فى الميدان .

وبدأت المعركة فى التاسعة والنصف من صباح الجمعه ٢٣ اكتوبر ١٩٤٢ ، وعلى طول المواجهة كانت المدافع الانجليزية بحساب مدفع كل ٢٣ ياردة ، وكانت العمليات قد بدأت فى الليل ، واختيرت ليلة قمرية ساطعة الضوء ، وفى الدقيقة المحددة انطلقت أفواه المدافع محدثة ستاراً شديداً من النيران لمدة عشرين دقيقة ، وتكرر ذلك من وقت لآخر .. وفتحت قوات الحلفاء ثغرة فى حقول ألغام المحور ، وفصلت جيش المحور الى نصفين لم يتصلا ثانية ، وقد وصف الميدان بأنه شعلة من النيران من ساحل البحر الى منخفض القطارة .. وفى الساعة العاشرة من صباح الجمعة ٢٣ اكتوبر تقدمت المشاه فى الساحة الشمالية ، وفى فجر اليوم التالى بدأ الاختراق فى حقول الالغـــام لشــق

الطريق للقوات المدرعة فى حماية المدفعية ، ولما كانت ليلة ٢/١ نوفمبر انتهت المرحلة الاولى وبدأت العمليات .

وسجلت القوات الجوية للحلفاء رقماً قياسياً فى عدد عملياتها ، وأصابت عربات الذخيرة ، ونسفت مستودعات الاسلحة ، وأصابت مدافع الميدان وسيارات النقل وشبت الحرائق ، ووجهت همها الى الاهداف المجاورة للثغرات التى فتحت فى حقول الالغام لمساعدة القوات البرية على شق طريقها .. وكانت الغواصات تعمل بنشاط كبير على طول الشاطىء لمنع الامدادات من البحر حتى أن ٤/٥ السفن التى خرجت من الموانى الايطالية أو اليونانية أغرقت أو ارتدت ، وكان نشاط المحور الجوى ضيق النطاق ، وكان دفاعياً ولم يعد له نفوذ فى سماء المعركة .

وفى فجر ٢ نوفمبر تقدمت قوة انجليزية مدرعة خلف الخطوط الالمانية بينما كانت قوات مدرعة أخرى تضغط فى الناحية الغربية .. وبدأت معارك الدبابات فى تل العقاقير .

ففى ذلك اليوم دفع الالمان كل قواتهم المدرعة لمواجهة القوة الانجليزية ، ودار قتال شاق عنيف وحدثت خسائر فادحة فى الناحيتين ، وهزمت الدبابات الالمانية وانتهت المعركة فى ساعات ، وفضل روميل أن يسرع بالعودة وأن ينقذ قواته من الفناء والأسر ، وقد وصفت ساحة العقاقير بأنها " مقابر الدبابات " .. وفى ليلة ٣/٢ نوفمبر احتل الانجليز العقاقير وقالت الانباء أن ٢٦٠ دبابة للمحور قد حطمت أو أسرت .

وبذلك حطمت معركة ٢ نوفمبر قوات المحور وظهرت علامات إنسحابها على طول الخط ، وفى ٣ نوفمبر بدا ذلك واضحاً ، وفى الجنوب لم تستطع القوات الايطالية أن تتراجع كثيراً وخصوصاً جنود المشاه الذين جردوا من المركبات وأخذ الكثيرين منهم أسرى ، كذلك توقفت الفرقة ١٦٤ الالمانية ولم تستطع أن تتراجع ، وتراجعت بقية القوات الالمانية ، وقتل نائب روميل وأسر قائد جيش افريقيا الالمانى وقائدى فرقتى برشيا وترنتو الايطاليتين ، وقدرت التقارير الرسمية للقيادة البريطانية خسارة المحور بـ ٧٥ الف رجل وأكثر من ٥٠٠ دبابة و ١٠٠٠ مدفع على الاقل .

وقال البلاغ الايطالى " أن معركة دامية عنيفه دارت فى المنطقة الصحراوية الواقعة بين العلمين وفوكه بين دباباتنا ومشاتنا وبين الوحدات التى تماثلها من قوات العدو ، وبعد مقاومات عنيفة غير عادية انسحبت الجيوش الايطالية والالمانية غرباً ، وكانت خسائرنا فادحة ".

وفى ٤ نوفمبر بدأت مطاردة قوات المحور المنسحبة .. وكان موقف روميل حرجاً ، ومن المواقف التاريخية العنيفة التى واجهها قادة عظماء فقد هزمت قواته بعد أن أخرجت من مراكزها الحصينة ، وفقد مراكز تموينه ، واستهدفت مواصلاته لنيران الطائرات والمدفعية ، وكاد الموقف أن ينقلب الى كارثة بتدمير جيش المحور بأكمله .. وقد حاول تدمير كل مايستطيع تدميره فى الصحراء ، وكان يضع كل عراقيل يجيدها لسد الطريق ، وأبدى فى فوكه مقاومات ناجحة حتى اجتمع شمل قواته وبدأ خطة الانسحاب ، ثم تخلى عن فوكه يوم ٦ نوفمبر وأندفع غرباً ، وأعطته الاحوال الجوية التى أعاقت التقدم فرصة مناسبة لتنظيم قواته ، وفى ٨ نوفمبر استمر الزحف وبلغ مرسى مطروح ، واستولى الانجليز على (بقبق) يوم ١٠ ، وفى اليوم التالى سقطت حلفايه والسلوم ، وارتدت قوات المحور الى حدود مصر ، وفى يوم ١٢ تم تنظيف الحدود المصرية وأسر آلاف الايطاليين ، أما الفرق الايطالية فى الجنوب وقد كانت تتألف من ٦ فرق معظمها من المشاه فقد كانت مطوقة ، فلما وصل الجيش الثامن الى الضبعة وفوكه وقطع مراكز تموينها وخطوط مواصلاتها سلمت جميعاً ، وقبل أن ينتصف شهر نوفمبر ١٩٤٢ كان قد تم القضاء على جميع الجيوش والمقاومات لتنتهى الحرب فى مصر ، وتبدأ فى برقة بليبيا .

الدولة العربية الوحيدة التى فازت ببطولة أوربا فى كرة السلة

* * *

كانت مصر هى أول دولة عربية وافريقية تعرف كرة السلة وذلك فى بداية القرن العشرين وكان هذا عن طريق جمعية الشبان المسيحية باسيوط حيث مارسها بعض الانجليز والامريكان فى أوقات الفراغ ، ووجدت اللعبة صدى كبيراً بين المصريين فى اسيوط لسرعتها والحماس الذى تتسم به مبارياتها .. وفى الاسكندرية كانت اللعبة تمارس بمدرسة الليسيه فرانسيه ، وكان المدرب الفرنسى (لوى بور) والذى كان يعمل مدربا لركوب الخيل بالسرايا الملكية فى عهد الملك فؤاد أحد الناشرين للعبة حيث أرسى قواعدها وأخذ يدرب المصريين على مهاراتها وقوانينها .

وتأسس الاتحاد المصرى عام ١٩٢٥ وكان يتولى إدارة لعبتين هما السلة والطائرة - التى دخلت مصر فى بداية القرن العشرين بنفس طريقة كرة السلة - وكان ينظم مسابقات اللعبتين .. وفى عام ١٩٣٢ كانت مصر من الدول المؤسسة للاتحاد الدولى ، وفى عام ١٩٦١ أسست مصر الاتحاد الافريقى للسلة بالقاهرة ، وكان المصرى عازر اسحق أول سكرتير عام لهذا الاتحاد .

وقد شاركت مصر لأول مرة فى بطولة دولية لكرة السلة عام ١٩٣٥ وكانت بطولة أوربا ، وكانت ايضا ضمن الفرق التى شاركت فى أول دورة أوليمبية دخلت فيها كرة السلة عام ١٩٣٦ ، وكان كمال رياض كابتن فريق مصر .. وفى عام ١٩٣٧ شاركت مصر فى بطولة العالم للجامعات فى براغ بتشيكوسلوفاكيا ثم كان الفريق العربى الوحيد الذى يفوز ببطوله اوربا عام ٤٩ والتى اقيمت بالقاهرة .

وفى عام ١٩٥١ شاركت مصر فى أول بطولة عسكرية للعالم ثم حصلت فى نفس العام على الميدالية الذهبية لدورة البحر المتوسط الاولى عام ١٩٥١ بالاسكندرية .

رياضة عملاقة فى الظل

* * *

تعد رياضة كمال الاجسام من الرياضات التى رفعت اسم مصر عاليا حيث انها اللعبة الوحيدة من بين اللعبات الفردية والجماعية التى تستطيع الفوز ببطولة العالم حتى الآن .

كان لاعبو مصر باستمرار فى قائمة أبطال العالم منذ بداية الخمسينات منذ فاز محمد نصر ببطولة العالم عام ١٩٥٢ ود. تونى بولس بالميدالية الذهبية ايضاً عام ٥٤ ، وفاز عبد الحميد الجندى ببطولة العالم عامى ٦٣ ، ٦٤ ، وحصل جلال السيد على بطولة العالم عام ٦٩ وعلى بطولة البحر المتوسط فى الفترة من عام ٧٤ الى ٨٠ كما فاز محمد مصطفى المكاوى ببطولة العالم عام ٧٦ .

وفازت مصر ببطولة البحر المتوسط عام ٨٥ بالاسكندرية عندما حصل عصمت صادق على الميدالية الذهبية فى وزن الخفيف والشحات مبروك على الذهبية فى وزن المتوسط ، كما فازت مصر ببطولة البحر المتوسط عام ٨٦ ببرشلونة وحصل فيها الشحات مبروك على ذهبية المتوسط وعصمت صادق على ذهبية الخفيف وسعد ثعلب برونزيه الخفيف .

وكان عام ٨٧ هو العام التاريخى لرياضة كمال الاجسام فى مصر ففازت ببطولة العالم للكبار بأسبانيا لأول مرة فى تاريخ بطولات العالم وحصلت على ميداليتين ذهبيتين فاز بهما محمد لطفى الفسخانى والشحات مبروك .. وفازت بالمركز الاول فى بطولة العالم للناشئين التى أقيمت بالمانيا الغربية لأول مرة فى تاريخها وحصلت على ميدالية ذهبية لمحمد عبد العزيز محمود وفضية لعادل بدوى فى ثلاثة أوزان أقيمت فيها البطولة .. وفى نفس العام فازت مصر بالمركز الاول فى بطولة البحر الابيض المتوسط بقبرص وفاز لها الشحات مبروك ولطفى الفسخانى بذهبيتين وعصمت صادق بفضية وأنور العماوى وحسين الله جابو ببرونزيتين .. كما فاز لاعب مصر الشحات مبروك ببطولة مستر انترناشيونال الدولية التى أقيمت بهاواى فى الولايات المتحدة وحصل على لقب بطل أبطال العالم .

ومما يذكر أن اللاعب محمد لطفى الفسخانى يعد اللاعب المصرى الوحيد الذى يتمكن من الحصول على بطولة العالم للكبار والناشئين حيث فاز بالميدالية الذهبية فى بطولة العالم للناشئين عام ٨٣ باسبانيا فى وزن الخفيف والميدالية الذهبية فى بطولة العالم للكبار عام ٨٧ باسبانيا ايضا وذلك فى وزن الريشة .

أكبر مشروع لتخزين المياه فى العصر الحديث

* * *

فى الساعة الثانية الا عشر دقائق يوم السبت ١٩٦٠/١/٩ ضغط الرئيس جمال عبد الناصر على زر كهربائى فنسف ٢٠ ألف طن من الصخور بالديناميت معطيا اشارة البدء فى العمل لبناء السد العالى الذى يقع على بعد ستة كيلو مترات من أسوان فى بقعة من نهر النيل ضفتاها من الصخور .

وتعود فكرة انشاء هذا السد الى مهندس زراعى يدعى " أدريان دانينوس " ، وقد اهتمت حكومة الثورة منذ قيامها بدراستها واحالتها فى عام ١٩٥٤ الى لجنة من الخبراء الدوليين أجمع معظمهم على صلاحيتها من النواحى الفنية والاقتصادية ، وتتمثل الاسباب التى أدت الى التفكير فى بناء السد العالى الى مياه النيل التى تتبدد فى البحر المتوسط كل عام ، وأخطار الفيضان التى تهدد البلاد ، وأخطار إنخفاض منسوب النهر ، واتساع الصحراء فى الشرق والغرب لاحتياجها الى مياه وفيرة كى تزرع ، بالاضافة الى احتياج التقدم الصناعى الى توليد الكهرباء .

ولم تكن امكانيات مصر فى ذلك الوقت تكفى لانجاز المشروع ، فتقدمت بطلب الى البنك الدولى فى نوفمبر ١٩٥٥ للحصول على قرض لتمويل المشروع ، فوافقت حكومة الولايات المتحدة وبريطانيا على المساهمة فى تمويل المشروع ، وفى يناير ١٩٥٦ وقع مدير البنك الدولى (يوجين بلاك) إتفاقا مبدئيا على قرض قيمته ٢٠٠ مليون دولار بفائدة ٥ر٣ ٪ لمدة عشرين عاما .

ولما عقدت مصر صفقة الاسلحة مع تشيكوسلوفاكيا لمواجهة الاعتداءات الاسرائيلية المتكررة على الحدود ، اعلنت الولايات المتحدة فى ١٨ يوليو بيانا بسحب مساهمتها فى تمويل مشروع السد العالى ، وفى اليوم التالى أذاعت بريطانيا مثل هذا البيان ، وفى مساء اليوم نفسه أعلن مدير البنك الدولى عدم قدرته على المضى فى تمويل المشروع بعد انسحاب كل من امريكا وبريطانيا .. وفى ٢٦ يوليو أعلن جمال عبد الناصر تاميم شركة قناة السويس حتى تتمكن مصر من تمويل مشروع بناء السد ، ونتيجة لذلك وقع العدوان الثلاثى على مصر فى ٢٩ اكتوبر ١٩٥٦ .

وأبرمت بين مصر والاتحاد السوفيتى إتفاقيتان عام ١٩٥٨ ، وعام ١٩٦٠ للتعاون الفنى بين البلدين لانشاء السد العالى ، وقدم الاتحاد السوفيتى بمقتضاهما قرضين لتمويل المشروع .

والسد العالى عبارة عن سد ركامى كبير يقفل مجرى النيل ويبلغ طوله ٣٦٠٠ م ، منها ٥٢٠ متراً بين ضفتى النيل ، ويمتد الباقى على هيئة جناحين على جانبى النهر ، ويبلغ عرضه عند القاع ٩٨٠م ويتدرج على هيئة هرم الى أن يصل عند القمة ٤٠م ، وارتفاعه ١١١م فوق قاع النيل الذى يرتفع منسوبه ٨٥م عن سطح البحر ، فيكون ارتفاع السد ١٩٦ م عن سطح البحر .. ويتكون جسم السد من ركام الجرانيت والرمال والطمى ، ويبلغ حجم المواد الداخلة فى بناء السد العالى ٤٣ مليوناً من الامتار المكعبة.

وتكون المياه المحجوزة أمام السد العالى بحيرة صناعية كبيرة يبلغ طولها ٥٠٠ كم ، ومتوسط عرضها عشرة كيلو مترات ، ومساحة مسطحها ٥٠٠٠ كيلو متر مربع ، وتعد هذه البحيرة ثانى بحيرة صناعية فى العالم ، وأطلق عليها اسم بحيرة ناصر .. وتوجد أمام السد محطة توليد للكهرباء تنتج طاقة كهربائية سنوية تصل الى ١٠ ملايين كيلو وات ، وتعد من أكبر المحطات المائية فى العالم حيث تشتمل على ١٢ وحدة توليد ، وقد انطلقت الشراره الاولى من المحطة من ١٥ أكتوبر ١٩٦٧ .

ويعتبر السد العالى أكبر مشروع هندسى فى العالم ، وهو الى جانب ذلك أكبر السدود من نوعه .

المصريون ينهون أسطورة
أقوى خط دفاعي في التاريخ

* * *

" بهذه الحرب سوف يضاف لعيد الغفران معنى آخر يوجع القلب الى الابد " .. ما أبعد هذه الكلمات التى قالها موشى ديان وزير الدفاع الاسرائيلى فى أعقاب حرب ٧٣ عن كلماته التى قالها بعد حرب ٦٧ " إنها الحرب التى أنهت كل الحروب ، ولم يبق امام العرب إلا التماس المقابلة لتقديم فروض الطاعة لاسيما وهم يعرفون رقم الهاتف " .

فى ٦٨/٩/٨ نجحت المدفعية المصرية فى توجية ضربة الى خط الدفاع الاسرائيلى شرق قناة السويس مما دفع الاسرائيليين الى التفكير فى بناء خط دفاعى منيع لاتستطيع أن تناله كافة الاسلحة الحديثة ، وقد نسب هذا الخط الى حاييم بارليف رئيس هيئة الاركان الاسرائيلية والذى أشرف على بناء هذا الخط .

وكانت أولى درجات هذا الخط المنيع الذى يتكون من سلسلة من الموانع الطبيعية والصناعية ، هى قناة السويس ثم السد الترابى على الضفة الشرقية للقناة الذى وصل ارتفاعه الى ٢٠م بالاضافة الى تكسية حجرية وستائر معدنية فى الجزء السفلى ثم نقاط دفاعية قوية ، وبعد أن انتهى الاسرائيليون من بناء خطهم المنيع وأيقنوا تماما أنه لاقبل لقوة عسكرية فى العالم أن تحطمه ، أرادوا تحطيم المصريين نفسياً ، فقاموا بمناورات عسكرية برية وجوية على الضفة الشرقية للقناة وانطلقت مواسير النابالم على مياه القناة وأحالتها الى كتلة من اللهب على مرأى من القوات المصرية على الضفة الغربية للقناة ، ثم جاء العرض الرئيسى ، وانطلقت طائرات السلاح الجوى الاسرائيلى من قاذفات سكاى هوك وفانتوم (اف - ٤) لتهاجم خط بارليف وتصب عليه وابلاً من النيران والقنابل زنة الف رطل ، ولم تستطيع كل هذه الطائرات والاسلحة أن تحدث أى نوع من الدمار داخل الخط الذى استفاد تماما من أخطاء خط ماجينو الفرنسى وسيجفريد الالمانى وكل تجارب الحروب ، وتم كل ذلك امام أعين الجنود المصريين على الضفه الغربية .

وفى وادى جحول بالخطاطبة أقامت القوات المصرية سداً ترابيا مشابها للسد الترابى الاسرائيلى على الضفة الشرقية للقناة ، وجاءت الطائرات لتقذف السد بكافة

ماتملكه من اسلحة وذلك بجانب الضرب المباشر للمدفعية بكافة الاعيرة التى لم تستطع أن تؤثر مليمترا واحداً فى ارتفاع السد .

وجاء الخبراء السوفيت ، ورأوا أن الحل الوحيد هو استخدام قنبلة ذرية تكتيكية تقضى على هذا السد ، وأعداد هائلة من الهليكوبتر لنقل القوات المصرية بعد ذلك الى ماوراء النقاط الحصينة للخط ، وأن خسائر القوات المصرية فى محاولة الاقتحام ستصل مابين ٣٠ ، ٤٠ الف رجل .

ولم ييأس المصريون ، واخيرا اهتدى الفريق الشهيد جلال سرى مدير إدارة المهندسين الاسبق الى فكرة عبقرية تقوم على إستخدام القوة الهيدروليكية للمياه لنزح وإهالة السد الاسرائيلى .. وشهد شهر سبتمبر ١٩٦٩ أول تجربة لتجريف الساتر الترابى بالتعاون مع هيئة السد العالى وذلك باستخدام طلمبة تعمل بالكهرباء تعتمد على توليد طاقة ضخمة قدرتها ١٥٠ كيلو وات / ساعة وتحتاج الى ونش لرفعها ، ولكن تبين أن استخدام هذه التجربة فى ظل ظروف العمليات العسكرية مستحيلة ، وأعيدت التجارب فى مجال النسف على أمل تطويرها فى بداية ٧١ ، وكانت التعليمات تقضى باستخدام طابور لضخ المياه من أقرب ترعة وتجريف ساتر ترابى مشابه لساتر خط بارليف بأقل عدد من الافراد ، وأن يتم تحميل الطلمبات والافراد فى قارب خشبى يمكن حمله بأقل عدد من الافراد ، وأن يتم تدريب الافراد على تسلق الساتر الترابى وضخ المياه على مسافة تعطى أكبر تأثير فى إنهيار الساتر مع تدريب الافراد على الاحتفاظ بتوازنهم عند انحدار المياه الشديد جارفة معها الاتربة ، وأنشىء ساتر ترابى بارتفاع ٢٦م على مصرف الطلمبات بالقصاصين لعمل هذه التجربة ، وتمت التجربة بنجاح على الرغم من عدم امكانية تفادى اصطدام الافراد بالمياه المتدفقة وانزلاقهم تحت تأثير المياه .

ثم انتقلت التجارب الى منطقة القناطر الخيرية ، وتم التعاقد على شراء طلمبات المانية تحت ستار استخدامها فى أعمال الاطفاء ، وبدأ التدريب ، ونتيجة للعديد من التجارب وجد أن أفضل السبل لازالة الساتر الترابى هو استخدام " طريقة الانهيارات المتتالية " وفيها تسلط المياه على قطاع متوسط من الساتر الترابى ، وتظل مسلطة عليه حتى يحدث تجويف فيه ، ومحاولة زيادة هذا التجويف وصولا الى مرحلة الانهيار

للقطاعات التى فوقه مع الاخذ فى الاعتبار حجم تراكم الاتربة المزاحة امام القطاع المائى خوفا من تراكمها حتى لايتسبب ذلك فى إعاقة عملية إنشاء الكبارى ، ولتلافى ذلك خصصت طلمبة اضافية لعمل تيارات مستمرة فى القطاع المائى بحيث لاتترسب أى كمية من التربة المزاحة بالاضافة الى عمل مجارى جانبية لتوجيه المياه الحاملة للتربة بعيدا عن قطاع الممر .

وكانت هناك مشكلة أخرى هى عبور القوات المدرعة والميكانيكية من الضفة الغربية الى الشرقية للقناة بعرض ٢٠٠م تقريبا ، وتم الحصول على كبارى تتصف بالآلية وامكانية فردها وتركيبها فوق القناة ، كما تم التغلب على مصادر قواذف اللهب (النابالم) بأن تسلل عدد من الجنود المصريين يوم ٥ أكتوبر وأبطلوا مفعولها .

وفى الساعة الثانية بعد الظهر ٧٣/١٠/٦ بدأت الحرب التى غيرت الاستراتيجية العسكرية فى العالم ، وبدأ إفتتاحية الحرب بضربة جوية مركزة ومفاجئة ، حين انطلقت ٢٠٠ طائرة قتال اختيرت اهدافها بمهارة فائقة ، وكان لكل تشكيل جوى منها هدفه ووجهته ، ونجحت الضربات فى تدمير مطارات المليز وتمادا ورأس نعران ، وعشرة مواقع صواريخ ارض جو من طراز هوك ، وثلاثة مواقع رادار بعيدة المدى ، ومحطتين للاعاقة ، وموقعين للمدفعية بعيدة المدى وثلاث مناطق شئون ادارية ، والنقطة الحصينة شرق بور فؤاد ، وبلغ عدد طلعات القوات الجوية يوم ٦ اكتوبر ٣٠٠ طلعة جوية ٠٠ !

وفى الوقت الذى أنجزت فيه القوات الجوية مهامها بشجاعة ، فتح ٢٠٠٠ مدفع هاون بالاضافة الى لواء صواريخ أرض أرض النيران وتحولت الجبهة الى جحيم يصب حممه لمدة ٥٣ دقيقة على قلاع خط بارليف الحصين ونقطه القوية وتجمعات الدبابات والقيادات ، وبلغ ما أسقطه أبطال المدفعية فى الدقيقة الاولى وحدها من التمهيد النيرانى ١٠ آلاف و ٥٠٠ دانة مدفعية ، بمعدل ١٧٥ دانة فى الثانية الواحدة ٠٠ !

وتحت ستار هذه النيران عبرت جماعات الصاعقة وجماعات اقتناص الدبابات قناة السويس فى مهمة بث الالغام فى مصاطب دبابات العدو ، وشل حركتها بالكمائن ، وفى خلال ١٥ دقيقة فقط من بدء المعركة كانت الموجات الاولى لخمس فرق مشاة وقوات قطاع بور سعيد قد نجحت فى اقتحام قناة السويس مستخدمة حوالى ألف قارب مطاط ، وبعد عدة دقائق وضع ٨ آلاف جندى أقدامهم على الضفة الشرقية للقناة ،

وبدأ الرجال الصائمون يتسلقون الساتر الترابى ، ، ويقتحمون دفاعات العدو وهم يحملون أسلحتهم الشخصية والاسلحة الخفيفة المضادة للدبابات ، وهى المرة الاولى فى تاريخ الحروب التى يواجه فيها الانسان الدبابات وهو مايعد ظاهرة فريدة فى تاريخ الحروب .

وتقدمت وحدات المهندسين العسكريين تحت ستار أعمال قوات المشاة والمدفعية وقامت بفتح الممرات اللازمة فى الساتر الترابى باستخدام طلمبات المياه ، وأتمت فتح أول ممر فيها فى زمن قياسى لم يتجاوز الساعة ، وتوالت بعدها عمليات فتح الممرات ، ونجحت فى إقامة عدد كبير من المعديات ، وأنشأت ١٠ كبارى ثقيلة و ١٠ كبارى مشاة ، بدأت بعدها الدبابات والمعدات الثقيلة تدفقها الى أرض سيناء .

وقد استطاعت قوات الصاعقة العبور بالقوارب المطاطية لمياه القناة على طول امتداد الجبهة من بور سعيد حتى السويس ، واشتركوا مع رجال المشاة مع مهاجمة حصون العدو ، ودار قتال مستميت على الطرق والمضايق وحرموا العدو من إمدادات البترول ، كما قام رجال البحرية ، بتدمير قطع العدو وتوجيه ضربات له ضد موانيه وأهدافه الساحلية فى سيناء والتمهيد بالمدفعية الساحلية والصواريخ .

وفوجئت قوات اسرائيل بارتفاع كفاءة القوات المدرعة المصرية فى القتال الليلى عن طريق تزويد الدبابات المصرية بأجهزة الإضاءة الليلية ، وايضا فوجىء العدو بزيادة قوة طائراتنا على الطيران المنخفض للإفلات من شبكات الرادار ، وكان من أهم دروس حرب اكتوبر حرب الصواريخ والطيران ، إذ كانت هذه هى أول حرب من نوعها فى تاريخ الحروب فى العالم ، وقد استطاع المصريون بكفاءة تخطيط وبناء أقوى حائط لصواريخ الدفاع الجوى الموجهة المضادة للطائرات ، وبذلك أصبحت القوات الجوية الاسرائيلية عاجزة تماما وكانت طلعاتها على جبهة القناة تسمى برحلة اللاعودة .

ونجح المصريون فى تحقيق أهدافهم فى أقل من ست ساعات ، واقتحموا القناة على مواجهة ١٧٠ كم بقوة ٨٠ ألف جندى مستخدمين قوارب المطاط ووسائل العبور المختلفة فى ١٢ موجة متتالية ، واستولوا على ١٥ نقطة حصينة للعدو ، وأكملوا حصار

بقية النقط القوية ، كما تمكنوا من الاستيلاء على رءوس الكبارى بعمق يصل حتى ٣ - ٤ كم ، وحققوا معجزات مازالت تدرس فى الاكاديميات العسكرية ، بل لم يكشف النقاب عن الكثير منها حتى اليوم .

أول عربي يحصل علي جائزة نوبل

* * *

" جئت إليكم اليوم على قدمين ثابتتين ، لكى نبنى حياة جديدة ، لكى نقيم السلام ، وبكل صراحة وبالروح التى حدت بى الى القدوم إليكم اليوم ، فإنى أقول لكم :-

إن عليكم أن تتخلوا نهائيا عن أحلام الغزو ، وأن تتخلوا ايضاً عن الاعتقاد بأن القوة هى خير وسيلة للتعامل مع العرب .. إن عليكم أن تستوعبوا جيداً دروس المواجهة بيننا وبينكم فلن يجديكم التوسع شيئاً ، ولكى نتكلم بوضوح فان أرضنا لاتقبل المساومة وليست عرضة للجدل " .. كلمات واثقة أعلنها الزعيم الراحل محمد انور السادات في خطابه أمام الكنيست الاسرائيلي يوم ١٩٧٧/١١/٢٠ عقب إعلان مبادرته التاريخية للسلام بعد ثلاثين عاماً خاضت فيها مصر أربعة حروب شرسة ضد اسرائيل ، وقد أعلن السادات وهو منتصر فى آخر حروبه أنه على استعداد لأن يذهب الى اسرائيل بحثاً عن السلام فى مبادرة لايقوم بها إلا زعماء نادرون .

ولد السادات فى ١٩١٨/١٢/٢٥ بقرية ميت أبو الكوم بالمنوفية ، تلقى تعليمه الأولى فى قريته ثم جاء الى القاهرة وعمره ١٢ عاما حيث تلقى تعليمه الثانوى ، وفى عام ١٩٣٨ تخرج فى الكلية الحربية وعين فى سلاح الاشارة ، شارك فى معظم الحركات السياسية السرية التى قامت فى السنوات العشر السابقة على ثورة ١٩٥٢ ، واعتقل عدة مرات لنشاطه السياسى ، كما فصل من الجيش بسبب هذا النشاط ، وبعد إطلاق سراحه عمل بالصحافة ، وفى عام ١٩٥٠ عاد مرة أخرى الى سلاح الاشارة بالجيش برتبة يوزباشى وأصبح واحداً من الضباط الاحرار الذين قاموا بثورة ١٩٥٢ .

وصباح الاربعاء ٢٣ يوليو ١٩٥٢ أذاع بصوته أول بيان رسمى للثورة ، وأصبح أنور السادات وزيراً للدولة ثم أميناً عاماً للجنة الدائمة للمؤتمر القومى ، وبعد قليل أصبح رئيساً لتحرير الجريدة اليومية الناطقة بلسان الثورة " الجمهورية " ، وفى عام ١٩٥٧ أصبح سكرتيراً عاماً للمؤتمر الاسلامى ثم انتخب عام ١٩٦٠ رئيساً لمجلس الامة ، وفى عام ١٩٦١ أصبح رئيساً لمجلس التضامن الافرو أسيوى ، وفى العام التالى أصبح عضواً بمجلس الرئاسة ، وفى عام ١٩٦٩ أصبح النائب الاول لرئيس الجمهورية .

وفى عام ١٩٧٠ انتخب رئيساً للجمهورية خلفاً للرئيس جمال عبد الناصر ، وفى ١٥ مايو ١٩٧١ قاد ثورة التصحيح ضد مراكز القوى فى مصر آنذاك .. وفى عام ١٩٧٣

اتخذ قرار حرب اكتوبر لتحرير الارض المحتلة وأشرف بنفسه على قيادة معاركها ، وهى الحرب التى غيرت من موازين القوى فى منطقة الشرق الاوسط ، واستطاعت أن تعيد الى مصر ثقلها العسكرى والسياسى بعد هزيمة ١٩٦٧ ، وأن تعيد الى العرب جميعاً مكانتهم وهيبتهم ، كما استطاعت هذه المعركة أن تكون نقطة تحول هامة فى التاريخ العسكرى للحروب .

وفى عام ١٩٧٧ بدأ مبادرته التاريخية من أجل حل مشكلة الشرق الاوسط عن طريق إزاله الحواجز النفسية التى تفصل بين العرب واسرائيل ، وتعتبر هذه المبادرة أهم حدث فى العالم خلال عام ١٩٧٧ ، وفى عام ١٩٧٨ أصدر كتابه " البحث عن الذات " وهو تسجيل لتاريخ حياته وحياة مصر منذ عام ١٩١٨ ، وفى نفس العام أسس الحزب الوطنى الديمقراطى وشارك فى قمة كامب ديفيد فى شهر سبتمبر مع الرئيس الامريكى كارتر ورئيس الوزراء الاسرائيلى مناحم بيجين حيث تم توقيع وثيقتين هما :- إطار السلام فى الشرق الاوسط وإطار المفاوضات بين مصر واسرائيل.

وفى عام ١٩٧٨ حصل على جائزة نوبل للسلام بالمشاركة مع رئيس الوزراء الاسرائيلى ، وفى عام ١٩٧٩ وقع على معاهدة السلام المصرية الاسرائيلية باعتبارها الخطوة الاولى على طريق السلام الشامل والدائم فى المنطقة ، والتى استطاعت مصر بمقتضاها استرداد جميع أراضيها المحتلة من اسرائيل .

وقد أغتيل الرئيس السادات فى ١٩٨١/١٠/٦ أثناء العرض العسكرى الذى أقيم بمناسبة إحتفالات اكتوبر ، تاركاً صفحة نادرة تضاف الى تاريخ مصر ، ومحدثاً تغييراً جذرياً فى التفكير العربى والاسرائيلى ، وهو ما أثبتت الايام صحته عندما بدأت المفاوضات العربية الاسرائيلية بعد خمسة عشر عاماً من مبادرته الفريدة .

أول أديب عربي يحصل على جائزة نوبل للأدب

* * *

فى تمام الواحدة بعد ظهر الخميس ١٣/اكتوبر /١٩٨٨ حينما دقت الساعة الذهبية الكبيرة فى القاعة الرئيسية للاكاديمية الملكية السويدية ، كان قرار اللجنة الذى أعلنه الناقد " شتور اللبين " أمام حشد هائل من الصحفيين من كل بلاد العالم .. إعلان فوز الاديب المصرى الكبير نجيب محفوظ من بين ١٥٠ أديباً وكاتبا عالميا كانوا مرشحين لجائزة نوبل ، ليكون أول أديب عربي يحصل على هذه الجائزة التي حصل عليها قمم الأدب فى العالم .

ولد نجيب محفوظ فى ١١/١٢/١٩١١ بحى الجمالية ، وعندما بلغ ١٢ عاما أنتقلت أسرته الى حى العباسية ، ولكن هذه الاعوام الاثنى عشر تركت بصمات واضحة على أعمال نجيب محفوظ فيما بعد .. حصل على ليسانس الآداب فى الفلسفة عام ١٩٣٤ ، ثم عمل موظفاً فى دواوين الحكومة ، وترقى فى السلم الوظيفى حتى وصل الى منصب رئيس مجلس إدارة المؤسسة العامة للسينما ، فقد عين مستشاراً فنيا بها عام ٦٢ ثم رئيساً للجنة القراءة بالمؤسسة العامة للسينما والاذاعة والتليفزيون فى اكتوبر ١٩٦٣ ، وصدر قرار جمهورى بتعيينه عضواً بالمجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب فى ديسمبر ١٩٦٥ ، ثم عين فى عام ٦٧ رئيسا لمجلس إدارة المؤسسة المصرية العامة للسينما ، وفى نوفمبر ١٩٧١ أحيل للمعاش .

نشر نجيب محفوظ أول قصة له وهى " ملوك تحت الارض " وقد نشرها فى مجلة الشباب عام ١٩٣٠ وتدور أحداثها عن فتاة تقيم فى ماسورة مهجورة .. ثم كتب عدة روايات تاريخية زمانها ومكانها مصر الفرعونية وهى " عبث الاقدار " ١٩٣٩ ، "رادوبيس" " ١٩٤٣ ، " كفاح طيبة " ١٩٤٤ .. ثم تجاوز هذه المرحلة التاريخية الى الواقعية النقدية والتى اكسبته دور الريادة فى الواقعية فى القصة العربية والتى امتدت من ١٩٤٥ الى ١٩٥٢ وتناول البناء الاجتماعى فى مصر قبل الثورة وتأثيرها على الحياة الاجتماعية للطبقة الوسطى وروايات هذه المرحلة هى : القاهرة الجديدة ، خان الخليلى ، زقاق المدق ، السراب ، بداية ونهاية ، ثلاثيته الشهيرة بين القصرين وقصر الشوق والسكرية .

ثم اتجه الى الرواية الرمزية وعبر عنها فى سلسلة روايات اللص والكلاب - السمان والخريف - الطريق - الشحاذ - ثرثرة على النيل - ميرامار - حب تحت المطر - خمارة القط الاسود .. وبعد نكسة يونيو ٦٧ كتب رائعته الحرافيش .

كتب نجيب محفوظ أكثر من ٤٠ رواية ، ومجموعة من القصص القصيرة ، وسيناريوهات لعدد كبير من الافلام .

حصل نجيب محفوظ على وسام الجمهورية من الطبقة الاولى ، ووسام الاستحقاق ووسام العلوم والفنون من الطبقة الاولى ، وجائزة النيل للسينما ، كما فاز بجائزة الدولة للأدب عام ١٩٥٧ عن قصته " قصر الشوق " وفاز بجائزة الدولة التقديرية للأدب عام ١٩٧٠ ، ومنحته رابطة التضامن الفرنسية العربية جائزتها عام ٨٥ عن ثلاثيته التى ترجمت الى الفرنسية ومنحته الدولة بعد حصوله على جائزة نوبل قلادة النيل .

ومما يذكر انه عندما صدرت الترجمة الفرنسية لثلاثيته أفردت صحيفة " اللوموند " صفحة كاملة للإشادة بالرواية ووصفته بأنه ملك الرواية فى العالم .

ويعد نجيب محفوظ أكثر الادباء العرب الذين تحولت رواياتهم الى واقع سواء على الشاشة أو خشبة المسرح ، وإن كانت السينما قد حظيت بالنصيب الاكبر ، وقد فاز المسرح بعدد من الروايات التى تحولت الى مسرحيات أشهرها : خان الخليلى - زقاق المدق - بداية ونهاية - اللص والكلاب .

وتوج العالم تقديره لنجيب محفوظ بمنحه جائزة نوبل للادب ، وفيما يلى نص حيثيات قرار لجنة الاكاديمية السويدية للآداب بمنح جائزة نوبل للآداب لعميد الرواية العربية :

" إن الانجاز الحاسم والعظيم لنجيب محفوظ - ككاتب للرواية والقصة القصيرة - هو أن إنتاجه كان يعني تحولا كبيرا للرواية كعمل أدبى ولتطوير اللغة الادبية فى الدوائر الثقافية الناطقة باللغة العربية .. ولعل مدى الانجاز الذى حققه ، وهو أعظم من ذلك ، أن اعماله كانت تخاطب العالم ككل .

لقد صنع محفوظ اسمه الكبير في عالم الأدب بثلاثيته الشهيرة خلال عامي ٥٦ ، ٥٧ التي تتناول جزءاً من تاريخ مصر خلال الفترة من أواخر العقد الأول من القرن العشرين وحتى منتصف الأربعينات من خلال أسرة من الطبقة المتوسطة .. وكانت سلسلة رواياته تتميز بالعناصر الشخصية والافراد وتربطهم بوضوح بالظروف السياسية والاجتماعية والثقافية ، وبصفة عامة فإن معظم أعمال نجيب محفوظ كان لها تأثير جدير بالاعتبار في بلاده .

ومن أهم أعماله تلك الفكرة التي تناولها في روايته غير العادية " أولاد حارتنا " التي كتبها عام ١٩٥٩ ويتحدث فيها عن بحث الانسان اللانهائي عن القيم الروحية ، وبقائه في مواجهة الصراع المستمر بين الخير والشر ، وقد ترجمت الرواية تحت اسم " أولاد الجبلاوي " .

وتأتي رواية " ثرثرة على النيل " ١٩٦٦ كمثال لأعمال نجيب محفوظ ذات التأثير الكبير ، وفيها نشهد الحوارات الميتافيزيقية حول الخيال والحقيقة ، وفيها ايضا التعليق على المناخ الثقافي في مصر ، وفي مجموعة قصصه الممتازة بعنوان "دنيا الله" ١٩٧٣ تبدو المعالجة الفنية الجيدة للمشاكل القائمة في المجتمع .

وقد كان هناك إتجاه لتقسيم أعمال محفوظ طبقاً لمجموعة من الفترات ، فهناك رواياته التاريخية ، والواقعية والميتافيزيقية ، ولم يحدث ذلك بالطبع دون سبب .. وفي النهاية فإن أعماله هي إضاءة في الحياة الانسانية بصفة عامة " .

د. بطرس غالى .. سكرتيراً عاماً للأمم المتحدة

* * *

بعد أسبوع واحد من إحتفاله بعيد ميلاده التاسع والستين فى نوفمبر ١٩٩١، وبعد نحو نصف قرن من العمل فى مجالات هامة وصل فى كل منها الى أقصاها ، فاز الدكتور بطرس غالى بجدارة بمنصب السكرتير العام للأمم المتحدة ليصبح أول عربى وافريقى يتولى هذا المنصب الدولى الرفيع فى تاريخ المنظمة الدولية ، وفى أول إقتراع رسمى بمجلس الامن جاء إنتخابه باغلبية ١١ صوتاً وعدم معارضة أية دولة لترشيحه تأكيداً للتأييد الواسع الذى ظل يتمتع به هذا السياسى المصرى المرموق طوال عمليات الاقتراع غير الرسمية على مدى شهر حيث ظل يتصدر قائمة المرشحين لهذا المنصب .

ولد د. بطرس غالى فى ١٤ نوفمبر ١٩٢٢ بالقاهرة لعائلة مصرية عريقة ، وحصل على ليسانس الحقوق من جامعة فؤاد الاول – القاهرة – عام ١٩٤٦ وسافر الى باريس لاستكمال دراسته فحصل على ثلاث دبلومات عليا فى ثلاث سنوات متتالية وحصل فى عام ١٩٤٩ على درجة الدكتوراة فى القانون الدولى من جامعة باريس .

وفور عودته لمصر عمل مدرساً للقانون الدولى بكلية الحقوق جامعة القاهرة حتى أصبح رئيساً لقسم القانون الدولى بها ، وعمل على إنشاء كلية الاقتصاد والعلوم السياسية عام ١٩٦٢ وأصبح أول رئيس لقسم العلوم السياسية بالكلية الجديدة .

وفى عام ١٩٦٢ أختير مديراً لمعهد " داج همرشولد " للعلوم السياسية فى هولندا ، واستاذاً مراسلاً فى الاكاديمية الفرنسية للعلوم السياسية ، وأشرف على رسائل الدكتوراة فى جامعات العالم المختلفة ، وانتخب د. غالى لرئاسة الجمعية المصرية للقانون الدولى ، وكأمين لمركز القانون الدولى فى نيويورك ، ونائب لرئيس الجمعية الدولية للقانون الدولى ، وحصل على درجتين للدكتوراة الفخرية من جامعة ديكارت بباريس عام ١٩٨٠ ومن جامعة السويد عام ١٩٨٦ .

كما رأس د. غالى تحرير أول مجلة سياسية عربية وهى مجلة السياسة الدولية التى

تصدر فى مصر ، واختير عام ۱۹۷۷ وزير دولة للشئون الخارجية ، وفى عام ۱۹۹۱ تولى منصب نائب رئيس الوزراء للعلاقات الخارجية ووزير الدولة لشئون الهجرة .

ولعب د. غالى دوراً كبيراً فى دعم علاقات مصر بافريقيا وفق أسلوب علمى ، فأنشأ صندوق المعونة الفنية المصرى لافريقيا ، كما أجرى مفاوضات لمدة عامين مع حكومة جنوب افريقيا للافراج عن المناضل الافريقى نيلسون مانديلا ، وكان وراء تأسيس مجموعة الخمس عشرة التى تضم دولاً من افريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية .. وكان عضواً فى الوفد المرافق للرئيس المصرى أنور السادات فى زيارته الاولى للقدس عام ۱۹۷۷ وتولى الجانب السياسى فى مباحثات كامب ديفيد ۱۹۷۹ ووصفها بأنها كانت واحدة من أصعب المفاوضات فى تاريخ الدبلوماسية فى العالم .

لقطات مصرية

* * *

قصر العينى :

أقدم مستشفى فى مصر ، وكان فى البداية قصراً لأحد المماليك فى نهايه القرن الثامن عشر ، وقد جعله نابليون بونابرت مستشفى حربياً لجنوده فى حملتهم على مصر (١٧٩٨ - ١٨٠١) ثم أسس فيه محمد على مدرسة الطب ومستشفى ملحق به ، وقد ألحق بجامعة القاهرة بعد إنشائها .

القناطر الخيرية :

أنشأت فى عهد محمد على ، وقد اقترح اقامتها المهندس الفرنسى الشهير فى ذلك الوقت " موجل بك " ووقع الاختيار على المنطقة المعروفة باسم بطن البقرة حيث يتفرع فرعا النيل فى إتجاه رشيد ودمياط عند رأس الدلتا ، لترفع مياه النيل فى فترة الحاجة الى الدرجة اللازمة لإمداد الرياحات بالكميات والمناسيب الكافية لرى أراضى الدلتا .. وقد بدىء فى إنشائها عام ١٨٤٣ ولكن العمل لم يكمل بها إلا فى عام ١٨٦٣ فى عهد الوالى محمد سعيد باشا .

وبمرور الوقت لم تعد القناطر الخيريه قادرة على أداء مهمتها ، وفى عام ١٩٤٠ تم افتتاح القناطر الجديدة التى اطلق عليها اسم محمد على .

أول طابع بريد فى العالم العربى :

صدر فى مصر عام ١٨٦٦ ، وكان عبارة عن مجموعة طوابع (٧) طوابع طبعت بمطبعة بولاق ، أما أول طابع بريد مصرى يحمل صورة امرأة . فقد صدر فى عام ١٩١٤ وكان للملكة كليو باترا ، وهو من المجموعة السياحية ، ثم الملكه نفرتيتى عام ١٩٤٧ بمناسبة المعرض الأول للفنون الجميلة ، وقد فاز هذا الطابع بجائزة أجمل طابع بريد فى معرض (مارينا ماسا) بايطاليا من بين ٤٨ دولة مشتركة .. وفى عام ١٩٦٠ صدر طابع بريد يحمل صورة ايزيس بمناسبة الدعوة لانقاذ آثار النوبة ..أما طابع البريد الوحيد الذى كان يحمل صورة امرأة ، وهو طابع بريد عادى وليس تذكاريا فقد كان للفلاحة المصرية .

دار الكتب المصرية :

انشأها على مبارك مدير المدارس - وزير المعارف فيما بعد - فى ٢٣ مارس ١٨٧٠ فى عهد الخديو اسماعيل ، وكانت فى بداية الامر فى الدور الاسفل بقصر مصطفى باشا فاضل بدرب الجماميز ، ثم نقلت عام ١٩٠٤ الى مبناها الشهير بباب الخلق ثم انتقلت الى مبنى بكورنيش النيل منذ عدة سنوات .

وقد أنشأها على مبارك بأن جمع المخطوطات النفيسة التى لم تصل اليها يد التبديد لدى العلماء والامراء والمساجد ومعاهد العلم ، كما اشترى مجموعات الكتب التى يملكها المصريون والاجانب .

أول كوبرى أقيم على النيل :

كوبرى قصر النيل ، انشأه اسماعيل باشا عام ١٨٧١ لربط سراى عابدين وسراى الجزيرة وهو أول كوبرى أنشىء على النيل من منبعه الى مصبه ، ثم استبدل هذا بالكوبرى الحالى الذى جعل طوله ٣٨٢ متراً وعرضه ٢٠ متراً وخصصت منها خمسة امتار لرصيفين على جانبيه وجعلت له فتحة ملاحية طولها ٦٨ متراً .

ومما يذكر أن أول كوبرى أقيم فى مصر من الحديد المسلح والفولاذ ، هو كوبرى أبو العلا ، بناه عام ١٩١٢ جوستاف إيفل الذى صمم برج إيفل بفرنسا عام ١٨٨٩ ، ويقال أن إيفل انتحر فور انتهائه من إنشاء كوبرى ابو العلا عندما اكتشف فى الاحتفالات بافتتاحه أن المعدات الكهربائية الخاصة بفتح ضفتيه من أجل الملاحة النهرية بها خطأ فى التصميم ومنذ ذلك الحين حتى يومنا هذا لم يفتح الكوبرى .

حدائق الحيوان :

أنشئت عام ١٨٩٠ فوق جزء من حدائق سراى الجزيرة ، تبلغ مساحتها حوالى ٥٠ فداناً ، ثم فتحت للجمهور فى صيف العام التالى ، وقد اشترك أحمد عثمان ومنصور فرج فى تصميم النحت البارز لمداخل الحديقة .

الترام يسير فى القاهرة لأول مرة :

فى عام ١٨٩٤ صدق مجلس الوزراء على منح امتياز لانشاء شركة الترام فى القاهرة ، ومنحها امتيازاً لمدة خمسين سنة ، وكان على الشركة أن تبدأ بانشاء ثمانية خطوط لربط أنحاء القاهرة .. وفى ١٨ / أغسطس / ١٨٩٦ بدأ تسيير عربات الترام فى القاهرة ، فأحدث تسييره هزة فى النفوس التى كانت حتى ذلك الوقت لاتعرف سوى العربات وركوب الخيل أو الحمير وسيلة للمواصلات داخل العاصمة ، وفى عام ١٨٩٧ صدر أمر عال بردم الخليج المصرى ، وكان قناة مائية وتحويله الى طريق عمومى مراعاة للصحة العامة من ناحية وتيسيراً للمواصلات فى القاهرة من ناحية ثانية ، إذ تعهدت شركة الترام أن تقوم بنفقات ردمه وتسيير الترام فيه .

أول ورقة مالية فى مصر :

حتى نهاية القرن التاسع عشر كان الجنيه الذهب المصرى هو أقوى عملة فى منطقة الشرق الاوسط ، حتى احتاجت انجلترا الى كل قطعة ذهب وفضة فى مستعمراتها فسحبتها بوسائل مختلفة ، وأقامت مجالس لاصدار العملات الورقية .

فى هذا الوقت عام ١٨٩٨ كانت مصر تقف على قاعدة صلبة من الذهب ، وفى نفس الوقت كان اللورد كرومر البريطانى يسعى لإقامة البنك الاهلى المصرى ، ويوقف عليه وحده مهمة إصدار أوراق البنكنوت ، وكنوع من الاغراء المادى لسحب الذهب من المصريين حددوا قيمة الجنيه الورق بمائة قرش وثمن الجنيه الذهب بـ ٩٧ر٥ قرشاً ، وكان هذا الفارق الكبير فى أسعار العملة دافعاً قويا للتخلص من العملات الذهبية ، وفى عام ١٨٩٩ صدرت أول ورقة نقدية طبعوها فى لندن وعليها اسم البنك الاهلى المصرى .

وكالة البلح :

جاءت تسميتها من أنها كانت سوقاً عبارة عن مرسى صغير لاستقبال البلح من الصعيد تمهدا لجمعه فى المنطقة وإعادة بيعه فى القاهرة والوجه البحرى ، ثم تحولت

الوكالة أثناء الحرب العالمية الثانية الى بيع مخلفات الجيش البريطانى والمصرى ، وكانت تطرح فى صورة بالات للتجار المصريين ، ويقوم بشرائها تاجر ايطالى اسمه "افارينو" وهو من حاشية الملك والسراية ، ويقوم بعرضها لصغار التجار المصريين ليحقق ربحاً عالياً .. واستمر احتكار أفارينو حتى ظهر تاجر مصرى وهو " حسن صالح " واستطاع بنفوذه أن يحتكر سوق الخردة .. وبمرور الزمن لم تعد الوكالة تبيع الخردة فقط .

قصر البارون :

يوجد بضاحية مصر الجديدة ، وهو يعد واحداً من أجمل التحف المعمارية فى العالم ، استغرق تشييده ثلاث سنوات ، وتم بناؤه على الطراز الهندى فى الثلاثينيات ، حيث بناه " البارون إمبان " البلجيكى الاصل والذى خطط ضاحية مصر الجديدة ، واقام عدة مبان فيها على الطراز الغربى ، وكان يسكن فيه مع عائلته قبل ثورة يوليو .

ويتكون القصر من خمس حجرات فقط ، ومساحة حديقته ٥ أفدنة ، ويمتاز بزخارفة الهندسية التى تظهر فى القبة الطويلة والحجرات المحلاة بتماثيل عن القصص الهندية الخرافية ، أما الحوائط فمرسوم عليها أجمل الطقوس الهندية .

وقد تم إستيراد مواد بنائه من الخارج ، وتم تصميمه بحيث لاتغيب عنه الشمس أبداً ، فجميع ردهاته وحجراته تدخلها الشمس ، وقد استخدم فى بنائه المرمر والرخام الايطالى والزجاج البلورى الابيض والملون التشيكى ، ويستطيع من بالداخل أن يرى كل من بالخارج دون أن يراه أحد ، وقد زود بالعديد من التحف الثمينة ، واختارته جامعة كاليفورنيا قسم العمارة الشرقية فى استفتاء باعتبارة أجمل قصور الشرق الاوسط .

أول فريق نسائى عربى للقفز كان مصرياً :

بدأت قصتهن عندما أعلنت هيئة الفتوة عن إعداد فرقة للمظلات من الطالبات والمدرسات ، فتقدمت ٢٤ فتاة اختير منهن ١٢ فتاة بعد اختبارات طبيـــة ورياضيـة

ونجحت منهن ٧ فتيات استطعن أن يقفزن من برج لايعرفن مايحيط به وذلك لتأكيد صفتى الثقة بالنفس وعدم التردد ، وكن فى الواقع مثبتات بأحبال ، وبعدها أعدت الفتيات للقفز الحقيقى من الطائرة ، وكان التدريب شاقاً لمدة ثلاثة أسابيع بمدرسة المظلات ، وكان عمر الهابطات يتراوح بين ١٦ ، ١٨ عاما ، وقد تمت تجربة التخرج على ملعب النادى الاهلى يوم ٣ فبراير ١٩٦٠ فى مهرجان الفتوة الذى ضم ١٢ الف طالب وطالبة وجمهور ضخم من المدعوين وحضره الرئيس جمال عبد الناصر ، وتم القفز من الطائرات الا ليوشن الحربية .

أحدث رياضة قدمتها مصر للعالم :

كرة السرعة وهى من ألعاب المضرب - (التنس والاسكواش وتنس الطاولة) إبتكرها المهندس المصرى محمد لطفى ، وهى عبارة عن جهاز يتدلى منه حبل ينتهى بكرة تشبه كرة التنس ، وقد حصل عام ١٩٧١ على براءة إختراع اللعبة .. وبعد الاتحاد المصرى لكرة السرعة والذى تأسس عام ١٩٨٤ أول إتحاد رسمى للعبة فى العالم ، وبدأت الدول الاخرى فى إنشاء اتحادات مماثلة مثل فرنسا واليابان وانجلترا وبلجيكا ، وفى عام ١٩٨٦ أقيمت أول بطولة دولية لهذه الرياضة فى مصر التى فازت بها ، ويحاول الاتحاد إدخالها الى الاولمبياد الذى تبقى من شروطه دخول اللعبة فى ١٢ دولة موزعة على خمس قارات .

* * * * *

المراجـــــع

* * *

أولاً : القرآن الكريم

ثانيا : الموسوعات

- احمد حسين ، موسوعة تاريخ مصر ، القاهرة : دار الشعب ، ١٩٧٣ .
- الموسوعة الذهبية ، القاهرة : سجل العرب ، ١٩٨٠ .
- دائرة معارف الشعب ، القاهرة : دار الشعب ، ١٩٥٩ .
- فاطمة محجوب ، دائرة معارف الشباب ، القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٦٢
- ناصر الانصارى ، موسوعة حكام مصر من الفراعنة الى اليوم ، الطبعة الثانية ، القاهرة : دار الشروق ، ١٩٨٧ .
- موسوعة المعرفة ، بيروت : شركة إنماء النشر والتسويق ، ١٩٨٧ .

ثالثا : الكتب العربية والمترجمة :

- ابراهيم عبده ، تطور الصحافة المصرية ١٧٩٨ - ١٨٨١ ، الطبعة الرابعة ، القاهرة ، سجل العرب ، ١٩٨٢ .
- ابراهيم نبيه ، دراسات عن محافظة القاهرة ، الجزء الاول ، القاهرة : بدون ناشر ، ١٩٦٨ .
- ابراهيم نصحى ، تاريخ مصر فى عصر البطالمة - الجزء الثانى ، القاهرة : الانجلو المصرية ، ١٩٦٠ .
- إجلال خليفة ، الصحافة - مقروءة مرئية مدرسية مسجدية تجارية ادارية ، القاهرة : بدون ناشر ١٩٧٦ .
- احمد حسين الصاوى ، فجر الصحافة فى مصر - دراسة فى اعلام الحملة الفرنسية ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥ .
- احمد زكى عبد الحليم ، نساء فوق القمة ، القاهرة : دار الفيصل ، ١٩٨٧ .
- احمد عبد الحميد يوسف ، مصر فى القرآن والسنة ، القاهرة : دار المعارف ، سلسلة اقرأ ، العدد ٣٧٣ ، ١٩٨١ .

– السيد فرج ، القيادة والقادة العظام ، الطبعة الثالثة ، القاهرة : مطبعة الاعتماد ، ١٩٥٦ .
– السيد فرج ، حرب الصحراء المصرية ، القاهرة : مطبعة المعارف ، ١٩٤٣ .
– السيد فرج ، رواد الرياضة فى مصر ، القاهرة : مركز الاهرام للترجمة والنشر ، ١٩٨٨ .
– السيد فرج ، مع العسكريين ، القاهرة : شركة الشمرلى ، ١٩٥٧ .
– الكسندر ستيبتشفيتش ، تاريخ الكتاب – القسم الاول ، ترجمة محمد الأرناؤوط ، الكويت : المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب سلسلة عالم المعرفة ، العدد ١٦٩ ، ١٩٩٣ .
– امين عز الدين ، شخصيات ومراحل عمالية ، القاهرة : كتاب الجمهورية ، العدد ١٦، ١٩٧٠ .
– بدر الدين ابو غازى ، رواد الفن التشكيلى ، القاهرة : دار الهلال ، سلسلة كتاب الهلال ، العدد ٤١٣ ، ١٩٨٥ .
– جمال بدوى ، نظرات فى تاريخ مصر ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سلسلة تاريخ المصريين ، العدد ٢٢ ، ١٩٨٨ .
– جلال كامل ، اعرف بلادك ، القاهرة : الدار القومية للطباعة والنشر ، سلسلة من الشرق والغرب ، العدد ٩٨ ، بدون تاريخ .
– حسن ابراهيم وآخرون ، الازهر تاريخه وتطوره ، الطبعة الثانية ، القاهرة : الازهر – اللجنة العليا للاحتفال بالعيد الالفى للازهر ، ١٩٨٣ .
– حسن صبحى بكرى ، اسوان ، القاهرة : مطبعة التقدم ، ١٩٦٣ .
– حسن صبحى بكرى ، مصر العليا ، القاهرة : مطبعة التقدم ، ١٩٦٣ .
– حسين فوزى النجار ، الاعلام المعاصر ، القاهرة : دار المعارف ، سلسلة اقرأ ، العدد ٤٩٥ ، ١٩٨٤ .
– خليل صابات ، وسائل الاعلام – نشأتها وتطورها ، القاهرة : الانجلو المصرية ، ١٩٧٦ .
– رياض رمضان العلمى ، الدواء من فجر التاريخ الى اليوم ، الكويت : المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، سلسلة عالم المعرفة ، العدد ١٢١ ، ١٩٨٨ .
– سامى الكيالى ، مع طه حسين ، القاهرة : دار المعارف ، سلسلة اقرأ ، العدد ٣٠١ ، ١٩٦٨ .

– سامى عزيز ، الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الانجليزى ، القاهرة : دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ، ١٩٦٨ .

– سعاد ماهر محمد ، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، القاهرة : المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ، ١٩٧٦ .

– سيد كريم ، الكاتب المصرى وأدب القصة العالمى ، القاهرة : دار الهلال ، كتاب الهلال ، ١٩٨٨ .

– شوقى عطا الله الجمل ، دور مصر فى افريقيا فى العصر الحديث ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب – مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر – مصر النهضة ، ١٩٨٤ .

– صلاح قبضايا ، الصحف اليومية المصرية فى القرن التاسع عشر ، القاهرة : الهيئة المصرية العامه للكتاب ، ١٩٧٢ .

– طارق مصطفى وحسين محمود ، العصر الذهبى للرياضة المصرية ، القاهرة : بدون ناشر ، ١٩٨٨ .

– عبد الرحمن الرافعى ، عصر محمد على ، الطبعة الرابعة ، القاهرة : دار المعارف ، ١٩٨٢ .

– عبد الحميد الكاتب ، قراءات ودراسات عن مصر والمصريين ، القاهرة : كتاب اليوم ، ١٩٨١ .

– عبد الغنى عبد الرحمن محمد ، سيناء أرض التاريخ والبطولات ، القاهرة : بدون ناشر ، ١٩٧٦ .

– عبد المنعم شميس ، القاهرة قصص وحكايات ، القاهرة : كتاب اليوم ، ١٩٨٤ .

– عبد المنعم عبده ، عمالقة المانش ، القاهرة : اخبار اليوم ، بدون تاريخ .

– عواطف عبد الرحمن ، دراسات فى الصحافة المصرية المعاصرة ، القاهرة : دار الفكر العربى ، ١٩٨٥ .

– على الدين هلال ، السياسة والحكم فى مصر ، القاهرة : مكتبة نهضة الشرق ، ١٩٧٧ .

– على بركات ، رؤية الجبرتى لأزمة الحياة الفكرية ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سلسلة تاريخ المصريين – العدد ٨ ، ١٩٨٧ .

– علية الجنزورى ، غارات أوربا على الشواطىء المصرية فى العصور الوسطى ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سلسلة تاريخ المصريين – العدد ٥ ، ١٩٨٧ .

- غالى شكرى ، نجيب محفوظ من الجمالية الى نوبل ، القاهرة : الهيئة العامة للاستعلامات ، ١٩٨٨ .
- فكرى بطرس ، من اعلام المسرح الغنائى فى مصر ، القاهرة : الدار القومية للطباعة والنشر ، العدد ١٤٢ ، بدون تاريخ .
- فوزية فهيم ، الفن الاذاعى ، القاهرة : دار المعارف ، سلسلة كتابك ، العدد ٥١ ، ١٩٧٨ .
- مايكل كارفر ، معركة العلمين ، ترجمة محمد ابراهيم عبد العزيز ، القاهرة : الدار القومية للطباعة والنشر ، سلسلة من الشرق والغرب ، ١٩٦٤
- محمد عبد الرحيم وعبد العزيز مبارك ، تاريخ مصر القديم ، القاهرة : وزارة المعارف العمومية ، ١٩٥٣ .
- محمد عبد الغنى وعبد العزيز الدسوقى ، روضة المدارس - نشأتها واتجاهاتها الادبية والعلمية ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥ .
- محمد عبد الفتاح والسيد فرج ، احاديث فى الحرب ، القاهرة : مطبعة المعارف ، ١٩٤٣ .
- محمد عبد المنعم خفاجى وعبد العزيز شرف ، عباس محمود العقاد بين الصحافة والأدب ، القاهرة : الانجلو المصرية ، ١٩٨٥ .
- محمد فرج ، من معارك الاسلام الخالدة ، القاهرة : الدار القومية للطباعة والنشر ، سلسلة من الشرق والغرب ، ١٩٦٧ .
- محمد فؤاد عبد الباقى ، المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم ، الطبعة الاولى ، القاهرة : دار الحديث ، ١٩٨٦ .
- محمد محمود الجوادى ، الدكتور على ابراهيم ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سلسلة اعلام العرب ، العدد ١١٨ ، ١٩٨٦ .
- محمود الشرقاوى ، بطولات عربية ، القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦١ .
- محمود صبحى واحمد شوقى عبد الرحمن ، معارك الشرق الاوسط ، القاهرة : مطبعة مصر ، ١٩٥٠ .
- معن زيادة ، معالم على طريق تحديث الفكر العربى ، الكويت : المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، سلسلة عالم المعرفة ، العدد ١١٥ ، ١٩٨٧ .
- منير محمد ابراهيم ، دراسات فى السينما المصرية - رواد وافلام ، القاهرة : الهيئة المصرية العامه للكتاب ، المكتبة الثقافية ، العدد ٢٩٣ ، ١٩٨٥ .

– ميمونة ومارية ، مجموعة امهات المؤمنين ، القاهرة : دار المعارف ، الطبعة الخامسة ، العدد ١٦ ، ١٩٨٣ .
– نعمان عاشور ، عشاق مصر ، القاهرة : اخبار اليوم – كتاب اليوم ، العدد ٢٢١ ، ١٩٨٣ .
– نعمت اسماعيل علام ، فنون الشرق الاوسط والعالم القديم ، الطبعة الخامسة ، القاهرة : دار المعارف ، ١٩٨٨ .
– وليم نظير ، المرأة فى تاريخ مصر القديم ، القاهرة : دار القلم ، ١٩٦٥ .
– يوسف الحمادى ، طه حسين ، القاهرة : مكتبة مصر ، ١٩٨٧ .

رابعا : الدوريات

الارشيف الصحفى لصحف الاهرام ، والاخبار ، وآخر ساعة ، والجمهورية ، والوفد ، والمصور ، والهلال ، واكتوبر .

الفهـــرس

* *

المؤلف في سطور

* * *

- د. السيد بهنسى حسن
- ولد بالقاهرة عام ١٩٥٨
- تخرج فى كلية الاعلام جامعة القاهرة عام ١٩٨٠ ، وحصل على درجة الماجستير فى الاعلام من جامعة القاهرة عام ١٩٨٦ ، وعلى درجة الدكتوراة فى الاعلام من جامعة عين شمس عام ١٩٨٩
- يعمل حالياً عضواً بهيئة التدريس بشعبة الاعلام التربوى بكلية التربية النوعية ببورسعيد .

- صدرت له المؤلفات التالية :

- العالم بين يديك	١٩٨٤
- رحلة الى عالم المعرفة	١٩٨٥
- أسس العلاقات العامة	١٩٩١
- الاتصال بالجماهير	١٩٩١
- وسائل الاعلام المحلية فى مصر (نشأتها وتطورها)	١٩٩١
- الرأى العام وأساليب قياسه	١٩٩٢
- مقدمة فى التشريعات الاعلامية	١٩٩٢
- مدخل الى الاذاعة والتليفزيون	١٩٩٢

رقم الإيداع ٩٣/٥٨٢٦
I.S.B.N. 977-00-5396 - 1

دار أبوالمجد للطباعة

توزيـــع
مؤسسة الأهرام للتوزيع " شارع الجلاء - القاهرة "